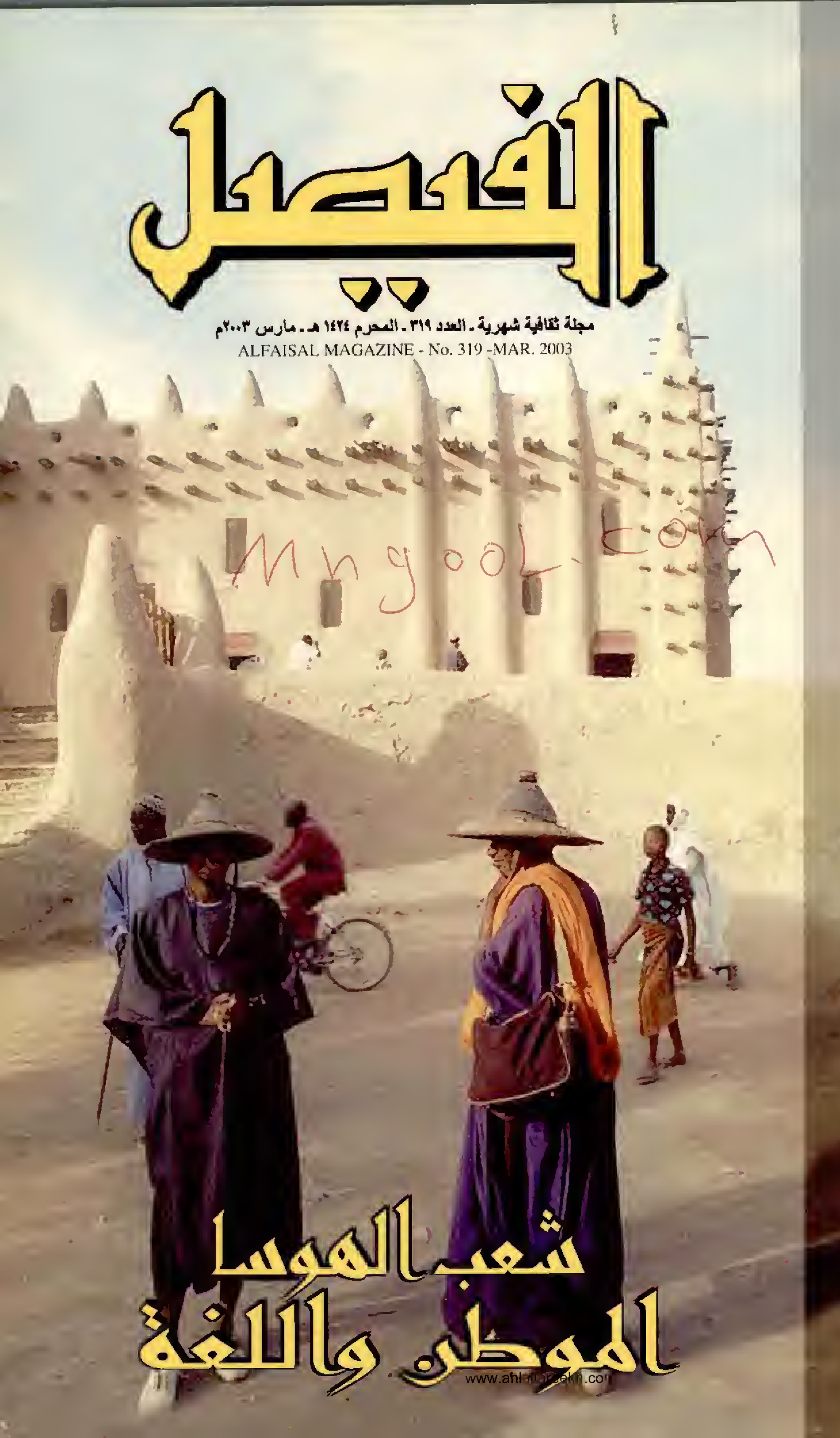
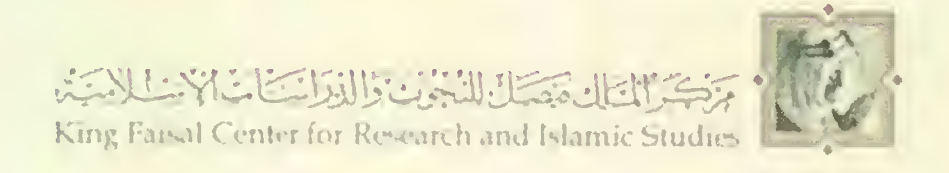


- سوق السبت في تنومة بني شهر.. عمره عشرة قرون
- الجامعة المفتوحة والتعلم الإلكتروني
- المشكوات: درة فن الزجاج الإسلامي
- اليونسكو وإنجازاتها في حقل الطفولة والمرأة
- حوار مع الخطاط الياباني هوندا

صدر حديثاً عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



The Precious Metals of West Arabia

and their role in forging the Economic Dynamic of the Early Islamic State

Gene W. Heck, Ph.D.

يطلب من : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

إدارة التسويق - ص ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٥٩٩٩٣



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا نقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢ - ٠٠، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٠٣٥ ١ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١ - ٩٦٣ - ٠٠، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٢١٦ - ٠٠، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٩٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٩٧٤ - ٠٠، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦ - ٩٦٢ - ٠٠، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣٦٢٨١ - ٩٧٣ - ٠٠، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٩٧١ - ٠٠، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٣٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٩٦٥ - ٠٠، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٢١٢ - ٠٠ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٩٦٧ - ٠٠ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







شعب الهوسا: الموطن واللغة

الهوسا كلمة تعني الموطن واللغة والشعب، وقد اختلفت الآراء حول أصل الهوسا، فهناك من يرى أن موطنهم الأصلي مصر، وهناك من يرجعهم إلى أصول بربرية، بينما يرى آخرون أن علاقتهم بالبربر لا تعدو أنهم قد عاشوا معهم في الصحراء الكبرى، وهناك أساطير عن أصل الهوسا.

وترتبط لغة الهوسا بصلات قربى باللغة العربية، وباللغات السامية، بل بسائر عشائر اللغات الإفريقية الآسيوية.

فماذا تقول الدراسات التي تناولت الهوسا؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

اهتمام

يطيب لي بداية أن أقدم جزيل شكري لاهتمامكم الجاد برسائل القراء كافة مما زادني رغبة في كتابة هذه الرسالة إليكم. وأنا على ثقة بأنها ستكون موضع اهتمام منكم مثل جميع الخطابات التي ترد إليكم.

وأبدأ مع باب رسائلكم، فأنا أقرأ خطابات الأصدقاء، وما تحوي من اقتراحات واستفسارات وطلبات .. فحبذا زيادة صفحاته إلى أربع صفحات على الأقل إن أمكن ذلك .

ثانياً: الكشاف الذي نحصل عليه في مطلع شهر رجب من كل عام مرفقاً مع المجلة ..أذكر أنكم وعدتم بعمل كشاف عام للمجلة وإصداره على C D كمبيوتر آمل أن يتم ذلك، وآمل أن يكون هناك C D يضم كل أعداد المجلة كاملة لمن فاته اقتناء الأعداد السابقة منها.

ثالثاً: المسابقة الثقافية التي لا يخلو عدد من الحديث عنها من تطوير وزيادة جوائزها، أرى أن نموذج أسئلة المسابقة ممتاز. أما الجوائز فنأمل أن تكون قيمتها متقاربة، وأن تكون جميعها جوائز نقدية .. أما الاشتراكات المجانية فلديَّ اقتراح وهو: عمل مسابقة عبارة عن كلمات متقاطعة أو مسألة شطرنج مثلاً، ويمنح الفائزون في هذه المسابقة اشتراكاً مجانياً أو مجموعة كتب .

ضحى محمد جمعة حاج علي
حلب ـ سورية

التحرير:
نشكر لك تواصلك مع المجلة، واهتمامك بما ينشر فيها، أما اهتمامنا برسائل القراء فواجب لا نستحق عليه شكراً؛ لأن المجلة تستمد مقومات الاستمرار والتطور من قرائها، وإذا كنا نرى صفحتي «رسائلكم» مناسبتين حالياً، فإننا نأمل أن نأخذ باقتراحك في مرحلة لاحقة بإذن الله في إطار رؤية تطوير شاملة للمجلة.

أما طرح كشاف عام للمجلة على C D، فهو مشروع في طور الإعداد، كما أن طرح أعداد المجلة في C D تفكير متقدم، نتمنى أن تسمح الظروف لتحقيقه، وبخصوص اقتراحاتك الخاصة بالمسابقة فسوف ننظر فيها؛ لأن هناك اتجاهاً لتطوير المسابقة شكلاً ومضموناً.

البلسم

قرأت مقالة الأخ الدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان المعنون «ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية»، بالعدد ٣١٤ لمجلة الفيصل الصادر في شعبان ١٤٢٣هـ.

أعجبت بالمقالة فتمتعت إذ ارتويت فانتشيت، وأعدها بلسماً لجراح المسلمين من عرب وغيرهم؛ لأن كثيراً من المسلمين مازالوا يجهلون الكثير عن دينهم فما بالك بغير المسلمين، بينما يوجد أعداء كثيرون للإسلام لا لشيء إلا لجهلهم لمعانيه ولأسراره وسماحته.

شخصياً استفدت كثيراً، وكم أتمنى لو أن كل مسلم في العالم يستطيع الحصول على مجلة «الفيصل» والاطّلاع على هذه المقالة البلسم!

وأدعو في إلحاح الكاتب الكريم أن يكتب على غرار هذه المقالة دراسة في موضوع الخمر؛ لأن هناك مسلمين لا يزالون يتعاطونها؛ ويجادلون في حرمتها قائلين: إن لفظة حرام فيما يخص الخمر لم ترد في القرآن، فالخمر هي رأس الكبائر؛ لأن الإنسان حين يسكر يفعل أي كبيرة.

مبروك صالح المناعي
بن عروس ـ تونس

التحرير:
نشكر لك هذا الإطراء على مقالة «ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية» الذي لاقى صدى كبيراً لدى القرّاء، وستطالع في أعداد المجلة القادمة مقالات للدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان وغيره من المفكرين الذين يغنون المجلة بمقالاتهم القيمة.

ملاحظتان

لي ملاحظتان على أعداد «الفيصل» أرجو النظر فيهما:

ـ لاحظت في أعلى الصفحات أن عنوان المقال أو البحث يأتي في الصفحة اليسرى، وكاتب المقال أو البحث في اليمنى أي أن اسم الكاتب قبل مقاله، والمفروض العكس.

ـ الرياض ـ السعودية، عبارة تتكرر بعد اسم الكاتب السعودي، وما دامت المجلة سعودية، وتصدر في الرياض، فيجب ـ في رأيي ـ أن تكتب الرياض ـ المملكة العربية السعودية؛ لأن غير السعودي هو الذي يقول (السعودية) فقط، خاصة أن (السعودية) تعني لنا الخطوط الجوية السعودية، وشكراً.

محمد عبد الله الحمدان
الرياض ـ السعودية

التحرير:

نشكر لك هاتين الملاحظتين، وفيما يخص الملاحظة الأولى، فإن العنوان الرئيس للمقال يتصدر المقال بخط عريض، ومن ثم لا ضير أن يأتي في التكرار الوارد في الصفحات الأخرى للمقال اسم الكاتب قبل المقال، علماً بأن المنهج المتبع هو أن يكون اسم الكاتب في الصفحة اليمنى، وعنوان مقاله في الصفحة اليسرى، مما يعني أن ما قلته لا ينطبق على جميع المقالات؛ لأن المقالة التي تبدأ في صفحة يمنى، يأتي عنوانها في الصفحة التي تليها مباشرة أي قبل اسم الكاتب.

أما فيما يخص اقتراحك بكتابة المملكة العربية السعودية، فكما قلت: إن المجلة تصدر في المملكة، وبياناتها مثبتة في الصفحة الثانية منها، ومن ثم لا داعي لتكرار الاسم تفصيلياً؛ لأن دلالته واضحة، ولا يمكن أن يذهب ذهن القارئ إلى الخطوط السعودية أو غيرها، وهكذا بالنسبة إلى الأسماء الطويلة كـ (دولة الإمارات العربية المتحدة) ، أو (جمهورية مصر العربية) إذ نكتفي بذكر (دولة الإمارات) و(مصر)؛ لأن ذهن القارئ لا يمكن أن ينصرف إلى غير ما أردنا، فالأمر واضح جداً، ولا يحتاج إلى اجتهاد كبير، وعموماً نشكر لك اهتمامك الكريم بمجلتكم، وبإبداء الرأي فيما ننشره.

تحية

لا توجد كلمات تعبر عن مدى تقديرنا للمجهود الكبير المبذول لإخراج هذه المجلة بهذا الشكل الرائع، ونحن نفتخر بها، وننتظرها مع بداية كل شهر، تحية إلى مجلة الفيصل .. تحية إلى كتابك وفنييك ومشرفيك ومخرجيك، وتحية إلى القراء الأعزاء، لهذا المستوى الرائع ..

نحن ـ قراءك ـ نتمنى أن تبقى لنا أبد الدهر منهلاً نتزود منه زاد النور والمعرفة.

مع أجمل الأمنيات.

محمد محمد البنداري
بورسعيد ـ مصر

التحرير:

نشكر لك هذه الإشادة، ونتمنى أن تكون المجلة عند حسن ظن قرائها، ونأمل أن تنال مرحلة التطور القادمة رضاهم، وننتظر أن تردنا آراء موضوعية تبين لنا الطريق نحو الأفضل.

ردود سريعة

الأخ منصور سليمان عبدالله ـ تعز ـ اليمن:

اقتراحك بأن يكون عدد أسئلة المسابقة ستة، ويجيب القراء عن خمسة منها، على أن تكون الاختيارات ثلاثة، أحد الاقتراحات الكثيرة التي نتلقاها من الإخوة القراء، ومن يطالع الآراء والمقترحات الخاصة بالمسابقة يصب بالحيرة؛ لأن كثيرين يرون المسابقة جيدة بصورتها الحالية، ولا صعوبة فيها، والدليل وصول عدد كبير من القراء إلى الإجابات الصحيحة، وعموماً هناك اتجاه لتطوير المسابقة على ضوء آراء الإخوة القراء.

أما اقتراحك بأن يكون هناك فراغ لكتابة رقم هوية المشارك لتسهيل صرف الشيك في حالة الفوز فإنه يستحق الأخذ به على الرغم من أنه لم تردنا أي مشكلة واجهت الفائزين في صرف شيكاتهم.

الأخت زمزم أبو الوفا إسماعيل ـ الأقصر ـ مصر:

نشكر لك تهنئتك بالعيد، أعاده الله على الجميع بالخير والبركة، ورسالتك ورسائل كثيرين من القراء المفعمة بالمشاعر الطيبة نحو المجلة كالتي تتابعينها منذ عددها الأول تحملنا مسؤولية كبيرة، وتدفعنا إلى بذل المزيد من الجهد من أجل ترسيخ هذا التواصل الحميم بين المجلة وقرائها الكرام.

الأخ أحمد عادل إدلبي ـ سورية:

نرحب بكل مشاركات الإخوة القراء، فمن شروط النشر في المجلة أن تتسم المقالة بجدة الموضوعات، ومن ثم لا مجال لنشر الخواطر، لذا نعتذر لك ونتمنى تلقي مشاركات قادمة تجد طريقها إلى النشر بإذن الله.

الأخ فقير سري محمد ـ الرياض ـ السعودية:

لقد نشرت المجلة عدداً من المقالات عن التراث النوبي، في إطار اهتمامها بالتعريف بالحضارات القديمة، وبالتراث الإنساني عامة، مما يعني أنه ليس هناك أي تقصير في هذا الجانب ، ومادامت المقالة المرسلة تتسم بالجدة والموضوعية فإنها تجد طريقها إلى النشر.



سوق السبت في تُنومة بني شهر.. عمره عشرة قرون

صالح بن علي أبو عرّاد
أبها - السعودية

تعد الأسواق الأسبوعية القديمة واحدةً من أبرز الظواهر الاجتماعية التي عرفها الإنسان في بلادنا. وهي ظاهرةٌ تشتهر بها المنطقة الجنوبية في المملكة حيث توارثت الأجيال فيها هذا النمط من الحياة الذي يُخصص فيه أحد أيام الأسبوع للقيام بمهمة التسوق، وممارسة مهنة البيع والشراء لمختلف السلع الاستهلاكية التي يحتاج إليها الإنسان في مجتمعه. لهذا فإن الأسواق الأسبوعية تحظى بعناية أبناء هذه المنطقة واهتمامهم منذ القدم؛ وليس أدل على ذلك من أن كل قبيلة أو بلدة تختص بأحد أيام الأسبوع ليكون يوم السوق لها. وكانت هذه الأسواق الأسبوعية تخضع للكثير من الأعراف القبلية الصارمة التي تُنظم شؤونها، وتكفل حمايتها، وتقوم بفك ما قد يقع فيها من خصوماتٍ أو خلافات بين روادها.

ويُعد سوق السبت في تُنومة بني شهر واحداً من أكبر الأسواق الأسبوعية وأشهرها والتي لاتزال محافظة على جزءٍ كبيرٍ من طابعها التراثي القديم في المنطقة الجنوبية.

موقع السوق

يقع سوق تُنومة بني شهر «في بلدة (سَبْتْ تُنومة) التي سُميت به، والتي تتوسط قرى تُنومة»(١). وهو السوق الأسبوعي الوحيد في



جزء من المكان المخصص لبيع الأغنام

قرى تَنومة بني شهر، ويُقام يوم السبت من كل أسبوع. ولذلك فإن هذا السوق يُعرف عند أبناء المنطقة باسم (السَبتْ) أو (سَبْتان).

وكان لهذا السوق الذي يأخذ شكلاً مربعًا تقريبًا، مساحة واسعة ومنبسطة من الأرض التي يفترشها كثيرٌ من الباعة (قديمًا) لعرض بضائعهم وسلعهم المختلفة، وقد ينصب بعضهم ما يُشبه المظلات التي يستظلون بها من أشعة الشمس الحارة وسط النهار؛ إضافة إلى كونه محاطًا من جميع الجهات بعددٍ من الدكاكين الصغيرة التي لا يزال العمل في بعضها مستمراً على الرغم من قدم بنائها وطابعها العمراني الأثري، إضافة إلى بعض المنازل السكنية التي تطل على باحة السوق مباشرة.

وكان من أبرز معالم هذا السوق مسجد جامع يقع في الجهة الشمالية منه، وكان مبنيًا بالحجارة



المكان المخصص لبيع الحبوب



بعض باعة الخضراوات في السوق



مصنوعات حديدية وتظهر في الصورة منارة الجامع الكبير الواقع في أحد أطراف السوق

والطين، ومسقوفًا بالأخشاب. وكان لهذا المسجد مدخلان أحدهما شرقي والآخر غربي، وكلاهما يؤدي إلى حرم المسجد الذي كان يشتمل على منارة صغيرة، وبئر ماء يرفع الماء منها للمتوضئين باستخدام الدلاء التي تُصب في مجرى ينقل الماء إلى ما يُشبه الأحواض الصغيرة ليتمكن أكبر عدد من الناس من الوضوء في وقت واحد.

كما كان في هذا السوق قديمًا شجرتان ضخمتان من نوع مثمر يسمى محليًا «الرُقَّاع» وله ثمر يؤكل يسمى «تين الرُقَّاع»، تقعان في زاويتين من زواياه هما الزاوية الشمالية الشرقية، والزاوية الجنوبية الغربية، وكان رواد السوق يقصدونهما ليستظلوا تحتهما من حرارة الشمس، أو لأخذ قسطٍ من الراحة أو نحو ذلك. وكانت إحداهما تسمى «الرَّاية»، ويُقصد بها المكان الذي يجتمع فيه الناس يوم السوق لسماع المواعظ، أو الأخبار المهمة، أو الإعلان عن أمرٍ ما، أو تعميم البيانات الحكومية.

وكان رواد هذا السوق (قديمًا) يفدون إليه مع القوافل التجارية من بيشة، وقرى تهامة، وأبها، وبللسمر، وبللحمر، والنماص، وبني عمرو، وبادية بني أثلة، وبلاد قحطان وغيرها. وهو سوقٌ معروف منذ أزمان قديمة جدًا، وربما كان واحدًا من أقدم الأسواق الأسبوعية التي عُرفت في شبه الجزيرة العربية، وهو ما أشار إليه الدكتور عبدالله أبو داهش في معرض حديثه عن تاريخ أسواق عسير الأسبوعية بقوله: «.. إلى غير ذلك من الأسواق الأسبوعية الشهيرة في جبال السراة مثل سوق السبت بتُنومة بني شهر الذي يعود قيامه إلى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة للهجرة»(٢). ومن هنا فإنه يمكن القول: إن عمر هذا السوق يزيد على ٩٧٥ سنة تقريبًا، وليس هذا بمستغربٍ إذا علمنا أن هذه المنطقة مأهولة بالسكان منذ قرونٍ طويلة.

مواعيد السوق ووظائفه

كان السوق قديمًا يبدأ مع بداية النهار ويستمر إلى قبيل الغروب من نهار يوم السبت، ويأتي إليه الناس مشيًا على الأقدام أو باستخدام الركايب من

الحيوانات كالجمال والحمير. وكان يرتاده الكثير من أبناء المنطقة الذكور والإناث وغيرهم، وكان مقسمًا إلى أماكن مخصصة لبيع البضائع والسلع؛ فهناك مكانٌ خاص لبيع الحبوب (البُر، والذرة، والشعير، وغيرها)، ومكان لبيع أنواع التمور، وكان المكان الخاص ببيع المواشي يُعرف بالمجلبة، وهناك مكانٌ لبيع السمن والعسل ونحوهما، ومكانٌ مخصصٌ لبيع الحطب والأعلاف والنباتات العطرية، كالرياحين، والبرك، والكادي، وأنواع الورد وغيرها. كما أن هناك أماكن خاصة لصناعة الأدوات الحديدية وبيعها والتي غالباً ما تُستعمل في الزراعة.

الطريف في الأمر أن السوق لاتزال قائمة، ولكنها تحولت في الأعوام الأخيرة من يوم السبت إلى يوم الجمعة؛ وذلك لانشغال الأهالي بالأعمال الوظيفية «ولأن في أحد أطراف السوق (الجهة الجنوبية الغربية) جامعًا كبيرًا يأتي إليه الناس لصلاة الجمعة ثم ينتشرون بعد الصلاة في هذه السوق، مما يغنيهم عن إقامتها مرة أخرى صباح يوم السبت»(٣).

الغزل التقليدي

جدير بالذكر أنه كان للسوق الكثير من الوظائف الاجتماعية، والتعليمية، والسياسية، فهو يوم المقاضاة، والمحاكمة، وإبلاغ إعلانات الحكومة، وإعلان قواعد القبائل للناس، وهو يوم تأديب المجرمين، وقضاء الحوائج، وتناقل الأخبار، وتحديد مواعيد المناسبات المختلفة. ولذلك فإن يوم السوق في تُنومة كان إلى عهدٍ قريبٍ يمثل يوم العيد الأسبوعي الذي يلتقي فيه أبناء القبائل من أهل تنومة وغيرهم لغرض البيع، والشراء، وقضاء الحاجات، وتبادل المنافع، فيقومون بجلب الأغنام، والأبقار، والجمال، والمنتجات



صورة حديثة لسوق السبت



بعض أنواع الحبوب والتوابل

الزراعية والحيوانية، والمصنوعات المحلية، لبيعها وشراء ما يحتاجون إليه من طعام، وكساءٍ، ومواشٍ، وأغراضٍ منزلية أخرى.

سوق سبت تنومة في كتب التاريخ

ورد ذكر سوق السبت بتُنومة بني شهر في عدد من كتب التاريخ الحديث؛ فقد أشار إليه سليمان شفيق باشا في مذكراته بقوله: «وقد أطلقنا في سوق السبت مدافع التحية من ثلاثة مواقع، واحداً وعشرين مدفعاً من كل موقع إعلاماً للأهالي بوصولنا»(٤).

وقال: «إن سوق السبت من منازل «بني أثلة» أحد أفخاذ بلحارث.. وإنما سميت هذه البلدة «سوق السبت» لأنه يُقام فيها في كل يوم سبت سوق عظيمة تقصدها القبائل من جميع الأطراف لتبيع فيها ما تأتي به من نتاجها، وتشتري ما يُعرض فيها من الأقمشة والكاز (أي



صورة قديمة لجانب من سوق السبت

الجاز وهو الكيروسين) والبنادق الحربية والرصاص»(٥).

كما أشار إلى سوق السبت في تُنومة أحد الرحالين الأوربيين وهو السير كيناهان كورنواليس Sir Kinahan Cornwallis بقوله: «إنه السوق الرئيسي لبني شهر، ومركزٌ تجاريٌ



جزء من الدكاكين وأمامها بعض السلع المعروضة



التمور إحدى السلع المتوافرة في السوق



جانب من قسم الفواكه

مهمٌ للبدو الشرقيين الذين يجلبون البلح والخيول والجمال ويقايضونها بالقمح والحبوب»(٦).

وذكرها فؤاد حمزة بقوله: «ولقبيلة بني شهر أسواق أسبوعية شهيرة». ذكر منها: «سوق تُنومة في قرية آل صفوان - يوم السبت»(٧).

العملات النقدية المستخدمة في السوق قديمًا

هناك عدد من العملات النقدية التي عرفها أبناء تُنومة في معاملاتهم التجارية قديمًا؛ فقد ذكر أحد المعمرين من أبناء تُنومة وهو الشيخ عبدالكريم بن عبدالرزاق بن محمد الشهري، في لقاء أجرته معه (مجلة الجنوب) أن من العملات القديمة «الريال الفرنسي (وهو ما يُسمى بريال ماريا تريزا)، والجنيه العُصْمَلّي (العُثماني)، والريال المَجيدي للدولة العثمانية، والجنيه البِشْري، والجنيه الفرنجي (الإنجليزي)، والبُرْمْ لأهل المشرق، والروبية للهند، والريال العربي من الفضة»(٨).

وعلى الرغم من أن السوق كان بمنزلة المكان الرئيس لإجراء العمليات التجارية، إلا أن عملية البيع والشراء - قديمًا - لم تكن محصورة في السوق فحسب، بل كان هناك بعض الباعة المتجولين الذين يذهبون لعرض بضائعهم البسيطة وبيعها في القرى إما باستخدام الدواب وإما سيرًا على الأقدام، وعادةً تكون هذه البضاعة من أنواع الأقمشة، والعطور والأطياب، والشيال والمناديل النسائية، والحناء، وبعض الملبوسات.

المكاييل والأوزان المستخدمة قديمًا

كانت تستخدم في هذا السوق بعض الأوزان والمكاييل والمقاييس المعروفة محليًا، وقد أشار إلى ذلك الدكتور غيثان بن علي بن جريس بقوله:

«المكاييل التي تستعمل لكيل المنتجات الجافة أمثال الحبوب وغيرها، هي: المد، ويساوي ثلاث أقق، والصاع، ويساوي أربعة أمداد، والفَرَق، ويساوي ثلاثة أصواع أو اثني عشر مدًا، وأغلب هذه الأواني كانت مصنوعة من الخشب، ويقوم بصناعتها النجارون المحليون من أهل البلاد»(٩).

كما أن من المكاييل المستخدمة قديمًا نصف المد، والرُبعَه، (وهو مكيال خشبي سعته ربع المد)، والثمْنَه، (وهي مكيال خشبي سعته ثُمن المد). كمَا كان هناك (الرَطْل والأوقية) من الأوزان. ويضاف إلى ذلك (الحفنة) وهي ملء راحتي اليدين من الحبوب مثلاً.

أدوات القياس المستخدمة قديمًا

لم يكن أبناء المنطقة يستخدمون أدوات خاصةً بالقياس في الماضي، وإنما كان الاعتماد على بعض الأدوات والوسائل البدائية، وهو ما يُشير إليه الدكتور غيثان بن علي بن جريس بقوله: «لم يكن هناك أدوات تستخدم في القياس، كالمتر والكيلومتر إلا بعد ظهور الحكم السعودي الحالي، وخصوصًا في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الرابع عشر، لكن الأراضي الزراعية والمواقع التي تقام عليها المساكن كانت تقاس بالخطوة أو القدم عند الرجال»(١٠).

أما الأدوات التي كانت مستخدمة للقياس والتي يستعملها التجار لقياس الأقمشة غالبًا فمنها الذراع، والباع، والهِنداسة، وهو ما أشار إليه علي أحمد عيسى عسيري بقوله: «أما بالنسبة للوحدة الطولية للقياس، فقد استعمل السكان الذراع، والباع (طول ما بين الكتف الأيسر إلى رأس إبهام اليد اليمنى مثلاً)، وكان يعتبر ذلك القياس شيئًا متعارفًا عليه في قياس الأقمشة المختلفة، كما كان السكان يستعملون قياسًا معروفًا يُسمونه هِنْداسة (وهي قطعة حديدية رفيعة)، ويبلغ طوله ٧٠سم»(١١).

يضاف إلى ذلك ما جرت به العادة من استخدام الشِبْر (طول ما بين رأس الإبهام إلى رأس الإصبع الصغرى المسماة الخنصر)، والفِتْر (طول ما بين رأس الإبهام ورأس الإصبع الشهادة) في قياس الأطوال. وليس هذا فحسب فمن وسائل القياس المستخدمة قديمًا لبيع الأقمشة ما يُعرف بالحُدرة وهي وسيلة قياس يستخدم فيها الإنسان إحدى يديه مفتوحةً للقياس، ويبلغ طولها للرجل البالغ العادي من رأس إبهام اليد اليمنى إلى الكتف الأيسر مع مراعاة أن يكون القماش في حالة القياس مثنيًا، بمعنى أن طول الحُدرة الواحدة متران تقريبًا.

وأخيرًا، فإن هذا السوق بتاريخه العريق ليس إلا واحدًا من الأسواق الأسبوعية الكثيرة التي تنتشر في قرى بلادنا الغالية ومدنها؛ لتحكي للأجيال قصصًا من تراثنا الخالد الذي نحن في أمس الحاجة إلى تعرفه وتسليط الضوء عليه.

الهوامش والمراجع

١ـ تنومة بني شهر، ضمن سلسلة (هذه بلادنا)، رقم ٤٦، صالح بن علي أبو عرُاد، الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الإدارة العامة للنشاطات الثقافية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٦١.

٢ـ من تاريخ أسواق عسير الأسبوعية (دراسة وثائقية موجزة)، عبدالله أبو داهش، حوليات سوق حُباشة، جازان: نادي جازان الأدبي، العدد(٣)، السنة ٣، ١٤١٩هـ/١٤٢٠هـ ص٢٠٦.

٣ـ صالح بن علي أبو عرُاد، مرجع سابق، ص٦٢.

٤ـ مذكرات سليمان شفيق باشا: متصرف عسير، سليمان شفيق باشا، جمع وتحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، أبها: النادي الأدبي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص١٧٤.

٥ـ المرجع السابق، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

٦ـ عسير قبل الحرب العالمية الأولى، السير كيناهان كورنواليس، نيويورك وكاميردج، ١٩٧٦م، ص٤٩ ـ ٥٠.

٧ـ في بلاد عسير، فؤاد حمزة، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص١٦٢.

٨ـ معمر يقول، صالح أبو عرُاد، مجلة الجنوب. السنة الثانية، العدد ١٥، أبها: الغرفة التجارية الصناعية، ١٤٠٥هـ ص ص ٣٠ ـ ٣١.

٩ ، ١٠ـ بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، غيثان بن علي بن جريس، أبها: مازن للطباعة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٢٥.

١١ـ عسير من (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م ـ ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) دراسة تاريخية، علي أحمد عيسى عسيري، أبها: النادي الأدبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٤١٢.

الجامعة المفتوحة والتعلّم الإلكتروني

علي القاسمي
الرباط ـ المغرب

على الرغم من أن التعليم العالي قد حقق نمواً ملحوظًا في مجالاته ومستوياته في البلاد العربية، فإننا نجد أعداداً متزايدة من الطلاب تحتشد في بداية كل عام دراسي على أبواب الجامعات والمعاهد العليا أملاً في تحقيق الحلم الذي يراود كل فتى وفتاة، في تنمية الذات، والمشاركة في معركة البناء والنماء، وضمان غدٍ أفضل ومستقبل مشرق.

ولكن مؤسسات التعليم العالي لا تستطيع مواجهة الضغط المتزايد عليها، ولا تستوعب إلا نسبة محدودة من الراغبين في مواصلة تعليمهم، مما يضطرها إلى أن تقبل أعداداً من الطلبة تفوق طاقتها الاستيعابية على حساب نوعية التعليم، وفي الوقت نفسه، تخلّف استياء في نفوس المحرومين من ولوجها. ويشير إحصاء أجري خلال العام الدراسي ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨م إلى أن أكثر من ٦٢٣ ألفًا من خريجي المدارس الثانوية في الوطن العربي، (٢٠ دولة عربية) لم يتمكنوا من الحصول على مقاعد في الجامعات(١).

ولعل من أهم الأسباب الكامنة وراء ثورة الطلبة في فرنسا عام ١٩٦٨م عدم تمكن الجامعات الفرنسية من التطور كماً وكيفًا لاستيعاب الأعداد المتصاعدة من جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، وإخفاقها آنذاك في مسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية لتتفاعل إيجابياً مع محيطها الاجتماعي والاقتصادي، وتستجيب لاحتياجات الطلاب المنخرطين فيها.

التعليم عن بُعد والجامعة المفتوحة

إبان انتشار الأفكار الديمقراطية في النصف الأول من القرن العشرين، وتصاعد الدعوات إلى تحقيق عدالة الفرص التعليمية أمام جميع المواطنين، وعدم اقتصار التعليم الجامعي على الميسورين من أبناء المدن، فكّر بعضهم في التعليم بالمراسلة وسيلة لتقريب المعاهد التعليمية المتمركزة في الحواضر الكبرى من جميع الراغبين في التعلم حيثما كانوا، وكيفما كانت ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية. كما أخذت بعض الجامعات بنظام الانتساب الذي لا يلتحق فيه الطالب بالحرم الجامعي بعد قبوله، وإنما يتكفّل بدراسة المنهج المقرر بنفسه في مكان عمله أو سكنه ثم يتقدم لامتحانات آخر العام الدراسي في مقرّ كليته.

وقد ساعد التفاعل بين نظريات التعلم والتكنولوجيا على ظهور الجامعة المفتوحة في بريطانيا حيث بدأت الدراسة الفعلية فيها عام ١٩٧١م. وتختلف هذه الجامعة عن بقية الجامعات التقليدية من حيث فلسفتها

التربوية وأهدافها وشروط القبول فيها وهيكلتها ومناهجها وهيئتها الأكاديمية. فالجامعة المفتوحة هذه تنطلق من فكرة ضرورة توفير التعليم الجامعي لجميع المواطنين الراغبين فيه القادرين عليه، تمشياً مع مبدأي التعليم للجميع، والتعليم مدى الحياة، أو ما يسمى أحياناً بالتعليم المستمر. ولهذا فإن الجامعة المفتوحة لا تتقيد بشروط القبول التقليدية التي تتبناها الجامعات الأخرى مثل المؤهلات الدراسية السابقة، والعمر، والجنس، والأجور الدراسية، وغيرها. والشرط الوحيد هو وجود القدرة لدى الطالب على متابعة الدراسة، فالجامعة تفتح ذراعيها لجميع المحرومين من التعليم العالي بسبب عوائق اجتماعية أو مادية أو جسدية.

أما من حيث هيكلة الجامعة المفتوحة، فقد تخلت تماماً عن الفصول أو الأقسام التقليدية التي يدرس فيها الطلاب، كما ألغت المحاضرات التي يلقيها أساتذة الجامعات في قاعات الدرس؛ وألغت كذلك نظام تفرغ الطلبة للدراسة، ووفرت لهم فرص التعلم دون أن تشل نشاطهم الإنتاجي، أو تضطرهم إلى مغادرة مقرات سكناهم.

طرائق تدريسية مبتكرة

ولهذا كله فقد لجأت الجامعة المفتوحة إلى طرائق تعليمية مبتكرة تقوم أساساً على التعلّم الذاتي الذي يمارسه الطلاب أنفسهم، لا عن طريق دراسة الكتب والمواد التعليمية المسجلة التي تبعث بها الجامعة المفتوحة إليهم فحسب، وإنما كذلك عن طريق متابعة البرامج الإذاعية والتلفازية التي تبثها الجامعة المفتوحة بانتظام في أوقات معلومة مناسبة. وتُدعَم تلك البرامج بدورات صيفية قصيرة تنظمها الجامعة المفتوحة لطلابها مدة أسبوع واحد في العام لكل مادة. وتنتشر المراكز الإقليمية (الجهوية) التابعة للجامعة المفتوحة في البلاد حيث يتمكن الطلبة من ولوجها لاستشارة أساتذة متخصصين في ما يستعصي عليهم فهمه. كما تزود الجامعة المفتوحة كل طالب بعناوين بقية الطلاب لتيسير التفاعل بين المتعلمين القاطنين في منطقة واحدة. ويتألف برنامج التخرج في الجامعة المفتوحة من ست مواد أو ثمان يسمح للطالب بدراسة مادتين في العام كحد أقصى.

وقد أصاب هيئة التدريس ووظيفتها في الجامعة المفتوحة تغيير جذري؛ فلم تعد تتكون من الأساتذة المحاضرين ومساعديهم، وإنما حلّ محلهم فريق مركزي لإعداد المواد التعليمية المطبوعة والبرامج الإذاعية والتلفازية. ويساعد هذا الفريق متخصصون يعملون في المراكز الإقليمية للتفاعل المباشر مع الدارسين وتقديم المشورة لهم.

يكون الصراع في هذا القرن بين الرؤية المستقبلية المسلحة بالعلم والتكنولوجيا والرؤية الماضوية اللصيقة بأنماط تربوية قديمة. وستُقاس ثروة الأمم لا بما تختزنه أرضها من معادن، وإنما بما تكتنز عقول أبنائها من معارف وتقنيات

واستفادت الجامعة المفتوحة مما حدث من تطورات في مجال التعلم الذاتي في الستينيات من القرن العشرين، وخاصة التعليم المُبرمج الذي يساعد الطالب على استيعاب المادة العلمية وإتقانها بمفرده. وكان التعليم المبرمج قد نتج من تفاعل نظريات التعلم مع تكنولوجيا التربية، ويقوم على أربعة أسس هي: تحديد الأهداف التعليمية بدقة، وتحديد المستوى المعرفي المدخلي للمتعلم، وبرمجة العملية التدريسية بحيث تُرتب المادة من السهل إلى الصعب ويشارك المتعلم مشاركة إيجابية فعالة في دراستها، وأخيراً التقويم المستمر لتحصيل الطالب المرحلي وللأهداف التعليمية المنجزة.

انتقادات موجهة للجامعة المفتوحة

لقد تعرضت فكرة الجامعة المفتوحة لموجة من الانتقادات، في طليعتها أنها عاجزة عن القيام بوظائف الجامعة كاملة غير منقوصة. فمعروف أن

للجامعة ثلاث وظائف أساسية هي: التعليم، والبحث العلمي، والانفتاح على محيطها الاجتماعي والاقتصادي، والاستجابة لاحتياجاته عن طريق إجراء البحوث العلمية المطلوبة، وإعداد القيادات البشرية اللازمة. والجامعة المفتوحة لا تضطلع بإجراء البحوث العلمية تاركة تلك المهمة للجامعات التقليدية. وقيل أيضا إن الجامعة المفتوحة تُزيّف التعليم العالي؛ لأنها لا تتيح لطلابها فرصة التفاعل المباشر مع الأساتذة والمحاضرين، كما تلغي فرص التفاعل بين الطلاب أنفسهم، فهي لا تتوفر على الحرم الجامعي. إضافة إلى ذلك فإن الجامعة المفتوحة تلغي المكتبة الجامعية التي هي بمنزلة الروح من الجسد في مؤسسات التعليم العالي.

الجامعة المفتوحة تهيئ فرصة التعليم لكل الراغبين من دون شروط

الجامعات المفتوحة في البلاد العربية

وإذا كانت بعض الجامعات في الوطن العربي قد أخذت منذ الخمسينيات بنظام الانتساب ـ وهو نوع من الدراسة المفتوحة ـ لعدم كفاية تجهيزاتها من قاعات ومختبرات، فإن فكرة الجامعة المفتوحة لم تلقَ لها تطبيقاً في أقطارنا ما عدا فلسطين. فقد فرضت ظروف الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، والإجراءات التعسفية التي تمارسها سلطاته لعرقلة انتقال المواطنين والحدّ من تحركاتهم، والسياسات التجهيلية التي تتبعها والمتمثلة في الإغلاق المتكرر للجامعات والمدارس ـ فرضت على الفلسطينيين إنشاء جامعة القدس المفتوحة التي بدأت الدراسة فيها عام ١٩٨٥م، وخرّجت أول دفعة من الطلاب عام ١٩٩٠م. وتقوم هذه الجامعة بإرسال المواد التعليمية المطبوعة والمسجلة إلى طلابها، وبثّ البرامج الإذاعية والتلفازية. واضطلع برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية بإجراء دراسات جدوى وعقد ندوات علمية للمتخصصين تمهيداً لإنشاء جامعة عربية مفتوحة.*

وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) قد عقدت ندوة خبراء لدراسة إمكانية قيام الجامعة العربية المفتوحة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٧٩م، ونشر الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار التابع للمنظمة بحوثها وتوصياتها في بغداد عام ١٩٨١م. وكانت المنظمة تأمل في الاستفادة من الساتل (القمر الصناعي) العربي للاتصالات في بث برامج الجامعة المفتوحة عند إنشائها. ولكن المشروع لم ير النور في حينه. ثم أدت التطورات الأخيرة في تكنولوجيا الاتصال إلى أن تتبنى المنظمة مشروعاً جديداً في ميدان التعليم المفتوح هو مشروع الشبكة العربية للتعليم عن بُعد.

لقد جعلت التطورات المتلاحقة في تكنولوجيا الاتصال من الجامعة المفتوحة بوسائلها التي مرّ ذكرها مؤسسة متخلفة عن روح العصر ليس أمامها إلا غلق أبوابها أو تحديث نفسها بتبني تقنيات التعليم عن بُعد التي تتيحها تكنولوجيا الاتصال الجديدة. فالجامعة

المفتوحة تقوم على الإعلام، أي إرسال المعلومات إلى الطلاب على شكل كتب مطبوعة أو برامج إذاعية وتلفازية. والإعلام يكون في اتجاه واحد من مُرسل إلى متلق، دون أن يتمكن المرسل من معرفة مصير المعلومة ودون أن يتاح للمتلقي الاستجابة أو التعبير عن رأيه أو الاستفسار عما يعنّ له. أما تكنولوجيا الاتصال فقد أحدثت نقلة نوعية في تداول المعلومات، إذ أصبح الاتصال، أو التواصل بلفظ أدق، يتم بين طرفين أو أكثر بسرعة البرق، فأُلغيت المسافات المكانية والزمانية بين المتواصلين. وهكذا فإن الفرق بين الإعلام والاتصال ليس فرقًا في المصطلح فقط، وإنما فرق في المفهوم كذلك. وينبغي الإشارة هنا إلى أن تكنولوجيا الاتصال أحدثت ثورة حقيقية في العملية التربوية برمتها، خاصة في أساليب التفكير والبحث، وتقنيات التنظيم والتسيير، والعلاقات بين قوى الإنتاج.

ولهذا كله فقد أخذ الحديث اليوم يدور على التعليم عن بُعد أكثر من التعلم الذاتي. وتستطيع الجامعة المفتوحة طبعًا أن تطور نفسها وتتبنى تقنيات التعليم عن بُعد التي توفرها تكنولوجيا الاتصال الجديدة، لتمنح بذلك تعليماً جامعياً أفضل وأنجع لأبناء الفئات المحرومة التي تحول ظروفهم دون التحاقهم بالجامعات التقليدية، وكذلك لتوفر لجميع العاملين في قطاعات الإنتاج المختلفة فرصة التدريب المستمر تمكيناً لهم من المشاركة بصورة فاعلة في عملية التنمية الشاملة.

التعلّم الإلكتروني
والجمع بين العمل والدراسة

إذا كنت تسكن، قبل عشر سنوات، في مدينة من المدن الصغيرة، وأردتَ أن تحصل على شهادة جامعية أعلى، أو أن تحسّن معلوماتك المهنية لتواكب التحولات المعرفية العميقة في سوق العمل، فعليك أن تتخلى عن عملك ومسكنك، وتلتحق بإحدى الجامعات القريبة لاستئناف دراستك. أما اليوم فإن باستطاعتك أن تلتحق بأرقى الجامعات في العالم التي يؤطّرها أشهر الأساتذة، وتحصل على شهادة معترف بها، دون أن تغادر منزلك أو تتخلى عن عملك. فقد أتاحت التطورات السريعة التي طرأت على تكنولوجيا المعلومات والاتصال الفرصة للجامعات لتضع برامجها الدراسية في متناول الراغبين أينما كانوا، واكتساب التأهيل العلمي والتقني اللازم، والحصول على الشهادة المطلوبة، عن طريق التعلّم الإلكتروني.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، يقوم ٢٠٠٠ من مؤسسات التعليم العالي ببث برنامج (مسار دراسي) واحد على الأقل من برامجها على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت). ويشكل هذا العدد نسبة ٧٠٪ من الجامعات الأمريكية. ويُتوقع أن ترتفع هذه النسبة عام ٢٠٠٥م إلى ٩٠٪. وتتفاوت هذه الجامعات في عدد البرامج الدراسية التي تقدّمها على الشبكة والتخصصات التي تتيحها. فمعهد روجستر التكنولوجي يقدّم خمس شهادات جامعية في العلوم، وجامعة ألنوي تقدّم ١٠ شهادات مختلفة في المرحلة الجامعية الثالثة تشتمل على ٢٢٠ برنامجًا، وتغطي تخصصات مختلفة مثل إدارة الأعمال، والتسويق، وبرمجة الحاسوب، وغيرها(٢).

الفرق الأساسي بين التعليم عن بعد والتعلّم الإلكتروني يكمن في أن دور المتعلم - في النوع الأول - يبقى دوراً سلبيًا، أما في التعلّم الإلكتروني فإنه يشارك في العملية التربوية خطوة خطوة

طبيعة التعلّم الإلكتروني

ويغطي مصطلح «التعلم الإلكتروني» أنواعًا متعددة من التعليم والتدريب عن بُعد، تتم بواسطة الحاسوب، سواء أكانت المادة التعليمية مسجلة على أقراص مرنة أو مدمجة، أم تصل إلى حاسوب المتعلم بواسطة شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) أو شبكة المعلومات الوطنية أو الإقليمية (الإكسترانت)، أو تبثها إليه الأقمار الصناعية أو محطات التلفزة، ويكون محتوى المادة الدراسية مسموعاً أو مقروءاً أو مرئيًا.

وينصرف الفكر عند سماع مصطلح «التعلّم الإلكتروني» إلى نوعين من التعليم عن بُعد هما: التعلّم الحيّ في فصل (قسم أو مختبر) افتراضي، والتعلم المبرمج الذي يتلقاه الشخص عن طريق الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت). وفي كلا النوعين يختار المتعلم المكان الذي يتعلم فيه (في المنزل أو في الشركة)، والوقت الذي يتعلم فيه (في أثناء العمل أو بعد أوقات الدوام)، والسرعة التي يتعلم فيها (ساعة واحدة أو عدّة ساعات يوميًا).

وإذا كان التعلّم الإلكتروني نوعًا من أنواع التعليم عن بُعد، فهو يختلف عنه من حيث طبيعة العملية التربوية، والمضمون، والمنهجية، والتقويم. فالفرق الأساسي بين التعليم عن بعد والتعلّم الإلكترونيّ يكمن في أن دور المتعلم - في النوع الأول - يبقى دورًا سلبيًا، إذ يتلقى المعلومات دون أن يشارك في الدرس أو يتفاعل مع المادة التعليمية. أما في التعلّم الإلكتروني فإنه يشارك في العملية التربوية خطوة خطوة، فقد أتاحت تكنولوجيا المعلومات والاتصال إمكان إجابة المتعلم عن كل سؤال يوجهه إليه الأستاذ الذي يراه على شاشة الحاسوب، والحصول في الحال على نتيجة إجابته لتعزيز الإجابات الصحيحة وتشجيع المتعلم. فالفرق كبير بين التعليم والتعلّم.

أما من حيث المضمون والمنهجية المتبعة، فإن المادة التعليمية، في التعليم عن بُعد، معدّة لجميع المنخرطين بينما يتغير محتوى المادة وطريقة عرضها من فرد إلى آخر ومن مرحلة تعليمية إلى أخرى، في التعلّم الإلكتروني، طبقاً لقدرات المتعلم واحتياجاته الآنية والمستقبلية. وهذا ما سماه الدكتور محمد مصطفى القباج بـ «فردنة التعليم»(٣).

وأما من حيث التقويم، فإن معظم أنواع التعليم عن بُعد تقوّم إنجازات الطالب في نهاية البرنامج، بينما التقويم في التعليم الإلكتروني هو طريقة منتظمة مستمرة لجمع المعلومات عن تأثير التعلّم وفاعليته، بحيث تُستخدم نتائج التقويم لتحسين التعليم نفسه فوراً، أو لمعرفة ما إذا كان المتعلّم قد حقق أغراضه، أو لقياس قيمة التعلّم الإلكتروني للمؤسسة التي استخدمته(٤).

فالتعلّم الإلكتروني هو طريقة ثورية لتزويد القوى العاملة بالمهارات والمعرفة التي تحتاج إليها لتحويل التغيرات المستمرة في سوق العمل لمصالحها. فنماذج التعليم في العالم القديم لم تعد قادرة على مواجهة تحديات العالم المعلوماتي الجديد وسوق العمل المعولمة. والتعلم الإلكتروني يقدّم لنا الوسائل الكفيلة بمواجهة تلك التحديات.

إن التعلّم الإلكتروني يزاوج بين تكنولوجيا الاتصال، والتربية، والمعلومات، والتدريب؛ ويُعدّ عنصرًا جوهريًا في إستراتيجيات الاقتصاد الناجح. فالاقتصاد الشبكي الجديد (نسبة إلى شبكة الإنترنت) يتطلب تطوير معرفة الأفراد العاملين وتحديثها باستمرار. ويعتمد نجاح تقدم الأمم والأقطار، والشركات على قدرتها على صُنع المعرفة وتقاسمها، واستثمارها بفاعلية في الاقتصاد الشبكي الحديث القائم على المعرفة(٥).

نماذج التعليم في العالم القديم لم تعد قادرة على مواجهة تحديات العالم المعلوماتي الجديد وسوق العمل المعولمة. والتعلم الإلكتروني يقدّم لنا الوسائل الكفيلة بمواجهة تلك التحديات

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن تحصيل الفرد من التعلّم الإلكتروني يعتمد على مضمون هذا التعلم ووسائط تلقّيه. فكلما كان محتوى التعلّم ووسائطه مناسبة لغايات المتعلّم، كان التحصيل أكبر، والنتائج أفضل.

والتعلّم الإلكتروني لا يُخرج العملية التربوية بالضرورة من أسوار المدرسة، وإنما يمكن أن يُستخدم داخل جدران القسم، فيزيد من فاعلية التعلّم بفضل المضمونات الجديدة، والطرائق التكنولوجية الحديثة التي تُسهّل التعلم وتسرع به(٦).

اهتمام الغرب بالتعلّم الإلكتروني

سيكون الصراع في هذا القرن بين الرؤية المستقبلية المسلحة بالعلم والتكنولوجيا والرؤية الماضوية اللصيقة

بأنماط تربوية قديمة. وستُقاس ثروة الأمم لا بما تختزنه أرضها من معادن وإنما بما تكتنز عقول أبنائها من معارف وتقنيات. ولهذا فإن دول الغرب سارعت لاقتناص الفرص التربوية الجديدة الهائلة التي أصبحت متاحة بفضل التطورات العملاقة في تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التسعينيات من القرن العشرين.

ففي عام ١٩٩٦م أعلن وزير التربية في الولايات المتحدة الأمريكية الخطةَ القومية الأولى لتكنولوجيا التربية، وهي ترمي إلى تهيئة طلاب أمريكا لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. وتتضمن هذه الخطة استعمالاً فعالاً للتكنولوجيا في المدارس الابتدائية والثانوية من أجل إعداد تربوي أفضل للاستجابة لمتطلبات سوق العمل والاقتصاد الأمريكي الجديد.

وفي عام ١٩٩٩م، تمت مراجعة جذرية لتلك الخطة القومية، وأعلنت وزارة التربية الأمريكية التزامها تحقيق الأهداف الجديدة الآتية:

الأول: جميع الطلاب والمعلمين سيستخدمون تكنولوجيا الاتصال في أقسامهم ومدارسهم ومنازلهم.

الثاني: جميع المعلمين سيستعملون التكنولوجيا بصورة فعّالة لمساعدة طلابهم على بلوغ مستويات أكاديمية رفيعة.

الثالث: جميع الطلاب سيكتسبون مهارات تكنولوجيا الاتصال في المدارس الابتدائية (وهو ما أسمته الخطة بـ «محو الأمية الحاسوبية»).

الرابع: يضطلع البحث العلمي والتقويم بواجب تحسين الجيل القادم من التطبيقات التكنولوجية في التعليم والتعلّم.

الخامس: تؤدي المضمونات المعرفية الرقمية والتطبيقات الشبكية إلى تغيير نظرتنا إلى العملية التربوية، تعليماً وتعلماً، وتجري عليها تغييراً جذريا(٧).

وتدل الإحصاءات على أن الحكومة الأمريكية تعمل على تنفيذ هذه الخطة. ففي عام ١٩٩٩م، أنفقت أمريكا ما مقداره ١ر١ بليون دولار على التدريب الإلكتروني. وفي عام ٢٠٠٠م، تضاعف هذا المبلغ ليصل إلى ٢ر٢ بليون دولار، وتشير التقديرات إلى أن الإنفاق على التدريب الإلكتروني سيبلغ ٤ر١١ بليون دولار عام ٢٠٠٣م. وسيكون ٦٠٪ مما ينفق على مجمل التدريب مخصصاً للتعلّم الإلكتروني(٨).

ومن الأمثلة على هذا التدريب بواسطة التعلّم الإلكتروني، يُذكر أن وزارة البحرية الأمريكية اختارت شركة Thinq learning Solutions لتدريب ٢ر١ مليون فرد من منتسبي الوزارة، وأفراد عائلاتهم، ومنهم البحارة، والمتقاعدون، والاحتياط، والعاملون في البواخر والغواصات والوحدات الأخرى التابعة للوزارة. أما وزارة الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكية فقد اختارت هي الأخرى الشركة نفسها لتوفير التعلّم الإلكتروني لـ ٦٥٠٠٠ موظف يعملون في وكالاتها الإحدى عشرة(٩). وفي الوقت الذي تستفيد فيه شركات الحاسوب والبرمجة من البحث العلمي في الجامعات الأمريكية، فإن هذه الجامعات تستعين بتلك الشركات الحاسوبية والبرمجية، مثل ميكروسوفت وسيسكو وأوركل، لتصميم البرامج الجامعية الخاصة بالتعلّم الإلكتروني.

باستطاعتك اليوم أن تلتحق بأرقى الجامعات في العالم التي يؤطّرها أشهر الأساتذة، وتحصل على شهادة معترف بها، دون أن تغادر منزلك أو تتخلى عن عملك

وأولى الاتحاد الأوربي أهمية كبرى للتعلم الإلكتروني. وأعلنت المفوضية الأوربية في بروكسل أنها ترمي من وراء مبادرتها الخاصة بتعميم التعلّم الإلكتروني في أوربا إلى تعبئة المؤسسات الثقافية والتربوية والفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين، من أجل الإسراع في تطوير أنظمة التربية والتدريب لتحويل أوربا إلى مجتمع معرفي معلوماتي، أو كما قال رومانو برودي، رئيس المفوضية الأوربية: «إن التعلّم الإلكتروني هو الطريق الصحيح لتحديث اقتصادنا،

وفي الوقت نفسه نقوم من خلاله بتزويد كلّ مواطن، وخاصة الشباب، بالمهارات والوسائل التي يحتاجها للنجاح في الاقتصاد الجديد القائم على المعرفة»(١٠).

وتقول السيدة فيفيان ردنغ، مفوضة التربية والثقافة في المفوضية الأوربية في بروكسل : «إن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوربي قررت أن تعمل معاً لتتوافق سياساتها في مجال تكنولوجيا التربية، ولتقاسم خبراتها. ويهدف التعلّم الإلكتروني إلى دعم جهود هذه الدول وتنسيقها، والإسراع في تطوير أنظمة التربية والتدريب في أوربا(١١)».

وقد أطلق الاتحاد الأوربي مؤخراً مشروع «الجامعة الأوربية الشبكية» الذي يُنفّذ في الفترة من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠٠٣م لتأسيس هذه الجامعة التي ستسهر على تيسير التعلّم الإلكتروني في مختلف التخصصات العلمية وتعميمه(١٢).



تسابق بين الدول المتقدمة لتطويع التكنولوجيا المتطورة لمواجهة تحديات القرن الجديد

الأقطار العربية والتعلّم الإلكتروني

رأينا كيف أن التعلّم الإلكتروني بدأ في التسعينيات من القرن العشرين، وكيف أن أمريكا وأوربا أسرعتا إلى وضع الخطط التربوية للاستفادة من هذه التكنولوجيا المتطورة لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين. ونقترح أن تبادر الأقطار العربية، إلى القيام مباشرة بوضع الخطط التربوية والتكنولوجية لرفع التحدي والاستفادة من هذه التحولات العلمية في تنميتها البشرية الشاملة. وفي نظرنا، تتلخص مقومات أي خطة عربية ناجعة في ما يأتي:

- تبادر الجامعات العربية إلى إعطاء أهمية قصوى لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، واستخدامها في توفير التعلّم الإلكتروني في عدد من المواد الدراسية يزداد تدريجياً.
- تساعد الجامعات وزارات التربية والتعليم على تدريب معلميها ومدرسيها وتزويدهم بالمهارات اللازمة لتعليم تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المدارس.
- تعمل وزارات التربية والتعليم على محو الأمية الحاسوبية في مدارسها الابتدائية، وتطوير مناهج هذه المدارس لتأكيد دروس الرياضيات والبرمجة والاتصال (ابتداء من المدارس الابتدائية فالثانوية).
- تقوم شراكة حقيقية بين الجامعات العربية والشركات والمؤسسات الاقتصادية الوطنية، لتدريب منتسبي هذه الشركات والمؤسسات وتنمية معارفهم المهنية وتحديثها من أجل الاستجابة لمتطلبات سوق العمل والتحولات التقنية السريعة.
- ولكيلا نكون مستهلكين فقط للتكنولوجيا الغربية، ينبغي على الحكومات العربية تشجيع القطاع الخاص على تأسيس الشركات الوطنية لتصنيع الحواسيب وإنتاج البرامج اللازمة.
- ولكي يحقق التعلّم الإلكتروني فائدته المرجوة في تعميم المعرفة وتيسير التدريب ووضعهما في متناول «العامة» وعدم اقتصارهما على «الخاصة»، ينبغي على جامعاتنا توفير برامج التعلّم الإلكتروني باللغة

الوطنية. وفي الوقت نفسه تقوم مؤسساتنا التربوية بتعليم اللغات الأجنبية، وخاصة العالمية منها، وتطوير مناهجها وطرائق تدريسها، ليتمكن طلابنا من اكتسابها بصورة سريعة وفعالة.

مشروعات عربية للتعليم عن بعد

تحمل إلينا وسائل الإعلام، بين آونة وأخرى، أنباء مشروعات عربية للتعليم عن بعد. ومن هذه المشروعات ما يأتي:

ـ مشروع برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند) الذي أعلن رئيسه الأمير طلال بن عبد العزيز أن «الجامعة العربية المفتوحة» ستُدشن في بداية العام الدراسي ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م* لفائدة الطلاب العرب غير المتوفرين على مقاعد بمؤسسات التعليم العالي التقليدية. وأضاف أن الجامعة العربية المفتوحة التي كلّف إنجازها ١١مليون دولار سيكون مقرها في الكويت وستفتح لها فروع في المرحلة الأولى في كل من السعودية ومصر والأردن ولبنان والبحرين. وأعرب عن أمله في أن تتمكن الجامعة خلال السنوات العشر القادمة من فتح فروع لها داخل ٢٢ قطراً عربياً وستُقدّم خدماتها إلى أكثر من ٢٠٠ ألف طالب وطالبة. وأوضح أن الجامعة المذكورة قد وقعت اتفاقية عمل مع منظمة اليونسكو لإنشاء شبكة تربط المقر الرئيس مع الفروع عبر الأقمار الصناعية لتبادل المحاضرات والمعلومات وذكر أن قيمة الرسوم الدراسية ستكون في كل دول الفروع وفقا للساعات المعتمدة لكل مادة، وتراوح بين ٥٠ دولاراً للساعة في برامج تقنيات المعلومات والحوسبة وإدارة الأعمال و ٣٥ دولاراً للساعة في مواد متطلبات الجامعة مثل مواد مهارات اللغة العربية وغيرها.«لاحظ أن الجامعة تتبع نظام الساعات المعتمدة، الذي يتطلب من الطالب إتمام ما بين ١١٠ و ١٢٠ ساعة معتمدة للحصول على الشهادة الجامعية الأولى ـ الليسانس أو البكالوريوس»(١٣).

ـ وفي لبنان، أعلن رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات والعلاقات العامة في بيروت أن جامعة جونز الدولية Jones International University المتخصصة في التعليم عن بعد، والمعترف بها في الولايات المتحدة الأمريكية، ستبدأ في تقديم خدماتها للطلاب الراغبين في المنطقة العربية، ابتداءً من العام الدراسي ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م(١٤).

ـ وفي سوريا، أُعلن في أغسطس/آب ٢٠٠٢م عن افتتاح الجامعة الافتراضية التي ستتعاون مع أربع وثلاثين جامعة أجنبية، وستستخدم تقنيات المعلومات والاتصال في تقديم خدماتها للطلاب الراغبين في التعلّم عن بُعد، لتكون إحدى الطرائق العصرية لتطوير الموارد البشرية اللازمة لبناء اقتصاد المعرفة القائم على الابتكار والتجديد(١٥).

الهوامش والمراجع

١ـ جريدة (العلم) المغربية بتاريخ ٢٠٠٢/٧/١١م، نقلا عن رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أجفند).

2 - www.usnews.com.

٣ـ محمد مصطفى القباج، التربية والثقافة في زمن العولمة (الرباط: المعرفة للجميع ٢٤ ، ٢٠٠٢) ص٩٥.

3 org/glossary. html www.learningcircuits.

5 - www.cisco.com/warp/puldic/10/wwtraining/elearning.

٦ـ للتوسع في الموضوع، انظر:د. زكريا يحيى لال، الإنترنت في التعليم وواقع البحث العلمي (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢م).

7 - www.ed.gov/Technology/elearning .

٨ـ دراسة قدّمها فتحي فرح في مؤتمر «مستقبل التعليم في العالم العربي، مراكش ١٣ ـ ١٥ مارس/آذار ٢٠٠٢م. (interpro@planet.ma)

9 - www.THINQ.com.

10.11,12 - http://europa.eu.int/comm/education/elearning/what.htm).

١٣ـ جريدة (العلم)المغربية، المصدر السابق، نقلا عن جريدة (الوطن) السعودية.

١٤ـ جريدة (الشرق الأوسط) اللندنية بتاريخ ٢٠٠٢/٧/١٢م.

١٥ـ جريدة (الشرق الأوسط) اللندنية بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٣م.

* بدأت الدراسة فعلياً في الجامعة العربية المفتوحة في كل من المملكة العربية السعودية، ولبنان، ومصر، والبحرين، والأردن، والكويت، وهناك فروع سيتم افتتاحها في دول عربية أخرى. [الفيصل].

ـ مصدر الصور: الإنترنت.

المشكوات
درّة فن الزّجاج الإسلامي

خالد خلف زيدان
المنيا - مصر

في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية قمة نضجها الفني طوّع الفنانون المسلمون الزجاج وطوّروا صناعته لابتكار أوانٍ جديدة برزت بتفرد شكلها وتألق نقوشها على المصنوعات الأخرى. ولعل أصدق دليل وأروع مثال على ذلك هو ما خلفه لنا العصر المملوكي من مشكوات ما زالت تثير الدهشة روعة وجمالاً.



زخارف ما زالت متألقة

المعنى والوظيفة

المشكاة في اللغة: هي ما يحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح. وهي بلغة أهل الحبشة: الكوة غير النافذة. وقد أطلق علماء الفنون والآثار الإسلامية كلمة المشكاة على الزجاج أو الإناء الذي كان يوضع بداخله المصباح بهدف المحافظة على الشعلة من هبات النسيم، ولتحويلها في الوقت نفسه إلى ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء المكان. وهكذا تبدو وظيفة المشكاة متمثلة في وظيفتين مهمتين: أولاهما: عملية هدفها الحفاظ على استمرارية الإضاءة، وثانيتهما: فنية هدفها الجمال والزينة. ومن خلال التمعن في الشكل العام يتبين لنا توحد الوظيفتين وامتزاجهما حتى ليكاد يصبح من الصعب التعرف إلى أيهما الأسبق هدفًا في التصميم أو الأهم شأنًا في الاستخدام، غير أننا نستطيع الجزم بأن الوظيفة العملية كانت هي الهدف الرئيس. فالحقيقة التي

لا يجهلها أحد أن المساجد في شتى ديار الإسلام بنيت على نمط يحتوي على أكبر قدر من الإضاءة سواء من خلال مواد بنائها الجصية والجيرية والرخامية البيضاء اللون أو من خلال النوافذ الكثيرة، والصحون الواسعة التي تستمد نورها من دوران الشمس نهاراً، وبما أن العبادة وطلب العلم والمعرفة اللذين يوفرهما المسجد ليسا محددين بضوء الشمس ولا باستمرار النهار، لذلك استلهم الفنان المسلم من وحي كتابه العظيم فكرة إنارة مسجده ليلا بالمصابيح الزجاجية، ولكي يبدو نضج حسه الفني وتمكنه من أدواته حفظ تلك المصابيح في آنية زجاجية أطلق عليها اسم «المشكاة».

وكان المصباح وهو مخروطي الشكل يثبت داخل المشكاة بواسطة حامل من السلك يمسك بحافة المشكاة من الخارج. أما المشكاة نفسها فتشبه في شكلها العام إناء الأزهار حيث الرقبة منفرجة تنتهي بفوهة متسعة على هيئة مخروط ناقص، والبدن منسحب إلى أسفل يرتكز على قاعدة تبدو على هيئة حلقة مستديرة ليسهل وضعها على الأرض إذا لم تعلق.

وكانت المشكاة تعلق عن طريق مجموعة من المقابض التي تعلو ظاهر بدنها بواسطة سلاسل من الفضة أو النحاس الأصفر يجمعها من أعلى كرة مستديرة أو بيضوية الشكل ـ يطلق عليها اسم الثقل ـ تتخذ عادة من الزجاج أو الخزف أو بيض النعام وتنتهي إلى سلسلة تثبت في سقف المكان الذي تستخدم في إنارته.

وكانت المشكوات توزع معلقة في داخل المسجد على أنماط متعددة منها ما هو فردي من حيث الموضع حيث توضع كل مشكاة على بعد متكرر ومساحة متساوية من المشكاة التي تليها وبذا تنقسم مساحة المسجد الضوئية إلى أشكال رباعية، أو سداسية أو ثمانية وهكذا حسب حجم المسجد وأسلوب التوزيع، ومنها ما يكون على شكل مجموعات، أي إنها توزع مساحة المسجد الضوئية إلى مجموعات متكاثفة في نقاط معينة، وتخلو منها نقاط معينة أخرى؛ وذلك لكون التركيز مطلوباً في وسط المسجد أو محرابه مثلاً. وحسب ما وصلنا كانت المشكوات في مسجد السلطان حسن بالقاهرة تعلق في أشكال دائرية لتعم الإضاءة أرجاء المسجد كافة بصورة منتظمة.



مشكاة معلقة

المهمة الشاقة

يذكر أن صناعة المشكوات في العصر الإسلامي قد بدأت تتضح معالمها، وتستقر ركائزها بين الصناعات الزجاجية الأخرى في مصر والشام منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) فخلال هذه الفترة ابتكر الصناع ومهرة العمال نماذج رائعة منها، لاستخدامها في المساجد والقصور، وكان أبرز ما استحدثوه من تقنية هو تجميلها بالألوان البراقة الزاهية، وتحليتها بالبريق المعدني من الذهب أو الفضة، بالإضافة إلى زخرفتها بزخارف هندسية أو نباتية أو حيوانية، وكان أهم مراكز الإنتاج تنتشر في دمشق والفسطاط.

وقد كانت عملية صناعة المشكاة تبدأ بمعالجة كميات الزجاج المنصهرة بعد خروجها من حوض الصهر، بالنفخ الذي يتم بأنبوب معدني طويل يسمى أنبوب النفخ، وتجرى كمية من الزجاج المنصهر

داخل الأنبوب ذاته وينتفخ الزجاج ليأخذ شكل فقاعة كبيرة. وبالاستعانة ببعض الأدوات تعطي هذه الفقاعة شكل المشكاة المطلوب، غير أن هذه الطريقة على ما فيها من جهد لم تكن لتصل إلى غاية الدقة والإتقان المرجوين، فكان يستعاض منها بطريقة السبك إذ يصب الزجاج المنصهر في قوالب من الفخار أو المعدن أو الخشب حسب الشكل والحجم المطلوبين. ولكن يجب أن تبرد المشكوات المصنعة ببطء عند إنتاجها بهذه الطريقة كيلا يحدث فيها توتر داخلي، قد يسبب تكسرها، أو يجعلها سريعة العطب. ومهما يكن من أمر فإن المشكوات المصنعة كانت تتباين في حجمها وارتفاعها فمنها ما هو صغير الحجم الذي لا يتعدى ارتفاع ٢٥ سنتيمتراً، ومنها ما هو كبير الحجم الذي يصل ارتفاعه إلى ٤٥ سنتيمتراً أو يزيد.

وكانت عملية طلاء المشكوات عملية معقدة. فكان الفنان أولاً يضع الرسوم مذهبة على الآنية، باستخدام الفرشاة والقلم، ثم يضعها على النار لتثبيت الطلاء، ثم يستخدم المينا في تجميل رسومه وتلوينها، مستعيناً بألوان مختلفة من المينا: منها الأحمر، والأصفر، والأزرق، والأخضر وأحياناً الأسود. ثم كان يضع النماذج بعد هذا على النار مرة أخرى، حتى تلتحم الرسوم والطلاء الملون بسطوح الزجاج. وقد اكتشف منذ عهد قريب في اطلال مدينة الفسطاط بمصر القديمة آثار مصانع الزجاج، وعثر بينها على بقايا مشكوات مهشمة لم تكن لتطلى بعد.



الخط العربي يتألق على بدن المشكاة

المماليك في ذاكرة التاريخ

وقد ارتقت صناعة المشكوات وبلغت أوجها خلال القرون: السابع والثامن والتاسع للهجرة (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادية) عندما ظهر عدد من صناعها جمعوا بين المهارة التطبيقية والذوق الفني

فنحوا بصناعتهم نحو الفخامة والجمال؛ مما أدى إلى ازياد الطلب عليها لتزيين المنشآت الدينية الفخمة وإضاءتها، والتي كان سلاطين المماليك وأمراؤهم وأثرياؤهم يتنافسون على إقامتها تقربا إلى الله.

وكان أكثر أسماء السلاطين ورودًا على هذه المشكوات اسم السلطان حسن بن محمد بن قلاوون (ت ٧٦٢هـ/١٣٦١م) الذي جلب من مسجده أكبر عدد منها، ثم والده السلطان محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) الذي تنسب إليه أكثر من سبع عشرة مشكاة. ثم السلطان الظاهر أبي سعيد برقوق (ت ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م) والسلطان الأشرف قايتباي (ت ٩٠١هـ/١٤٩٦م) والسلطان الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) والسلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٣م) والسلطان المؤيد شيخ المحمودي (ت



المشكاة سجل تاريخي لألقاب من عملت برسمهم وشعاراتهم

٨٢٤هـ/١٤٢١م) والسلطان المنصور أبي بكر بن الناصري محمد (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) والسلطان الأشرف علاء الدين كجك بن محمد بن قلاوون (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م) والسلطان الناصر شهاب الدين أحمد بن محمد بن قلاوون (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) والسلطان صلاح الدين محمد بن حاجي بن قلاوون (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م).

وهؤلاء عملت برسمهم أكثر من مائتين وسبعين مشكاة ما زالت تبرز بجمالها، وروعة نسبها، وتألق نقوشها كل المعروضات الأخرى في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ومتحف المتروبوليتان بنيويورك، ومتحف الفنون الزخرفية بباريس، والمتحف البريطاني بلندن، وغيرها من متاحف العالم المختلفة.

كذلك صنع عدد من المشكوات برسم بعض نواب السلاطين منهم: الأمير علاء الدين أيدكين البند قدار (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) نائب السلطان المعز أيبك الذي ترك واحدة من أقدم المشكوات المعروفة إذ يرجع تاريخها إلى سنة ٦٨٥هـ. وهناك مشكاتان باسم الأمير آرغون شاه الناصري (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م) نائب السلطان الناصر محمد بن قلاوون. هذا بخلاف ست مشكوات أخرى منها مشكاة للأمير سلار (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م) نائب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومشكاة للأمير قوصون (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م) نائب السلطان علاء الدين كجك بن الناصر محمد، ومشكاة للأمير طقز دمر الناصري (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) نائب السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد، ومشكاة للأمير حاج آل ملك الجوكندار (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) نائب السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ومشكاة للأمير علي الماريدني (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) نائب السلطان الأشرف شعبان، ولدينا مشكاة أخيرة للأمير قاني باي الجركسي (ت ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) نائب السلطان الظاهر سيف الدين جقمق.

ولم يقتصر رسم المشكوات وقطع صناعتها على السلاطين ونوابهم بل وصلتنا جملة منها لبعض كبار الأمراء والمشايخ والأعيان، مثل: الأمير ألماس،



إحدى مشكوات آل قلاوون

إن معظم العمائر الدينية التي تكاد تغص بها الأحياء العريقة من مدينة القاهرة يعزى إلى عهدهم.

معرض للخط العربي

وقد زخرت المشكوات بأنواع مختلفة من الزخارف أهمها الكتابة العربية التي أدّت الدور الأساسي في هذا المجال، وتنقسم الكتابة على المشكوات من حيث المضمون إلى نوعين هما: كتابة ذات طابع ديني، وأخرى ذات طابع تذكاري وتاريخي.

أما الكتابة الدينية فتشمل في الغالب بعض الآيات القرآنية الكريمة. وكان أكثر الآيات وروداً على المشكوات، الآية الكريمة: *اللّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ*. **النور**: ٣٥. وهي آية مناسبة إلى حد بعيد مع المضمون الذي صنعت من أجله المشكوات. بينما كانت ترد على بعض المشكوات الآية الكريمة: *إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ* **التوبة**: ١٨. ويستشف من تلك الآية أن المشكوات كانت تصنع خصيصي لإضاءة المساجد. وأحيانًا كانت ترد الآية: *يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ*. **المائدة** ١٦. هذا وربما وجدت آيات أخرى مثل قوله تعالى: *وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً*. **الإسراء** ١١١.

أما الكتابات التذكارية على المشكوات فكانت تتضمن حقائق تاريخية واجتماعية قد تكون في كثير من الأحيان

والحاجب آق سنقر، والأمير شيخو، وسيف الدين الصيرفي، وعلى الخطائي، ومحمد المغالي، وغيرهم.

ولعل الذي يسترعي انتباهنا من خلال هذا العرض التاريخي، أنه ـ باستثناء نيف وثلاثين مشكاة وصلتنا من عصر المماليك الجراكسة ـ نجد أن جميع المشكوات الأخرى التي وصلتنا ترجع إلى عصر المماليك البحرية، وبخاصة عهد آل قلاوون، مما يبرز لنا مدى عنايتهم الفائقة، واهتمامهم البالغ بالفنون لا في مجال النقوش الحرفية فحسب، بل في مجال العمارة أيضاً، ولعمر الله


مشكاة ترجع إلى عصر السلطان محمد بن قلاوون

مشكاة الأمير أرغون شاه الناصري المحفوظة بمتحف الفنون الزخرفية بباريس التي تعدد ألقاب صاحبها فتقول: « مما عمل برسم المقر الأشرف الكريم العالي المولوي المشيدي المالكي المهدي السندي العوني الغياثي الهمامي السيفي أرغون الناصري نائب السلطان المعظم» ونحن بتخصصنا بالكتابات المدونة على الكثير من المشكوات لم نعثر على نص يخلد ألقاب صاحبه أطول من هذا النص.

وربما اشتملت الكتابة على اسم المكان الذي يعتزم وضع المشكاة فيه مثل الحجرة النبوية الشريفة «أو التربة المباركة السلطانية الملكية الأشرفية الصلاحية» ويستدل من هذه الألقاب أنها عملت من أجل مدفن السلطان خليل بن قلاوون. أو كما جاء على مشكوات السلطان الظاهر أبي سعيد برقوق «من أنها عملت لأجل مسجده إرضاء لوجه الله» أو غير ذلك من المساجد والمدارس والأضرحة والخوانق.

وقد يذكر على المشكاة أيضاً اسم الصانع الذي صنعها مثل توقيع علي بن محمد الرمكي - نسبة إلى بلدة رمكة ببلاد الشام - الذي نرى اسمه على عدد غير قليل من المشكوات، منها: مشكاة الأمير قوصون المحفوظة بمتحف المتروبوليتان، ومشكاة الأمير ألماس الحاجب المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي.

وتؤلف الكتابات في الغالب أشرطة عريضة تلف حول بدن المشكاة أو رقبتها أو قاعدتها أو حولها جميعاً. وتتم الكتابة على المشكوات بأسلوب معين يعرف عند

ذات أهمية قصوى، إذ إنها قد تشتمل على اسم من عملت المشكاة برسمه، وصنعت بأمره ولحسابه، وفي معظم الأحيان يصاحب الاسم بعض الأدعية المناسبة بالإضافة إلى الألقاب الفخرية التي تطلق على صاحبه، والوظائف التي يشغلها، وقد يكون سلطاناً أو أميراً أو موظفاً أو غير ذلك مثل ما ذكرته الكتابة المدونة على

علمــاء الفنون والآثار بـاسم الخط النسخ المملوكي، وهو خط فـخم جميل يمتاز برشاقـة ألفاته ولامـاته وانسيـاب حروفـه، وجمال نسبه، وهو أقرب إلـى الخط الثلث، وقد ازدهر هذا الخط فـي القرن السـابع الهـجـري. ويرجع استعمال الخط النسخ على التحف والآثار بصفة عـامة إلى القرن السادس الهجري حين بدأ يحل محل الخط الكوفي كخط أثري.

وكانت الكتابات النسخية على المشكوات تدون بشكل يثير الإعجاب على أرضية بديعة تظهر رشاقتها وانسيابها. وهذا لم يمنع من تدوينها في كثير من الأحيان على أرضيـة تشـتمل علـى زخـارف نبـاتيـة تتـألف من عروق عـلى هيئـة لفائف مـتناسقـة تتفـرع منها وريقات وأزهار محورة، مما يؤدي أحيانًا إلى التداخل بين الكتابة والأفـرع النبـاتيـة إن لم تـكن ألوان المينـا في الحـالتين مختلفة.

وكان مزوق المشكاة يعمد في أوقات كثيرة إلى موازنة الامـتـداد الأفقي لـتـرتيب أشـوطـة الكتـابة حـول ظاهر المشكاة عن طريق مناطق مـستـديرة يضعـهـا بينهـا على مسافـات متساوية. حـتى إنه لا تكاد تخلو مشكاة من تلك الدوائر التي رسـمت بحـسابات هنـدسـيـة دقـيقـة، فـهي مـتسـاوية الحـجم في الامـتـداد الأفـقي الواحد. ويبـدو أن الفنان قد عمـد إليها بهذه الطريقـة منعًا لإرهاق الناظر أو ملل القـارئ، أو جلبًا لمنفـعـة لـغـوية، كـأن تحـل مـحـل الفاصلات التي نراها اليوم.

ولعل أهم مـا يمكن أن يلفت نظرنا من بين الكتـابات التي دونت على المشكوات هو ذلك النص الذي نراه على مـشكاة الأمـيـر سـلار والذي يـظهـر من خـلاله إعـراب بعض الحـروف إذ تلاحظ فـتـحـة على حـرف السين في كلمة سـلار، ثم شدة وفـتـحة على حرف الـسين في كلمة السلطـانة، والطريف أن الخطـاط قد جـانبـه الصـواب أحيانًـا فجاء التشكيل في غـير موضعـه فمثلا نجـد ضمة على حرف النون في كلمة نائب.

لوحات مضيئة

وكـان يـصـاحب الخط العـربي في رحلتـه على بدن المشكـاة، الرنك الخـاص بمن صـنعت من أجـله. وكـان الرنك وهو الشعـار أو الشارة أو العـلامـة يشـتمل على رسم شيء معين كحيوان أو زهرة أو أداة، وربما اشتمل على أكثـر من شيء واحد. وقـد يتألف من منطقـة واحدة أوينقسم إلى منطقتـين أو ثلاث مناطق أفقية، وقـد يكون من لون واحدة أو أكثر. مثل الرنوك الثلاثة لعصي البولو التي تمثل شعـار الجـوكندار والتي تقطع بمسـافـات مـتسـاوية النص الكتـابي لألقاب سـيف الدين الجـوكندار المدون على رقبة مشكاته بمتحف الفن الإسلامي.



عصا البولو شعار ملك آل الجوكندار

وبالإضــافــة إلى الـكتــابات والرنـوك زخــرفت المشكوات أيضًـا بالرسوم النبـاتيـة الـتي تطورت على طول التاريخ الإسـلامي حتى وصلت درجة رفيـعة من البـهاء وحـسن التنسيق. فـقد ظهـرت في هذه الرسـوم زخـارف مـن زهرة اللوتس التي سـحـرت المصـريين القدماء، وزخارف من نبات عـود الصليب الذي اشتهر في الفنون الـصـينيـة وظهـرت كـذلك زخـارف لأفنان مـتـشـابكة، ووريدات مـتـفـتـحـة، وربما وجـد بين هذه الزخـارف النباتيـة رسوم طيـور وحيـوانات استوحـيت من التصـميمـات السورية كتلك التي تبدو على مشكاة



مشكاة ترجع إلى عصر الأمير قوصون

الأمير قوصون التي يظهر على بدنها زخارف نباتية تضم طائراً يشبه الطاووس، حاول الفنان إخفاءه بين الرسوم، بالإضافة إلى شريط آخر يضم رسوماً تمثل أسماكاً سابحة في اتجاهات وأوضاع مختلفة، نقشت باللون الأحمر، حاول الفنان إخفاءها أيضاً بين رسوم من الفروع النباتية المورقة. كما تبدو في مشكاة سيف الدين الجوكندار زخارف لرسوم نباتية دقيقة من بينها نبات الزئبق، بها أشكال لطيور ناشرة أجنحتها بالخط الأحمر الرفيع في أوضاع مختلفة نجد بينها طائر الرخ الخرافي. وهناك مشكاة نادرة التكرار، يرجع تاريخها إلى السلطان حسن فلم تستخدم الكلمات في زخرفتها، بل اعتمدت على نقوش نباتية لوردات وأوراق جمعت بين اللونين الأحمر والأزرق مع تحليتها بالذهب.

البقاء للأجمل

يقول مينرد سينوبس في كتابه «تاريخ الزجاج في الشرق»: «إذا كنا نفاخر بحضارتنا التي أصبح الزجاج فيها عماداً من عمدها، فإنه يجب علينا أن نخفض الجبين هيبة لأصحاب تلك المشكوات الفاتنة النادرة التي تبدو وكأنها صممت بطريقة تتحدى عوامل الفناء» ويضيف «إن العقل ليقف مشدوهاً ويتساءل: كيف نجت هذه الروائع من غبر الزمان، وعبث العابثين طوال تلك القرون؟ وهل وجود معظمها في متاحفنا - يقصد المتاحف الأوربية والأمريكية - مجرد صدفة لنعجب بروعتها وبهائها، أم تعمد لنتذكر مبدعيها وما وصلوا إليه من حضارة مازلنا نقتفي أثرها؟»

ويذكر نيزام والاش في كتابه «الزجاج »: «علينا ألاّ ننسى أن هذه الروائع كانت بمقاييس عصرها معجزات فنية استنفذت الكثير من جهد وصبر من أنجزها لتخرج بهذه الروعة. ولنا أن نتخيل هذه المشكوات قبل مئات السنين وهي تنشر ضوءها الملون في هدوء الليل فوق رؤوس المصلين. من المؤكد أنها أكسبت المساجد شخصية فريدة مما أعطاها شهرة وتميزاً في طول البلاد الإسلامية وعرضها».

حقا أن هذه الروائع تعكس بوضوح قدرات ابتكارية عظيمة القيمة يقف أمامها الناظر مبورا. وعلى الأحفاد أن يفاخروا بها في زهو وإعجاب شديدين لكونها جزءاً عزيزاً له قيمة من تراث الأجداد.

المراجع

١- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، ذكي محمد حسن ، بيروت ١٩٨١م.
٢- تاريخ المماليك البحرية، على إبراهيم حسن، القاهرة، ١٩٤٤م.
٣- دليل معرض الفن الإسلامي، أحمد ممدوح، القاهرة، ١٩٥٩م.
٤- دولة بني قلاوون في مصر، محمد جمال الدين سرور، القاهرة، ١٩٤٧م.
٥- دولة المماليك في مصر، وليم موير، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن، القاهرة، ١٩٢٤م.
٦- الفن الإسلامي: أصوله، فلسفته، مدارسه، أبوصالح الألفي، القاهرة، ١٩٦٦م.
٧- فنون الإسلام، ذكي محمد حسن، القاهرة، ١٩٤٨م.
٨- الفنون الإسلامية، م. س ديماند، ترجمة أحمد عيسى، القاهرة، ١٩٤٧م.
٩- القاهرة: تاريخها وفنونها وآثارها، حسن الباشا وآخرون، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٠- متحف الفن الإسلامي، محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٧٨م.
١١- نائب السلطنة المملوكية في مصر، محمد عبد الغني الأشقر،القاهرة ١٩٩٩م.
12 - Glass -Nizam wallash_ New York1991.
13 - History of the glass in the east_ Minard sinobas_ New York 1983.

المئذنة
بين مطرقة الاستشراق وسندان القومية

عبدالغني محمد عبدالله
القاهرة - مصر


مآذن الحرم النبوي الشريف

على الرغم من الدور الاستشراقي في إبراز عدد من عناصر التحضر الإسلامي، إلا أن بعض المستشرقين تعودوا نسبة كل تقدم عربي أو إسلامي إلى الآخرين. وخصوصاً للغرب، مع التحضر الإسلامي قبل عصر النهضة الأوربية الحديثة، واتبعوا ذلك في معظم موضوعات التمدن الإسلامي تقريباً لعلهم يظفرون بطائل، أو ينسبونها إلى آخرين، مما ينكر كل تقدم إسلامي أو عربي.

لم يعرف المسلمون المئذنة كعنصر معماري زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. ولم يكن هناك من يؤذن للصلاة في بداية الأمر. وكانت الحاجة ماسة إلى وسيلة للمناداة على الصلاة، أهم أركان الإسلام. وفيما بعد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم «بلال بن رباح» بالقيام بهذه المهمة، فاعتلى سطح المسجد، أو لعله أحد السطوح المجاورة، وأذن للصلاة. ومن هنا بدأت الفكرة الخاصة بارتفاع

المؤذن عن سطح الأرض، وتطورت إلى أن وصلت إلى عنصر معماري متكامل، هو المئذنة لتصبح بنياناً مرتفعاً يقف فوقه المؤذن وينادي للصلاة. ومن ثم يصل صوته إلى الجميع في المنطقة. وفي ذلك لم يتشبه المسلمون باليهود في استخدام النفير، أو بالمسيحيين عندما استعانوا بالناقوس في الدعوة إلى صلاتهم.

المئذنة أحد العناصر المعمارية الإسلامية ذات البعد الديني، وقد تعرضت للكثير من الافتراءات الاستشراقية، بهدف نسبتها إلى عناصر معمارية سابقة على الإسلام، ولويت الحقائق لتفسير الروايات حول نشأتها وتطورها. والمئذنة أنشئت مع المساجد والجوامع والأربطة «كل رباط له مسجد» لتؤدي وظيفتين أولاهما الأذان من فوقها، والثانية هي المراقبة والإنذار في المناطق ذات البعد الإستراتيجي والعسكري.



مآذن مسجد اللهيب ـ الكويت

أول المساجد التي شادها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية، ذلك الذي شيده عتبة بن غزوان في مدينة البصرة سنة ١٤هـ(٦٣٨م)، ويظن أنه كانت له منارة، حسب رواية عدد من المؤرخين. وقد أكد لنا الدكتور فريد شافعي في كتاب «العمارة العربية»(١) أن زياد بن أبيه والي العراق في زمن معاوية بن أبي سفيان قد بنى مئذنة لهذا المسجد، اعتماداً على رواية البلاذري «ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م» في«فتوح البلدان» وهي أقدم الروايات التاريخية العربية عن بناء مئذنة. أما ثانية الروايات فقد أوردها كل من ابن دقماق والمقريزي، وملخصها أن مسلمة بن مخلد والي مصر «٤٧ ـ٦٢هـ» بنى أربع صوامع سنة ٥٣هـ، بأركان جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط أول المساجد في مصر، بناء على أمر الخليفة معاوية، وتلك الرواية نقلت عن ابن عبدالحكم «ت ٢٥٧هـ» وعن ابن المتوج «توفي قبل ابن عبدالحكم بخمسين سنة».

اتخذ المستشرقون منهجاً يشكك في أي عنصر حضاري عربي أو إسلامي بالجري وراء الروايات



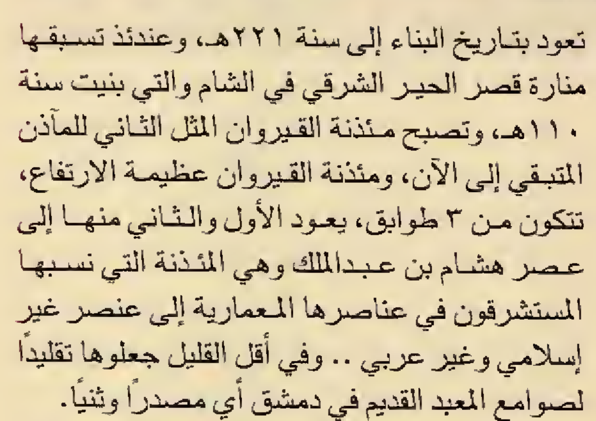
مآذن مساجد محمد علي والمحمودية ـ القلعة ـ مصر

البسيطة للمؤرخين العرب والمسلمين، على أن تكون روايات ذات صلة بالعنصر موضوع بحثهم، والتفتوا تماماً عن الروايات التي لا تتفق مع هدفهم واستبعدوها إن أمكن أو شككوا فيها إن لم يستطيعوا ذلك، ولذا فقد دمغوا ـ وفقاً لمنهجهم ـ رواية البلاذري عن مئذنة البصرة بالشك، بصفته المؤرخ الوحيد الذي روى هذا الخبر. وارتاحوا جداً لرواية ابن عبدالحكم التي قدمها ابن دقماق والمقريزي، بسبب أنهم وجدوا في رواية المقريزي نصاً يقول: إن مآذن الفسطاط بنيت تقليداً لصوامع المعبد الروماني القديم في دمشق(٢) وإنها أنشئت بهدف الأذان اعتماداً على رواية ابن الفقيه في كتابه الذي ألفه سنة ٢٩١هـ. ولذا فقد ظهرت نظرية تقول: إن هذه الصوامع كانت للمراقبة أيام الرومان، وإن الوليد بن عبدالملك قد تركها على حالها عندما شيد المسجد الأموي سنة ٩٦هـ، وهي القصة نفسها التي أيدها المسعودي في «مروج الذهب» سنة ٣٣٢هـ، وعندئذ شاعت نظرية تقول إن صوامع المعبد الروماني هي نفسها التي أصبحت أولى مآذن في الإسلام عموماً ـ هكذا ـ اعتماداً على روايات المؤرخين العرب. ولذا فقد شربها العرب برواية مؤرخيهم، وانتسبت مآذن جامع عمرو بالفسطاط إلى أصل شامي روماني، ثم انسحبت تلك النظرية على كل المآذن كعنصر معماري.

أقدم مثل للمآذن باق إلى الآن هو مئذنة «القيروان»(٣) في مدينة القيروان بتونس، التي بناها بشر بن صفوان بين سنتي ١٠٥و ١٠٩هـ، وفق الأدلة التاريخية. ولو أخذنا بالأدلة المعمارية فإنها



المسجد الأموي ـ دمشق



تعود بتاريخ البناء إلى سنة ٢٢١هـ، وعندئذ تسبقها منارة قصر الحير الشرقي في الشام والتي بنيت سنة ١١٠هـ، وتصبح مئذنة القيروان المثل الثاني للمآذن المتبقي إلى الآن، ومئذنة القيروان عظيمة الارتفاع، تتكون من ٣ طوابق، يعود الأول والثاني منها إلى عصر هشام بن عبدالملك وهي المئذنة التي نسبها المستشرقون في عناصرها المعمارية إلى عنصر غير إسلامي وغير عربي .. وفي أقل القليل جعلوها تقليداً لصوامع المعبد القديم في دمشق أي مصدراً وثنياً.

الداعمون لفكرة اقتباس المآذن من عناصر سابقة على الإسلام، رتبوا أوراقهم وأسبابهم بكثير من العقلانية والمنطق، وبحذر شديد جداً، وغطوا الكثير من الثغرات مما جعل الأمر بالنسبة إلى الكثيرين مؤكد الصدق. فسايروهم دون البحث وراء هذه الآراء أو تفنيدها، ولكن الكثير من علماء الآثار العرب والمسلمين قد تصدوا لكل هذه النظريات،



مئذنة مسجد الشيخة فاطمة



مآذن من بيت لحم ـ فلسطين



مآذن مسجد الرحمة ـ برأس البر ـ مصر

وأوردوا أسبابهم لدحض هذه الأفكار. منهم أحمد فكري، وسعاد ماهر، وحسن الباشا، وكمال الدين سامح، وزكي محمد حسن وغيرهم. إلا أننا سوف نختار عالمًا نسترشد بآرائه ونظرياته للتعرف إلى الحقيقة وهو الدكتور فريد شافعي لنصل إلى رأيه الحاسم الذي يقول: إن المئذنة عربية الأصل. والدكتور شافعي هو أحد أبرز علماء العمارة الإسلامية، وقد شغل رحمه الله منصب أستاذ العمارة الإسلامية في جامعة القاهرة. وله فضل عظيم على دراسة تاريخ هذه العمارة، فقد بذل جهداً ضخمًا لإبراز عناصرها، وتأصيل تاريخها، وتتلمذ له الكثير من العلماء والأساتذة، وهو صاحب نظرية صحيحة تعرف باسم «العمارة والفنون العربية في العصر الإسلامي»، حتى يزول الإيحاء بنسبة الفضل في وضع أسس تقاليد العمارة والفنون الإسلامية إلى غير العرب أولاً وإلى غير المسلمين

ثانيًا. ورتب الأفكار والأسباب والأسانيد العقلية والعلمية، واستمات في الدفاع عن العناصر المعمارية العربية، ولم يترك كلمة واحدة، إلا وبحث أمامها وخلفها وحولها للتعرف إلى هدفها وأسبابها. ويمكن لنا من خلال تتبع بعض نظرياته حول



مئذنة ابن طولون

المئذنة، أن نصل إلى حقيقة تقول: إنها عنصر معماري عربي، وسوف نورد آراءه في نقاط متعددة منها:

- يرى الدكتور شافعي أن ارتفاع صوامع المعبد القديم في دمشق غير كاف ولا مناسب ولا صالح للأذان من فوقها ودعوة المسلمين إلى الصلاة في مدينة متسعة وكبيرة وكثيفة السكان مثل دمشق، حيث يبلغ ارتفاع كل صومعة ٢٠ مترًا، ولم تكن ترتفع عن سطح المسجد الأموى إلا قليلا في وقت كان الارتفاع بالمؤذن مطلوبًا لكي يتبلغ المسلمون الأذان إذ لم تكن أجهزة تكبير الصوت قد ظهرت. - ويرى شافعي أن الحكمة من إبقاء هذه الصوامع التي كانت متينة بمقياس ذلك العصر هو لبناء مآذن عالية فوقها. أما كون هذه المآذن «الأصلية» لم تصل إلينا فذلك لأنها تهدمت بفعل الزلازل أو بفعل الزمن أو الحرائق وهو يرجح الزلازل. ومن بين ما يدعم هذا الظن، أن المآذن الثلاث الموجودة الآن في المسجد الأموي، اثنتان منها موجودتان فوق الصومعتين القديمتين في الناحية الجنوبية الشرقية «فوقها مئذنة عيسى» والناحية الجنوبية الغربية «فوقها المئذنة الغربية»، وقد شيدتا في العصور الوسطى بعد تهدم



مسجد الكويت الكبير

سابقتيهما بفعل الزلازل. أما المئذنة الثالثة فهي مئذنة العروس في منتصف الحائط الشمالي. والرأي عندي أن المسلمين لم يكتفوا بالصوامع فقط لبناء المآذن فوقها. ولكنهم أقاموا هذه المئذنة مستقلة ومتحررة من الصوامع.

وقد اختلط الأمر على بعضهم، ورأى أن كلمة «صومعة» تشير إلى البرج فقط. ولكن الدكتور شافعي بدا مطمئنًا تمامًا أن كلمة صومعة تشير إلى البرج والمئذنة معًا. ومع الزمن تساقطت هذه المآذن أو قممها وأعيد البناء مرة أخرى ومما يؤكد ذلك أن المئذنة الغربية تقف على برج أصلي هو المتبقي أصليًا إلى الآن. وإن كانت المئذنة نفسها قد أعيد بناؤها.

ـ والشافعي هو العالم الوحيد تقريبًا الذي لم يشكك في رواية البلاذري عن مئذنة سنة ٤٤هـ في البصرة ،ولم يغلف رأيه حولها بالظنون، ولكنه أكد وجودها، مبينًا أن أمر الخليفة معاوية لمسلمة بن مخلد بشأن بناء صوامع الفسطاط ـ هذا الأمر ـ كان شاملاً لكل ولايات الدولة، ومن بينها البصرة. ولم تكن هناك حكمة في أن يختص الخليفة «مصر» فقط بهذا الأمر. ومنطقيًا فإن والي العراق قد صدر له نفسه الأمر، بدليل أن الفارق الزمني بين مئذنة البصرة سنة ٤٤هـ، ومآذن الفسطاط سنة ٥٣هـ. هو فارق زمني بسيط، وفي عصر خليفة واحد.

أما حكاية ارتياح المستشرقين لرواية ابن دقماق والمقريزي فقد كان بسبب النص الذي أورده المقريزي بخصوص أنها ـ أي صوامع الفسطاط ـ تقلد صوامع المعبد القديم في دمشق، وأنها قد شيدت بهدف الأذان، واعتماد رواية الفسطاط وإنكار رواية البصرة ليس لها ما يسوغها، إذ لا معنى إطلاقًا لقبول واحدة ورفض الأخرى؛ لأن المنطق حينئذ



مسجد عبداللطيف العثمان ـ الكويت

يكون غير موفق وفي غير محله. مع أن المؤرخين ينظرون إلى الروايات السابقة نظرة تصديق دائمًا فكلتا الروايتين تروي خبرًا واحدًا، في عصر واحد، وإن بعدت المسافات. ويجب التنبه على أن الإدارة التي تدير الموقعين البصرة والفسطاط هي إدارة واحدة، وهي الخلافة في دمشق.

ـ إذا كان للمصريين بد من اقتباس العنصر المعماري، فالأولى هو أن يقتبسوه من مصر نفسها وخصوصًا أن منارة الإسكندرية التي كانت تملأ الدنيا شهرة تصلح بالاقتباس نفسه، وبالنظام والقاعدة نفسيهما. وهذا المنطق ذاته يفرض نفسه بالنسبة إلى مآذن المغرب الإسلامي من حيث



مئذنة على طريق الوجه البحري - مصر

سابقة وبعيدة، والفضل في رأي المستشرقين لن يعود إلى العرب، وهو هدفهم دائماً.

- علاقة المنار بالمئذنة تتضح لنا من أن المئذنة أدت دوراً كبيراً في هداية السفن بسبب ارتفاعها «على شواطئ البحار والانهار» أو لإرسال إشارات التحذير والتنبيه والإنذار. وقد قال عنها «المقدسي» في «أحسن التقاسيم» عندما تكلم عن «رباطات عمواس بفلسطين» فقال: «ولهذه القصبة رباطات على البحر، يقع بها النفير، وتقلع إليها شلنديات الروم وشوانيها - نوعان من السفن - وقد ضج بالنفير كلما تراءت مراكبهم، فإن كان ليلاً أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كان نهاراً دخنوا. ومن كل رباط إلى القصبة مناور شاهقة. وقد رتب فيها أقوام، فتوقد المنارة للرباط، ثم التي تليها، ثم الأخرى فلا يكون إلا ساعة وقد انفر بالقصبة وضرب الطبل على المنارة، ونودي إلى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح والقوة».

- نسبة مآذن المغرب العربي إلى أصل شامي روماني هي نسبة ظالمة، ونسبة مئذنة القيروان إلى أبراج الكنيسة نسبة جائرة، وللعلم فإن المئذنة كعنصر معماري يبدأ من مستوى سطح الأرض وخصوصاً في عصر الولاة في تكوين معماري مترابط وخاص بها. بينما برج الكنيسة عضو جوهري ضمن وحدات التكوين المعماري والكتلة المعمارية للكنيسة. كما أن قمة المئذنة تختلف عن قمة برج الكنيسة من حيث الغرض والشكل والتكوين. وفي مئذنة القيروان بالذات نجد أن الدور الأول المربع انتهى بشرفة تدور حول الأضلاع الأربعة لترك مكان للشرفة. وبذلك جاء بدن الدور الثاني أقل من ضلع القاعدة، وهكذا بالنسبة إلى

الاقتباس من الإسكندرية القريبة منهم، وليس من الشام البعيدة عنهم، وخاصة أن لمنارة الإسكندرية شهرة كبيرة بوصفها إحدى عجائب الدنيا السبع، وأنها أكثر ارتفاعاً من صوامع معبد دمشق، وأمتن في بنائها، وأجمل شكلاً، وأوضح عملاً. وأكثر من هذا فكرة عمل البرج المرتفع هي فكرة قديمة، وعنصر معماري معروف من عصور سحيقة، ومن ثم فهو ليس ابتكاراً رومانياً أو بيزنطياً بالشام. ولكن الربط به؛ لأنه كان موجوداً، ولسابقة وجود كنيسة في الموقع، ولأنه عنصر قريب زمنياً من العصر الإسلامي. أما لو تم الاستشهاد أو الاقتباس من منارة الإسكندرية فهي قديمة، وتعود إلى عصور

الدورين الثاني والثالث. أي أن البدن يتصاغر بعد كل شرفة. وإذا كان البروفيسور كريزويل قد افترض بناء جوسق المئذنة في عصر آخر بعد بناء المئذنة - الجوسق هو قبة مرفوعة على أعمدة أو دعائم - إنما هو فرض يحتاج إلى أدلة قوية تدعمه وتقويه. ويرى شافعي أن هذه القمة معاصرة لتاريخ البناء، أو على الأقل أعيد بناؤها على نسق الجوسق الأول الذي بني مع المئذنة وربما «في هذه الحالة» يكون قد تهدم بفعل الزلازل التي هي العدو الأول لقمم المآذن، أو الحرائق التي كانت تحدث بفعل النيران التي كانوا يشعلونها على المناور لهداية السفن.


مسجد العديلية (الكويت)

أما اتهامات المستشرقين ضد مئذنة القيروان والمتضمنة اقتباسها من مصادر سابقة على الإسلام إنما هي أقوال مكذوبة يجب الالتفات عنها؛ لأن عمارة هذه المئذنة تضم عناصر وخصائص عربية صريحة وناضجة، ولا يمكن نسبتها إلى أي من الطرز المعمارية قبل الإسلام إلا العقد «القوس» الذي على شكل حدوة الحصان. ويؤكد الدكتور شافعي أن هذه المئذنة تقلب نظرية اقتباس المآذن من مصادر سابقة على الإسلام عند المستشرقين رأساً على عقب. وعناصرها المعمارية تؤكد لنا عروبة هذه المئذنة كعنصر معماري ظهر في ظل الإسلام.

لا يتبقى لنا على الرغم من اتساع الموضوع وتشعبه إلا أن نورد ما اختتم به الدكتور شافعي سياحته العقلية والعلمية إذ قال: «لم أجد مجالاً للشك في أن المئذنة أو المنارة هي عنصر إسلامي، تطلب عمله الدين الجديد، وحتمته تقاليده، وفرض شكلا خاصاً في تصميمه، ولا فضل في ابتكاره إلا للعرب والمسلمين، وليس لغيرهم يد فيه».

الهوامش والمراجع

١. العمارة العربية في مصر الإسلامية، فريد محمد شافعي ، المجلد الأول، عصر الولاة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

٢. المعبد الوثني في دمشق: تقول الروايات التاريخية إنه خلال العصر الوثني في الدولة الرومانية، أنشيء في دمشق معبد وثني عرف باسم Pagan. تخرب هذا المعبد قبل الإسلام، ولم يتبق منه إلا أسواره الخارجية، وأربعة أبراج في أركانه. وقد كان مبنيًا على شكل شبه منحرف ٣٨٥ × ٣٠٥ أمتار بحوائط خارجية تحتوى على رواق مغطى هو المعبد نفسه، وحوله فضاء تحيط به ظلة من داخل السور وبها سوق.

الأبراج في الأركان حوائطها مبنية بحجارة مصقولة بارتفاع ٢٠ مترًا وبسبب قوتها ومتانتها فقد استخدمت كقواعد بني فوقها مآذن المسجد الأموي، فاستغل المستشرقون ذلك «بعضهم» في الإيحاء بأن هذه الأبراج كانت أولى مآذن في الإسلام.

المدخل الشرقي للمعبد عرف باسم باب جيرون Jairon. ٢٨× ١٦مترًا، له ٣ فتحات أكبرها الوسطى. والمدخل الغربي عليه كتابات إغريقية مازالت موجودة إلى الآن. وفي سنة ٨٨هـ حتى ٩٦هـ بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي في هذا الموقع بعد شرائه من ملاكه.

٣. مسجد عقبة بن نافع «القيروان»:

هو أبو مساجد الجناح الغربي للدولة الإسلامية. بناه عقبة بن نافع الفهري سنة ٥٠هـ/٦٧٠م، عندما أنشأ مدينة القيروان التي هي أولى المدن الإسلامية في شمال إفريقية. وفرغ من بناء المسجد سنة ٥٥هـ/٦٧٥م، وتتميز عمارة هذا المسجد بمميزات منها عمق بيت الصلاة «نصف مساحة المسجد تقريبًا»، وأروقة جانبية قليلة العمق، وصحن مستطيل ٩٠× ٧٠ مترًا، ومئذنة شهيرة تعدّ من أقدم المآذن الباقية إلى الآن، إن لم تكن هي الأقدم بالفعل، والتي تشكل برجًا ضخمًا من ٣ أدوار أضخمها الأول، والمئذنة كلها بارتفاع ٣٧ - ٣١مترًا أي عمارة من ٩ أدوار تقريبًا وتجيء المئذنة على الجدار المقابل لجدار القبلة في آخر الصحن، ولها باب يوصل إلى سلم المئذنة بارتفاع ١,٨٥ متر وبعرض متر واحد وبعقد على شكل حدوة الفرس.

- فنون الإسلام، زكي محمد حسن، القاهرة، ١٩٤٨م.
- الفن في صدر الإسلام، أبوصالح الألفي، دار المعارف القاهرة.
- العمارة في صدر الإسلام، كمال الدين سامح، المجلد الأول، ١٩٧٠م، المجلد الثاني ١٩٧١م، مطبعة جامعة القاهرة.
- Creswell_ Early Muslim Architecture Voli cairo 1931.

- مقتطفات منشورة بعدد من المجلات والدوريات تضم بعض الفقرات المطلوبة للمصادر الآتية:
- المواعظ والاعتبار في ذكرالخطط والآثار «المقريزي».
- أحسن التقاسيم «المقدسي».
- فتوح مصر وأخبارها «نشر ماسيه» القاهرة ١٩١٤م، «ابن عبدالحكم»
- مروج الذهب «المسعودي» وغيرها من مجلات منير الإسلام، مجلة «المجلة»الصادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهر - مصر

الفنانة التشكيلية السعودية منيرة موصلي وريادة التجديد

عبدالرحمن السليمان

الدمام ـ السعودية

تعدّ الفنانة التشكيلية السعودية منيرة أحمد موصلي واحدة من الأسماء الفنية المهمة في حركة الفن التشكيلي السعودي. أقامت الفنانة معرضها الشامل «أجياد تحاور هجر» لتطرح فيه شكلاً من الاستعادية لأعمال يعود بعضها إلى الثمانينيات، وجاء الاحتفاء بمعرضها كبيرًا، فقد أقيم في مركز الفنون بدولة البحرين برعاية وزارة الإعلام ـ الثقافة والتراث الوطني، وافتتحه وزيرها نبيل الحمر بحضور جمهور كبير من المثقفين التشكيليين والمهتمين من البحرين والمملكة.



الكتّاب ـ أحد أعمال الفنانة منيرة موصلي



لوحة «عند الشتات»

ولدت منيرة موصلي في مكة المكرمة، وفي أحد أحيائها القديمة نشأت وقضت جزءاً من طفولتها، ومن هنا جاءت التسمية بـ «أجياد»، وفي العام ١٩٧٩م، وبعد أن أنهت دراساتها الفنية حاصلة على شهادة كلية الفنون الجميلة من مصر، بدأت العمل في شركة أرامكو السعودية بمقرها في الظهران، فكانت «هجر»، وعلى قدم التسميتين أجياد/ هجر جاءت التسمية لتطرح مقدار التقاء التاريخ والثقافة والفنون.... ولخلق حوارية لها بُعدها الشخصي عند الفنانة.

تتجه أعمال منيرة موصلي - غالبًا - إلى تضمين يقابل التأويل، تؤكده وهي تشير إلى قضايا اجتماعية أو إنسانية أو قومية، لذا فإن معارضها تحمل مشروعاً خيرياً كما هو معرضها عندما خصصت دخله لمصلحة الانتفاضة الفلسطينية، وبمقدار ذلك فإنها تجد نفسها منتمية إلى «كل الحضارات وكل الأجناس وكل الفنون، وكل الأزمان، وأنها تقرؤها يوميًا، وكلما شعرت بالوحدة وانعدام الرؤية». «في غربة دائمة أنا، وفي بحث مستمر لا يهدأ، اللوحة عالمي بها تُرى الحياة، بينما الحرية مساحتها، مولعة بما وراء الثرى، وما تحت المسام، تفاصيلها علامات استفهام، نهمة لا تشبع، خُلقت بها، وسوف أموت بها أيضاً».

وعلى أن المعرض يعدّ شكلاً من الاسترجاعية لتجارب ومحطات مهمة في مسيرة الفنانة الرائدة إلا أننا نجدها تؤكد محطات معينة، مثل: تجربة الواسطي وأنا التي عرضتها في العاصمة اللبنانية عام ١٩٩٧م، ثم الأعمال المنسوجة، وهي الأحدث بجانب أعمال منتقاة من مرحلة الثمانينيات والتي سمّت بعضها (ترك الأثر).


الفراشة


الرفيقتان

تضليعاته، واصلته في جدارياتها التالية التي عرضتها في السفارة الفرنسية بمدينة الرياض، وهو اهتمام يعنى همّاً قوميًا يتضح في عناوين أعمالها، مثل: الفراشة التي انهزمت. كل عام وأنت سالم أيها الحجر، لأطفال هذا الجيل، أحزان البدو، وغيرها وفيها تصيغ عناصرها باختزال شديد حتى إننا في بعض الأعمال لا نرى إلا علاقات مساحية أو لونية يطغى على بعضها حالة التعبير اللوني أو المادة عندما تستغل بعض الخامات والأصباغ والمعاجين.

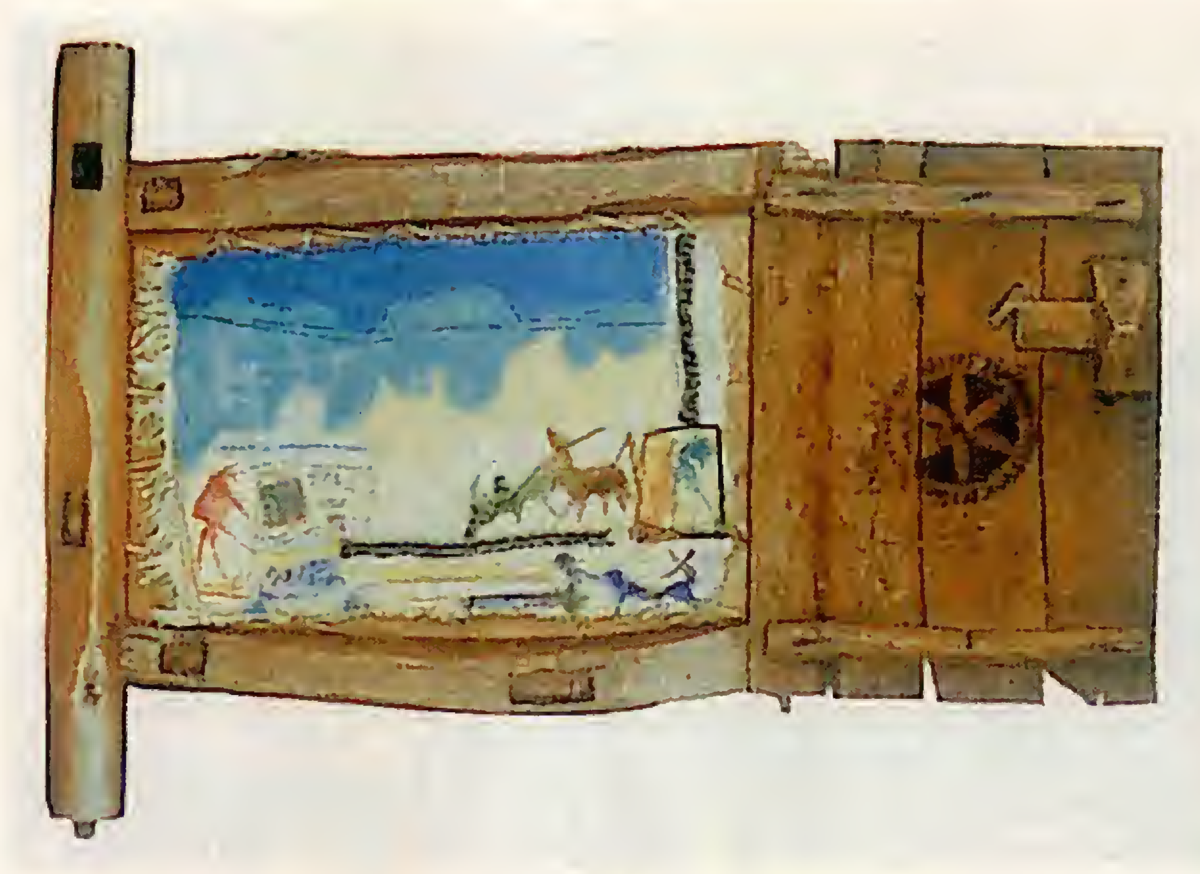
في بعض هذه التجارب حالة من الوهج اللوني يخف في أعمال أخرى توظف فيها خامات نحاس مطروق أو جلد طبيعي أو غيرها من الخامات التي توظفها (كولاجيًا) ومعها يبقى تأثير بعض الرموز أو العناصر الرئيسة كما في عملها اللافت «أحزان البدو» الذي نفذت مقطعاً منه على النسيج.

رؤى خاصة

وبدت تجربتها «الواسطي وأنا» تواصلاً مع توظيفاتها خامات لعل من أهمها القطع الخشبية التي تختارها من بعض مناطق المملكة، ومع أن

تجريب

قامت أعمال موصلي خلال الثمانينيات على منطلقات تجريبية على خامات مختلفة من بينها ورق البردي والخيش وقطع القماش الملصقة والحبال والخيوط والمعادن، وسعت في بعض أعمال هذه المرحلة إلى كسر أطر عملها أو



من أعمال الفنانة

هذه التجربة قد وظفت لها الفنانة خامات وصبغات طبيعية وورق بردي، وورقًا مصنوعًا يدويًا، ومنحوتات خزفية وغيرها إلا أن العمل صِيغ وفق رؤية فنية خاصة وهي التي لم تتوان في توظيف مقاطع لأعمال الفنان العربي الواسطي، وكتابات شعرية على خلفية المواد والخامات والمعاجين، على أن بعض القطع الزخرفية الخشبية جاءت إضافة خارج العمل، ووظفت لبعض الأعمال إطارات تشكل نسيجًا متآلفًا والقطعة المشغولة، وهذا نلمسه في أعمال الأبواب أو النوافذ التي تحتمل الفتح والإغلاق، وبهذه المحاولة الجريئة من الإدماج بما تحتمله من تضمينات تصل الفنانة إلى حلول خاصة غير مسبوقة - على المستوى المحلي على الأقل - فتطرح من خلالها جمالية لها مرجعياتها الجمالية الخاصة سواء على المستوى المكاني أو الاجتماعي أو الذاتي، وعلى مقدار الاشتغال والجهد المبذول الذي يتضح في مجموعة الواسطي وأنا، تأتي مجموعتها الأحدث والمحققة بالنسيج (السجاد).

اشتغلت الفنانة منيرة موصلي أعمالها الصغيرة (التخطيطات) بعناية ووضوح رؤية لتحقيق أقصى حد عندما تنفذ على مساحات النسيج الكبيرة، فهي حريصة على القيمة اللونية والشكلية التي قد يفقدها التكبير شيئًا من تفصيلاتها. وكان لهذه الأعمال أن تتحقق بدرجة مرضية، وقد نقلت رغبة الفنانة وحرصها على بعض التفاصيل، وبدت حالة التعبير الفطري المثير واضحة عندما نتأمل عملها أحزان البدو (نسيج).


أجياد تحاور هجر

تحتل الفنانة موقعاً ريادياً في حركة الفن التشكيلي بالمملكة العربية السعودية لمعرضها المبكر مع رفيقة دربها الفنانة صفية بن زقر عام ١٩٦٨م في مدينة جدة، ولنزوعها التحديثي المبكر، وهي صاحبة أول معرض شخصي أقيم في مدينة الرياض لفنانة تشكيلية سعودية عام ١٩٧٣م، وحضورها في المناسبات العربية كان لافتًا فقد شاركت في بينالي الشارقة الدولي عام ١٩٩٩م، ومعرض ملتقى عمّان الأول للتشكيليات العربيات عام ١٩٩٦م، ومؤتمر المرأة العربية في أمريكا وبعض العواصم الأوربية عام ١٩٩٤م، وكانت أول فنانة عربية يتم اختيارها لتصميم ملصق لمصلحة معهد الأبحاث والتدريب الدولي لتطوير المشروعات النسائية التابع لهيئة الأمم المتحدة وذلك في عام ١٩٩٠م، وهي أحد أعضاء جماعة أصدقاء الفن التشكيلي، وأقامت معارض بدول مجلس التعاون الخليجي ومصر وتونس وإسبانيا والأردن والدومنيكان، كما عرضت لوحاتها في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا وغيرها، وكرمتها الخطوط السعودية عام ١٩٩٥م بوصفها من رواد الحركة التشكيلية في السعودية، وكُرمت عام ١٩٩٧م من قبل أتيليه جدة لكونها رائدة مجددة، ومنحتها وزارة الثقافة اللبنانية وسام الاستحقاق عام ١٩٩٧م في أثناء إقامتها معرضها الواسطي وأنا، ولم تزل موصلي عضواً ديناميًا فاعلاً في حركة الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية.

رؤية وتجانس

المعرض يبين لنا كثيراً من الجدية التي عرفناها في منيرة موصلي والحرص الذي بدا معه العرض منظماً وفق رؤية الفنانة، ووفق تجانس المجموعات مع اختلاف صيغها وموضوعاتها، وهذا الشكل الحواري للمعرض (أجياد تحاور هجر) تزامن مع أمسية موسيقية حول الغناء في الحجاز أقيمت داخل المعرض، ولعله التقاء مطلوب خاصة وأن منيرة موصلي عرضت أعمالها على خلفية موسيقى حجازية قديمة لمدني عبادي، كما تضمن المعرض لوحة بمسمى تحية إلى طلال مداح أحد أبرز المطربين العرب.

صور الحيوات الآدمية والحيوانية وغيرها في الآثار الإسلامية العربية

فاروق نور الدين
حلب - سورية

مبحث يقود إلى العقلانية في التراث العلمي العربي الإسلامي، وقد ينحو استشهاداً بفكر الفيلسوف «ابن خلدون» الذي أورد في مقدمته: «ويجب أن نعلم أن العلوم - وهي وجه من أوجه الحضارة - لا تبرز في الأمة فجأة مقطوعة عن جهود الأمم السابقة، بل تنتقل من أمة إلى أمة، وفضل كل أمة إنما هو فيما تزيده في التراث العام للإنسانية. وكل أمة لا حضارة لها، لا تاريخ لها - وحياة الأمم قائمة على العلم وعلى الفن، والعمل الآلي»(١).

إن الحضارة العربية الإسلامية في عصور ازدهارها، وبخاصة في القرن السابع الهجري القرن الثالث عشر الميلادي، عنيت بالإبداعات الفنية من رسوم وصور ومنمنمات شملت بعض الآثار المعمارية أو الصور التشكيلية التي اشتملت على تمثيل حيوات من إنسان وحيوان ونبات إضافة إلى الأرابسك، وصور الأدوات والآلات المحاطة بالخطوط الفنية الملونة والمذهبة.



رسم يمثل أطباء عرباً يتشاورون في حالة صعبة

كان ابن خلدون - في معالجته لفنون المعرفة ولأمور الحياة - عالمًا اجتماعيًا يأخذ بالأسباب المادية، وبالأحوال السائدة، والعادات الواقعة المألوفة، «فالموسيقى يعتبرها من أصول العلوم الفلسفية»، وأن العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها.

هناك شبه إجماع على التنكر لعطاء العرب في حقل آخر من حقول الإبداع الإنساني إضافة إلى الموسيقى، هو حقل الفن التصويري، إن العرب الذين أقروا بإبداع أجدادهم في مضمار الخط والرسوم الهندسية من (عربسك) وفسيفساء قد غفلوا عن عطائهم في مضمار الفن التصويري، والرسم بالمعنى المتعارف عليه، ويجدر بالذكر أن فريقًا أشار إلى وجود هذا الفن، ولكن فريقًا آخر أسقط الهوية العربية المميزة عنه تارة أو إلى تحجيمه والتقليل من أهميته،

الطابع الفني يبرز أكثر ظهورًا وتميزًا في المصورات التي زوقت الكتب الأدبية والآثار المعمارية والتزيينية، وكان غرض المصور رسم صور جميلة تتجلى فيها مهارته

صحيح أن الفن التصويري والرسم بكل أشكاله عالمي الإشعاع، كالموسيقى التي أدرجها ابن خلدون في مضمار العلوم الهندسية، ولكن لا يمنع ذلك من إدراجها ضمن ذلك المفهوم.

في تفسير بعض الموجبات

يكشف الواقع التاريخي عن أن العرب الذين لم يعرفوا الرسم في حياة البداوة مارسوه وأبدعوا فيه بعد أن حررهم الإسلام ليجعل من العالم الرحب موطنهم.

ففي عهد عبدالملك بن مروان، وفي مكة المكرمة أيام الحج، كانت خيام الحجاج الموسرين تزين بصور آدمية، وقد وردنا عن عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الصور كانت تزين كثيراً من مساكن المدينة، كمنزل ياسر بن نمير خازن بيت المال، بل إن المبخرة التي كان الخليفة عمر نفسه يستعملها في المسجد كانت مزينة بالصور الآدمية.

ولم تر الأجيال الأولى من المسلمين أي غضاضة في تسخير فن الرسم لأغراض تزيينية، جمالية، تبهج العين، ولا تشغل النفس، والحديث النبوي الشريف «يعذب الذين يضاهون بخلق الله» لم ينه عن الرسم، وإنما عن «التصوير التشبيهي» لأن ما حظر على الرسام هو سعيه وراء منافسة الخالق، وإبداعه لأشكال حية قد تلهي المؤمنين عن خالقهم، أو تجعل من تلك الرسوم أو المنحوتات إلهًا أو واسطة للإله.

وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني مثلاً، ومقامات الحريري المزينة في المتن بالرسوم وبشرح لها بصور من إبداع يحيى بن محمود الواسطي، وهو أحد أشهر رسامي مدرسة بغداد للتصوير في القرن الثالث عشر الميلادي ١٢٣٧م - ومنهم عبدالله بن فضل في - العقاقير الطبية - ومحمد بن محمد محيي الدين - صور الحيل، الجامع بين العلم والعمل -، قد حفلت جميعها بالصور الآدمية والحيوانية، ووسائل الإيضاح مثل مخطوطة «الترياق» ترجمة عبدالواحد بن الحسن بن أحمد أيضاً.

لم يقتصر الأمر على تزويق المخطوطات بالصور بل تعداه إلى النفائس الحائطية على جدران القصور الأموية والعباسية والفاطمية في الشام والعراق والقاهرة وهي واضحة في الآثار الإسلامية المعمارية مثلاً «مقر الجوسق» في سامراء «سر من رأى» في العراق. وقد أخبرنا عن وجود صورة «الراقصات» فيه في ثيابهن الفولوكلورية على أحد الجدران في ذلك القصر.

كل ذلك مما يسجل الإبداع والابتكار في فن التصوير مرافقًا للعقلانية في التراث العلمي العربي الذي نشد إليها العالم ابن خلدون وضمنه فكره الممتد إلى أوربا، مع أنه كان أشعريًا، ولكن ذلك لم يمنعه عن العقلانية في تفسيره الحديث الشريف المار ذكره وكان يقول في تفسيره إنه يقتصر على تصوير الذات الإلهية فقط؛ مما حدا بالعالم الكبير الشيخ محمد عبده على القول: «لا مانع من التصوير طالما أن هناك متعة ومنفعة للمسلمين».



اشتملت الكتب العلمية على صور تعبيرية تتميز بواقعيتها وجماليتها

في متن البحث

خلافًا لما أشاعه بعض المستشرقين، وأخذ به بعض الباحثين دون تمحيص، والعامة من الناس. نقول:إن الحضارة العربية الإسلامية في عصور ازدهارها وبخاصة في القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي، عنيت بالإبداعات الفنية من رسوم وصور ومنمنمات عمت الآثار المعمارية، إضافة إلى المخطوطات العلمية التي نحن بصدد البحث فيها وتحقيقها.

وللتأكيد نقول: إن تلك الرسوم أو الصور تشتمل فيما تشتمل على تمثيل حيوات من إنسان وحيوان ونبات إضافة إلى صور الأدوات والآلات والزخارف والمنمنمات والخطوط الفنية المذهبة.

قد تزور طبعًا في كثير من الأحيان بعض الأطباء في عياداتهم، فترى على جدران الغرف صورًا تمثل الأطباء والعلماء العرب المسلمين بلباسهم التقليدي الذي يمثل عصورهم وهم يقومون بإعداد الأدوية أو بإجراء العمليات الجراحية، هذه الصور في أغلبها مأخوذة من كتاب يحتوي على الترجمة العربية لكتاب «ديسقوريدس» الذي يسمى كتاب الحشائش أو خواص العقاقير أو خواص الأشجار.

وقد كتب هذا المخطوط عبدالله بن الفضل سنة ٦٢١هـ/١٢٣٤م، ويمكن أن تشاهده كما شاهدته في مكتبة «طوبقا بوسراي» في إستانبول، وهو يضم عددًا كبيرًا من الصور التي ذكرناها، ويقال: إنه قد نزع من المخطوطة ثلاثين صورة تفرقت بين المتاحف والمجموعات الفنية في أوربا وأمريكا، وطبعًا تعدّ هذه المخطوطة من الكتب العلمية العربية الإسلامية في عصر تابعت فيه الحضارة العربية ازدهارها.

كما يمكنك أن تتصور مدى البهاء والرونق في النفائس الحائطية التي حوتها الآثار المعمارية واليدوية المكتشفة في سورية والعراق ومصر وغيرها، وتعود إلى العصر الأموي، وبداية العصر العباسي، والخلافة الفاطمية، ومن أخبار من قام بزيارة لقصر الجوسق ـ في سامراء «سر من رأى» العراق مشاهدته للصورة الحائطية التي تمثل «الراقصات» في ثيابهن الفولكلورية التي تدل على فترة العصر الذي عاش فيه هذا القصر بساكنيه (٢)، وكذلك القصور المبنية في عصر الخلافة الفاطمية في مصر التي يمكن أن يشاهدها كل زائر، ويحكم بنفسه على ما أوردناه من إبداعات جديدة وفق القاعدة الفقهية. «تتطور الأحكام بتطور الأزمان».

عنيت الحضارة العربية الإسلامية بالإبداعات الفنية من رسوم وصور ومنمنمات عمت الآثار المعمارية، إضافة إلى المخطوطات العلمية، واشتملت على تمثيل حيوات من إنسان وحيوان ونبات

وهناك مخطوطات علمية وطبية مزينة بالصور عني بتصويرها وتزويقها الفنانون العرب فبالإضافة إلى مخطوطة الترجمة العربية لكتاب «ديسغوريدس» التي نوهنا عنها في البداية نورد مايأتي:

ـ مخطوطة «الترياق» لجالينوس، وقد كتب هذا المخطوط على ثلاث عشرة صفحة مصورة لأشكال النبات وجدول لرسوم الحياة بالإضافة إلى مجموعة صور تمثل مشاهير الأطباء الأقدمين، وكل في غرفته يطالع أو يحاور تلاميذه، ويعد هذا المخطوط الذي يحتوي على «جوامع المقالة الأولى من كتاب المعجونات لجالينوس التي ذكر منها معجون الدرياق»، خاصة بتفسير يحيى النحوي الإسكندراني، من الكتب العلمية أو الشبيهة بالعلمية، وأهم نسخة محفوظة هي في المكتبة الأهلية في باريس، كما شرح لنا الأستاذ الباحث محمود شكر الجبوري أحد أساتذة أكاديمية الفنون الجميلة في جامعة بغداد سابقًا، وقد أضاف أن هناك مخطوطًا آخر لهذا الكتاب موجودًا في فيينا إلا أنه لا يوازي مخطوط باريس من حيث إتقان الخط والتخطيط والتلوين وقوة التعبير.

ـ كتاب البيطرة وهو مختصر رسالة لأحمد بن حسن بن الأحنف، ويضم هذا المخطوط «١٤٨» ورقة، وفي نهايته أنه قد كتب في بغداد على يد علي بن هبة الله في آخر شهر رمضان سنة «٦٠٥هـ/١٢٠٩م»، وتمثل صور هذا المخطوط المرحلة الأولى من مراحل المدرسة العربية التي سيأتي ذكرها.

ويقول إيتكهاوزن : «إن هذا المخطوط إنتاج عربي إسلامي جيد، أهميته فنية تظهر ملامحها واضحة في هذه الآثار التصويرية العربية».

وتجد في الصفحتين الثانية والثالثة المتقابلتين من هذا الكتاب رسومًا هندسية تتألف من فروع نباتية ملونة بالأصباغ البراقة على النحو المعروف في المخطوطات الثمينة، أما تزاويق المخطوط فتتألف من تسع وثلاثين مصورة، «وهذا المخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية(٣).

ـ مخطوطة بعنوان «الجامع بين العلم والعمل» لأبي العربي إسماعيل الجزري الذي حققه الدكتور أحمد يوسف الحسن ونشره برسومه وصوره معهد التراث العلمي العربي، وهو من أقدم المخطوطات العربية المصورة وأشهرها (٤)، ويمكن أن تدخل هذه المخطوطة المحققة ضمن الإطار الفني إلى جانب أهميتها العلمية، بما ورد فيها من تزويق بالصور.

ـ وهناك كما يذكر كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني وهو أيضًا من أقدم المخطوطات العربية المصورة إضافة إلى بعض ما ترجم وألف في الطب والعلوم والحيل الميكانيكية المشهورة، وربما يرجع ذلك لاشتمالها على رسوم آدمية وحيوانية وغيرها، ونستطرد إلى الكتب الأدبية التي لقيت حظًا وافرًا من العناية في الدراسة وفق الرسوم، وبخاصة كتاب «كليلة ودمنة» وهو الترجمة العربية لمجموعة من القصص التي تدور على ألسنة الحيوانات، وهي حكايات هندية ترجمها عبد الله بن المقفع في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وقد راج هذا المخطوط كثيرًا حتى نسخ منه الكثير، وهي مطبوعة

رائجة حتى الآن، وتشتمل على مجموعة كبيرة من الصور.

كذلك «مقامات الحريري» الذي أتم العمل في الكتاب بإبداع تصوير فذ «يحيى بن محمود بن يحيى الواسطي» وكان وجود الصور في كل هذه الكتب إيضاحًا للمتن وشرحًا له.

ولم يقتصر تزويق المخطوطات العربية الإسلامية في العصور الوسطى على المخطوطات العلمية والأدبية، وإنما امتد إلى المؤلفات التاريخية التي عني المصورون بتزويقها «كتاب جامع التواريخ» الذي ألفه الوزير رشيد الدين، وهذا المخطوط محفوظ في مكتبة جامعة أدنبرة. ومن الكتب التي حظيت بعناية المصورين المسلمين كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» للبيروني، ومما يتضمنه الكتاب تاريخ الأديان، وهذا المخطوط محفوظ في جامعة أدنبرة، وقام بنسخه ابن القطبي سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م.



اهتم العرب بتزويق الكتب الأدبية والعلمية بالصور والرسوم

ـ المنمنمات وهي تحتوي على الصورة المصغرة، وقد أنجزت هذه المخطوطات في القرن الثالث عشر الميلادي في أنحاء متفرقة من العراق وسورية ومصر وهي موزعة بين المكتبات في القاهرة وإستانبول، وباريس، ولينينغراد، وفيينا، وغيرها. وقد شاهدناها بأم العين في أثناء زيارتنا السياحية لمتاحف تلك البلاد.

ولكن يمكن التوضيح بأن الرسوم الآدمية والحيوانية وغيرها التي عني ببحثها مؤرخو الفن كانت من الوجهة الفنية البحتة، فقد درسوا أساليبها وقسموها حسب طرازها إلى مدارس مختلفة للتصوير.

مدارس التصوير في المخطوطات العربية

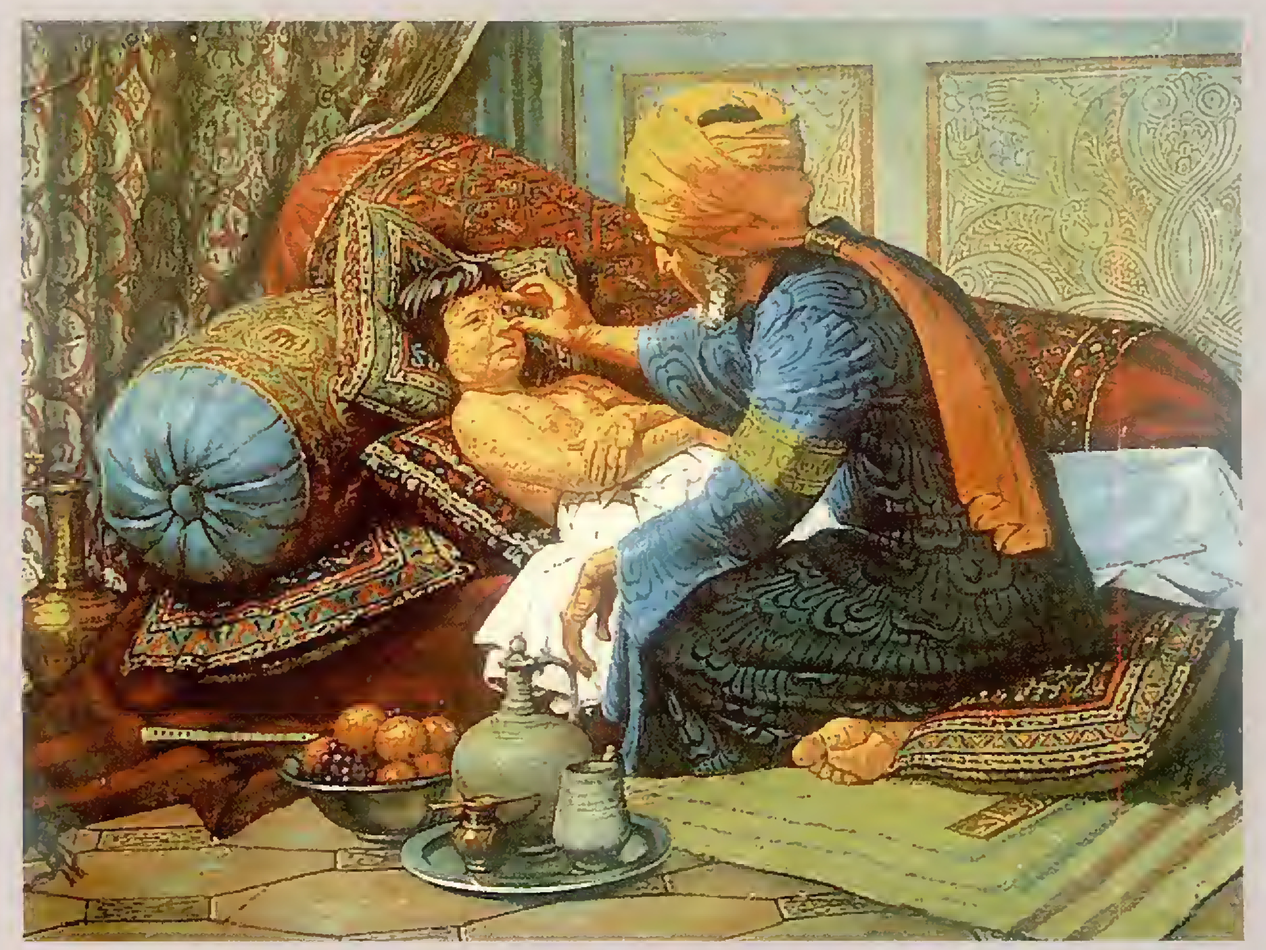
ما أورده الفنانون العرب من صور مصغرة في المخطوطات الإسلامية، يرجع عهدها إلى خلافة العباسيين واستمرت حتى الإمارات والملوك السلجوقيين، وقد تعدد تسمياتها في الكتب مثل «الثيربوثامية» أي مدرسة بلاد الجزيرة أو ما بين النهرين أو المدرسة العباسية، وكذلك المدرسة السلجوقية، وتعدّ مدرسة بغداد المدرسة الأولى في تصوير الصور المصغرة «المنمنمات»

في الإسلام بشكلها العام. لقد تركت مدرسة بغداد آثاراً ضخمة في التصوير أهمها فيما بين النهرين بين القرن السادس والقرن الثامن الهجريين القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ويأتي في مقدمتها العمل الفذ الذي أتم إبداعه «يحيى بن محمود بن يحيى الواسطي» في مخطوطة «مقامات الحريري»، وكما أسلفنا اللوحات الجدارية في قصر سامراء، وتعدّ هذه المدرسة أحد الفروع الرئيسة للمدرسة العربية التي تعدّ أولى مدارس التصوير في المخطوطات في الإسلام، والتي انتشر تأثيرها إلى كل أقطار الدول العربية الإسلامية المترامية الأطراف حينذاك.

ويمكن القول: إن الطابع الفني يبرز أكثر ظهوراً وتميزاً في المصورات التي زوقت الكتب الأدبية والآثار المعمارية والتزيينية، ذلك أن المصور لم يكن يعني في هذه الصور توضيح النص بقدر غايته رسم صورة جميلة تتجلى فيها مهارته إذ إنه يضيف إلى القيمة الأدبية قيمة فنية أخرى، أما الصور أو المصورات التي تضمنتها الكتب العلمية فقد كانت تشتمل في أغلبها بحكم موضوعاتها تصاوير علمية بحتة.

التدرج التاريخي والرأي الختامي

وكما تأخر القبول العام في تشريح الجثة بغية الدراسة أو إجراء العمليات الجراحية على الإنسان بغية إنقاذه من المرض في أوربا والبلاد الإسلامية مع الأخذ بالتأكيد سبق العرب في إقدام العلماء والأطباء في الإسلام في الإمبراطورية العربية على تشريح جثة الإنسان أو الحيوان بغية الدراسة أو إجراء العمليات الجراحية بغية إنقاذ المريض، كذلك تأخر القبول العام في البلاد العربية الإسلامية لظهور الصور الآدمية والحيوانية ولو بغية الإيضاح العلمي،



صورة متخيلة لأبي بكر الرازي في تشخيص الحصبة

أو بغية تزيين الآثار المعمارية والكتب المخطوطة، حتى كانت البداية الواضحة في القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي لظهورها مع المعرفة المسبقة أن هذه الإشكالية لم تكن موجودة في أوربا بل كان العكس في قداسة الصورة الآدمية للقديسين والمسيح هناك وبكثرة.

فصناعة الكتب التي انتعشت في العصور الإسلامية الوسيطة بعد امتزاج العرب بسكان البلاد التي وصلتها الفتوحات الإسلامية بدأت من المصاحف التي عمل فيها الخطاطون والمذهبون بعد الاستعانة بأبراع الخطاطين لكتابتها وأمهر المذهبين لزخرفتها لتصبح مصاحف جميلة، ومن الطبيعي أن تكون المصاحف أو الميادين لتقدم للحكام المسلمين والحاشية المحيطة بهم ومن الطبيعي ألا يغفلوا التجليد لتظهر بشكل مميز حتى كان القرن السابع الهجري حين حظيت بعض المخطوطات الأخرى بعناية أصحابها، إذ لم يقتصر الأمر بهم على حرصهم على الخط الجميل فيها الذي تفنن فيه الخطاطون في تجميل حروفه أو حرصهم على الزخرفة والتذهيب اللذين استعملا على أوسع نطاق أو التجليد الأنيق لإخراج كتاب جميل، بل كانت الصفحات أوسع مجالا للصور، ففي القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي أولع الناس في بغداد بشكل خاص وفي باقي الأصقاع المميزة بالعلم والفن بشكل عام وبالتصوير في الكتب لتمثيل بعض قصصها، وقد حفظ العرب في كتبهم هذه تاريخاً مجيداً لصناعة التصاوير الملونة والرسم كفن قائم بذاته، وشمل ذلك الآثار المعمارية والآثار الأخرى بداية، فالكتب والمخطوطات من المجالات المستحدثة التي برع المصورون العرب في تحليتها بالخطوط والصور التي تظهر معانيها، وكان استخدام الرسوم المسطحة ذات البعدين وبعبارة أخرى الرسوم غير المجسمة من الامتيازات الخاصة بهم، فنستطيع استطلاع جمالية الفن العربي بصورة واضحة طبعاً من خلال المنمنمات، وكانت بعدها الصور الإيضاحية التي بقيت في المخطوطات العربية المحفوظة في المتاحف العالمية حيث استعيض فيها عن الرقاق بالورق الذي أدخلت صناعته في سمرقند أول الأمر على غرار صناعة الورق الصيني.

ـ ويرى المختصون بأن الآثار الفنية الباقية للمصورين العرب تشهد لهم بالقدرة على الابتكار وبالمهارة في التصميم، وبقوة التعبير ودقة الوصف والخصوبة والمقدرة على التنويع، فقد تعددت مجالات إبداعاتهم في التصوير والمادة والأسلوب، فصوروا الحيوات المختلفة على جدران القصور والأبنية بالألوان المختلفة وعلى الأطباق والأواني والقناني والبلاط الخزفي، وصوروا كذلك على الجلد والخشب والورق، وحفروا الرسوم والصور على المعادن والخشب والعاج، وتفننوا في التصوير بالفسيفساء والصورة المائية على الجص ـ الفريسكو ـ وقصور العباسيين في بغداد وسامراء وقصور الفاطميين الباقية في مصر حتى الآن خير شاهد على ما أوردنا، إضافة إلى الآثار التصويرية المرسومة على المخطوطات العربية الإسلامية في عصور ازدهار الإمبراطورية، وفيما بعد القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي على الأخص. وبذلك نكون قد أثبتنا حقيقة، ونفينا ما يشاع من تحجر وتعصب، وهذه المرونة أكدتها التطورات اللاحقة حتى يومنا هذا.

الهوامش والمراجع

١ـ مقدمة ابن خلدون ـ الفصل الثالث عشر، والعمل الآلي ترجمته Technology.

٢ـ يرجى زيارة متحف معرة النعمان لمشاهدة «الفسيفساء» التي تمثل صور الإنسان والحيوان بشكل واضح، بعض منها من العصر العربي، كذلك زيارة متحف دمشق لرؤية «قصر الحير» النموذج المعاد، وبعض المقتنيات.

٣ـ مجلة العربي عدد كانون الأول صفحة ٩٥.

٤ـ يمكن الرجوع إلى النسخة في معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب وتصفحه.

ـ الجامع بين العلم والعمل والنافع في صناعة الحيل، أبو العربي إسماعيل الجزري، تحقيق د. أحمد يوسف الحسن، دار معهد التراث العلمي العربي ، الطبعة الأولى، جامعة حلب ١٩٧٩م.

ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني، تحقيق فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٣م.

ـ تفسير كتاب ديسقوريدس، عبد الله بن أحمد البيطار، دار التراث اليوناني العربي، فوتو كوبي.

ـ عجائب الآثار في التراجم، عبدالرحمن بن الحسن الجبرتي، مصر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٢٩٧هـ.

ـ مقامات الحريري، الطبعة الأولى، مصر، القاهرة ١٣٢٦هـ.

ـ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٢٧م.

ـ كليلة ودمنة، عبدالله بن المقفع، تحقيق إبراهيم الابياري، طبعة كاملة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

ـ الآثار الباقية من القرون الخالية، محمد بن أحمد البيروني، دار لا يبزغ، الطبعة الأولى ١٩٢٣م.

تنهيدة النسَّاخ أو «خواتيم الورَّاقين»

محمد خير رمضان يوسف
الرياض - السعودية

عندما تنجز مشروعًا، أو تُنهي عملاً شاقًا، تتنفس الصُّعداء، وقد تقول بعده كلمات قلائل وتستريح، أو تأخذك لحظةُ نشوةٍ فتنفعل نفسك وتدبِّج كلمات في بلاغة جميلة. وإذا كنت متذوقًا للشعر نظمتَ بيتًا أو أبياتًا تصف فيها شعورك بعد هذه الرحلة المضنية.

وكان هذا دأب كثير من الكتّاب والورّاقين في تاريخنا الإسلامي. فإذا أنهى أحدهم نسخ الكتاب، الذي يختلف وقت إنجازه بحسب حجمه، فإذا كان كبيراً ذا أجزاء طال شهوراً، وقد يواصل الليل بالنهار إذا كانت هذه مهنته فإذا أنهى فإنه يقارن ما كتب بنسخة أصلية أو نسخة عالم مشهور، وقد يقرؤه على مؤلفه، ثم يؤرخ لنسخته، وقد يذكر اسمه ومكان نسخه.. ويضع القلم ليستريح بعد جهدٍ وتعب، وقد لا يَدَعُ القلم حتى يكتب في آخره شيئًا مؤثرًا، من نثر أو نظم.

هذه اللحظات الأخيرة من «حياة» الناسخ مع عمله سميتها «تنهيدة» من تَنهَّد إذا تنفس الصعداء - وقد يكون للغويين رأي في هذا التصريف - وأعني به «الخواتيم» التي ينهي بها الورّاقون منسوخاتهم.

وقد راجعتُ مئات المخطوطات، أصلية ومصورة، ومثيلات لها في الكتب والمجلات، متابعاً ما يدوَّن في أوائلها وأواخرها من فوائد، ولفت نظري من بينها ما يدوَّن في خاتمتها من كلمات جميلة معبرة مؤثرة في النفس، يُعلم من قراءتها أنها كتبت بعد بذل جهد ومعاناة.

وتختلف هذه الكتابات عن الفوائد الأخرى، ومن ناسخ إلى آخر، مما يستحقُّ أن يفرد في موضوع مستقل.

فقد يفضّل أحدهم أن يقوم بدعاية لكتابه ويصفه بأجمل الأوصاف خطًا وإخراجًا، وآخر يردد ما قيل عن بقاء الخط وفناء كاتبه، وغيره يعترف بالخطأ الواقع في منسوخه، ويعلّل عمله هذا بأن أحدًا لا يخلو من الخطأ. ويتوجه بعضهم مباشرة إلى القارئ ليطلب منه تصحيح ما يجده من أغلاط، وغيره يخاف مما يكتب ويعرف أنه محاسب عليه، فيطلب ألا يكتب أحد إلا ما تسرُّه نتيجته يوم الحساب. ويكثر أن يتوجه بعضهم إلى الله بطلب المغفرة والرضوان، لكن الأكثر هو طلب الدعاء من قارئ الكتاب.

وهذا ما سنتصفحه بالتفصيل والتوثيق إن شاء الله، في عادة جميلة وتذكير نفيس، افتقدناه بانتهاء عصر النسخ! وعلى الله التكلان.

النسخ.. مهنة متعبة!

قبل أن نُبحر في آمال النسّاخ علينا أن نعرِّج على آلامهم! وقد نلحظ تضجُّرهم من مهنتهم وعدم القناعة بما تدرُّ عليهم من رزق في أبيات قيلتْ في ذلك، وصار مثل هذا حديثًا يتندَّرُ به أقوامٌ من ظرفاء الأدب وغيرهم.

ويلخِّصُ هذا قولُ أحدهم وُجِدَ في آخر المجلد الرابع من مخطوطة «البداية والنهاية» لابن كثير، نسخة دار الكتب المصرية:

أفٍّ لرزقِ الكَتَبَهْ
أفٍّ له ما أنصبَهْ
أفٍّ لرزقٍ نازلٍ
من شقِّ تلك القَصَبهْ!

وعلى يسار هذين البيتين:

ولقد سئمتُ من الكتابةِ واشتهتْ
نفسي بأن أرتاح منها مطلقا
فأرى هناك أبا شحاذة لابثًا
فأعودُ في أذيالها متعلِّقا!

وقد نبَّه الباحثون قديمًا وحديثًا على أهمية النسخ ودوره في نشر الكتاب، وكذلك الحفاظ على مضمونه، وما يطرأ عليه من تزييفٍ وغشٍّ من قبل النسّاخ وغيرهم...

فجاء في آخر مخطوطة «دليل الطالب لنيل المطالب» لمرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ)، المنسوخة سنة ١٢٨٧هـ:

أخا العلم لا تعجلْ بعيب مصنِّف
ولم تتيقَّنْ زلَّةً منه تعرفُ

نموذج لختم النساخ عملهم بالدعاء

فكم أفسدَ الراوي كلامًا بعقله
وكم حرَّفَ الأقوالَ قومٌ وصحَّفوا
وكم ناسخٍ أضحى لمعنى مُغيِّرا
وجاء بشيءٍ لم يُرِدْهُ المصنِّفُ(١)!

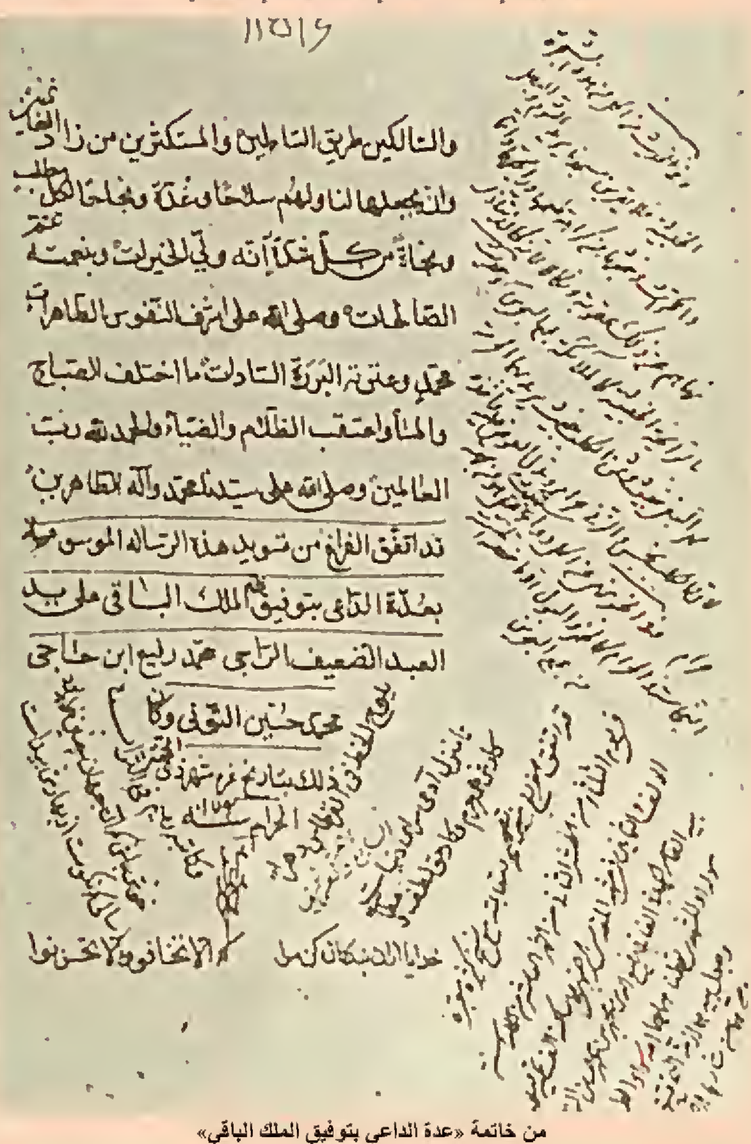
الدعاية للكتاب

يحلو للكاتب أحيانًا أن يبيِّن جهده للقارئ من خلال

كلمات رقيقة يستجلب بها نظره ليحبّب إليه قراءته، أو ليشتري نسخته، ويعبِّر من خلال ذلك تعلقه به، ويخشى ألا يُعطى حقه من الاهتمام بعد وفاته...

ـ جاء على ورقة العنوان من مخطوطة «مسائل الكرماني مع الأجوبة» للمطهر بن الحسين اليزدي (ت بعد ٥٥٩هـ)، المنسوخة سنة ٧٣٩هـ، والمحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية:

كتبتُ كتابي بخطٍّ جميلِ
بجهدٍ كثيرٍ وعمرٍ طويلِ



من خاتمة «عدة الداعي بتوفيق الملك الباقي»

أخافُ من الموتِ لو جاء يومًا
يباعُ كتابي بشيءٍ قليلِ

وفي آخر «الدر المختار في شرح تنوير الأبصار» لمحمد بن علي الحصكفي (ت ١٠٨٨هـ) المنسوخة سنة ١٢٤٨هـ بقلم حافظ علي القسطموني، والمحفوظة في المكتبة الوطنية بألبانيا ـ تيرانيا:

تمّتْ ميامنهُ عمّتْ مفاخره
جمّتْ مآثره جلّتْ محاسنهُ
فاقت على الدرر الحسنى جواهره
باليُمنِ أوله باليُمن آخرهُ

والحمدُ في بدءٍ ومختتم.

وعلى «البردة الشريفة» المنسوخة سنة ١٢٧٢هـ المحفوظة بدار الكتب اللبنانية في بيروت:

تمّ بجهدٍ وتعبْ
بعدَ عناءٍ ونَصَبْ
فلا تبعْ ولا تهبْ
ولو بوادٍ من ذهبْ

وعلى ظهر «اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل المفسر (ت بعد ٨٨٠هـ)، النسخة المحفوظة بمكتبة الظاهرية، بخط جميل:

هذا كتابٌ لو يُباعُ بوزنه
ذهبًا لكان البائع المغبونا
أوَما من الخسران أنك آخذٌ
ذهبًا وتعطي جوهرًا مكنونا(٢)؟!

بقاء الخط وفناء كاتبه

ويحلو لبعضهم الآخر أن يذكّر بخطه الذي سيبقى دهرًا وهو تحت التراب، في أبيات شعر، وكأنها كلمات ذكرى، مازال يتناقلها عشاق المراسلة حتى اليوم! من ذلك البيت المكرر المشهور:

يلوحُ الخطُّ في القرطاس دهرًا
وكاتبهُ رميمٌ في التراب(٣)

وقد يزيد بعضهم على هذا البيت ما يشتهيه، كما فعله ناسخ «فضل علم الخلف على علم السلف» لابن رجب، نسخة شستربتي، فزاد:

خرجتَ من الترابِ بغير ذنبٍ
وعدتَ مع الذنوب إلى الترابِ

وفي صياغة جديدة للبيت المذكور يكتب ناسخ «المختصر النافع في فقه الإمامية» للمحقق الحلي، نسخة مكتبة المرعشي بقم:

ستبقى خطوطي في الدفاتر برهة
ويَخْلَق من تحت التراب رميمها

وفي طرف آخر:

كم كتاب كتبته بيدي
سوف تبلى يدي ويبقى الكتاب

ويستبدل بالشطر الأخير آخر في قوله:

وأنملتي تحت التراب رميم(٤).

وكتب «محمد بن عبدالله العظمي» في آخر «مجموع» محفوظ في مكتبة زهير الشاويش ببيروت:

كتبتُ وقد أيقنتُ يوم كتبته
بأن يدي تفنى ويبقى كتابها
فيا قارئ الخط الذي قد كتبته
تفكَّرْ في يدي وما قد أصابها

وكتب الناسخ سلطان بن حسن الشجري سنة ٨٢٣هـ في آخر «قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام» لابن المطهر الحلي، من مكتبة المرعشي بقم:

فكم من خطوطٍ باقيات فواخرٍ
وصاحبُها قد غيَّرتْهُ المقابرُ
كذلك خطي في الدفاترِ مُضْمَنٌ
أموتُ وتبقى بعد موتي دفاترُ

ولناسخ آخر اسمه حمد بن علي الموسوي الخطي في آخر «تعليق في النحو» لمجهول محفوظ بدار المخطوطات في البحرين:

فلا بدَّ أن يبقى الكتابُ عُقيبَ ما
يكونُ رميمًا قارئوهُ وكاتبُهْ
وإن الفتى في الدهر يأملُ أنه
يعيش طويلاً أو تنالُ مآربُهْ

تسويغ واعتراف!

وفي تصريح واضح وتسويغ منطقي يذكر ناسخان أن كتابيهما لا يخلوان من خطأ، ومن ذا الذي سلمَ من هذا حتى يسلم كتاباهما؟! فقال أحدهما، ويُدعى حسن أبو الفضل حفيد المنلا إبراهيم الكردي المدني على صفحة العنوان من «الدرة النحوية في شرح الآجُرُّوميَّة» لابن يعلى الحسني، المنسوخة سنة ١١٤٢هـ والمحفوظة بمكتبة الملك فهد بالرياض:

قابلتهُ مجتهدًا
وليس يخلو من غَلَطْ
فقل لمن يَعْذِلني
من ذا الذي ما ساءَ قطْ؟

وعلى الغلاف الورقي من مخطوط كله جداول، لعل عنوانه «جدول الظل المبسوط والمنكوس» لمؤلفه محمد بن مصطفى الطنطاوي، غير مؤرخ، محفوظ في المكتبة السابقة:

إذا أبصرتَ في لفظي فتورًا
وخطِّي والبلاغة والبيانِ
فلا تعجلْ بذمِّي إنَّ رقْصي
على مقدار إيقاع الزمانِ!

إصلاح الغلط

وبما أن الخطأ وارد من نسيان وغيره، فإن الناسخ هنا يتوجه إلى القارئ بأن يصححه، فجلَّ من لا ينسى، وجلَّ من لا يخطئ.

وأشهر بيت وأكثره شيوعًا عند النساخ قول بعضهم:

إنْ تجدْ عيبًا فسُدَّ الخللا
جلَّ من لا عيبَ فيه وعلا(٥)

وكتب هذا فاضل اسمه يوسف بن إبراهيم الوانوغي

المغربي (ت بعد ٨٣٨هـ) على كتاب له مخطوط في شستربتي رقم (٣٣١١) وزاد: وأي عالم لا يهفو، وأي صارمٍ لا ينبو، وأيُّ جوادٍ لا يكبو، وأيُّ الرجالِ المهذَّب، ومن ذا الذي يُعطى الكمال فيكملُ؟!

ويتفنَّن بعضهم فيحوم حول هذا البيت ويصارعه، أو يزيد عليه ما يشتهيه، مثل أحمد بن علي المعتوقي الريحاوي ناسخ «مختصرة المقنع» لمؤلفه علي حلاوة، نسخة جامعة الإمام، المكتوبة سنة ١٢٧٠هـ:

يا جليل القدر يا أهل العلا
إن تجدْ عيبًا فسدَّ الخللا
طبعي النسيان في الناس فقل
جلَّ من لا عيب فيه وعلا

وفي آخر نسخة الشيخ عبدالرحمن بن عيسى - من نجد لناسخها محمد بن عبدالله الحجيني، كتبت سنة ٨٦٨هـ على «شرح الزركشي على مختصر الخرقي»:

وإنْ ترَ عيبًا يا أخيَّ فاسترْنَهُ
فجلَّ الذي لا عيب فيه وقد علا
على الله تكلاني وأسألُ عفوهُ
فما خاب [من على الإله](٦) توكَّلا

ويميل آخر إلى نظم جديد، فيورد قول أحدهم(٧):

يا ناظرًا في كتبنا ادْعُ لنا
لعلَّ مَنْ له الرَّجا يغفرُ لنا
إذا وجدتَ عيبًا او تصحيفا
أصلحْهُ يا أخي وكنْ ظريفا

وفي نظم آخر موافق جميل كتب أحد ظرفائهم، من نسخة مكتوبة سنة ١٢٧٥هـ من «المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة» للصفوري:

قد تمَّ هذا بعون الله ذي المنن
في جلسةٍ قد سرقناها من الزمن
فإن يجد أحد في خطه خطأ
فليبدل السيئَ المكروه بالحسن

وينظم الأديب أحمد بن إبراهيم الحاجي (ت بعد ١٠٤٣هـ) قصيدة ميمية على نسق قصيدة البوصيري عنوانها «بديع المعاني شرح بديعية القازاني» توجد نسخة بخطه في مكتبة زهير الشاويش، ويكتب على طرَّتها:

لربي الحمدُ دومًا إذ هداني
لما أَلَّفتُ مَعْ ضعفي وكَرْبي
لا بدَّ ما فيَّ (؟) والعبدُ يُخطي
فأصلحْ زلَّةً بانتْ بكتبي
وإن تنظرْ صوابًا فاثنِ خيرًا
عليَّ فإنَّ ذا من فضل ربِّي

الخوف من الحساب

وتبدو التقوى من صنيع بعض الكتّاب والنسّاخ، فيستشعرون كلَّ ما يكتبون، ويعلمون أنهم مقبلون على حساب عظيم، فالكاتبُ سيُسأل عما كتب من أفكار، والناسخ عن الأمانة في العمل والإتقان. فلا يكتبْ أحدٌ إلا ما يسرُّه أن يلقاه يوم القيامة.

كتب ناسخه على «دافع الأوهام في شرح رياضة الأفهام في لطيف الكلام» لأحمد بن يحيى بن مرتضى الحسيني، نسخة المرعشي بقم:

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقى الدهرَ ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفِّك غير شيءٍ
يسرُّك في القيامة أن تراهُ

وكتبه آخر بصيغة مقاربة فقال(٨):

وما من كاتب إلا ستبقى
كتابتهُ وإن بليتْ يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرُّك في القيامة أن تراه

وكتب عالم نجدي اسمه سعد بن حمد بن عتيق في آخر «نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر» لابن حجر العسقلاني، التي خطَّها بيده سنة ١٣٠٢هـ، وهي مخطوطة بمكتبة الملك فهد الوطنية رقم (٦٥٦):

كتبت وقد أيقنت يوم كتابتي
بأن يدي تفنى ويبقى كتابها

وما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن بليت يداه

وأعلم أن الله لابدَّ سائلي
فيا ليت شعري ما يكون جوابها

وأوردها الخليل النحوي بصيغة قريبة لنساخ من بلاد شنقيط:

كتبت وقد أيقنت لا شك أنني
ستفنى يدي يومًا ويبقى كتابيا
وأيقنت أن الله سائلها غدًا
فيا ليت شعري ما يكون جوابيا(٩).

طلب العفو والمغفرة من الله

وكثيراً ما يتوجه الكاتب أو الناسخ إلى الله عز وجل ليغفر زلَّته ويتولاه برحمته وعفوه، بعد أن أدَّى أمانة وقام بعمل يترتب عليه مسؤولية عظيمة لا يؤمن فيه الخطأ والزلل.

فكتب الناسخ في آخر «فتح المتعال بشرح القصيدة المسماة لامية الأفعال»(١٠)

يا من تحكمه في خلقه جاري
اغفرْ لكاتبه ياربِّ والقاري

وكتب بآخر «الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» للإمام السيوطي، نسخة دار الكتب المصرية المنسوخة سنة ١١٢٤هـ:

تمَّ الكتابُ تكاملتْ
نِعَمُ السرورِ لصاحبِهْ
وعفا الإله بجوده
وبفضله عن كاتبهْ(١١)

وكتب ناسخه محمد بن محمد البكري الخليلي في آخر «شرح علل الترمذي» لابن رجب الحنبلي، نسخة الدار السابقة، وقد نسخها بمكة المكرمة سنة ٨٩٩هـ:

وما كنت أهلاً للذي [قد] كتبته
وإني لفي خوفٍ من الله نادمُ
ولكنني أرجو من الله عفوه
وإني لأهلِ العلم لا شكَّ خادمُ

وفي آخر «العلو للعلي الغفار، للحافظ الذهبي» كتب ناسخها محمد بن عبدالله الجبر في سنة ١٢٨٦هـ، نسخة جامعة قطر:

تمَّ الكتابُ بحمد الله بارينا
ومَنْ بلا شكٍّ بعد الموتِ يُحيينا
ياربِّ اغفر لعبد كان كاتبه
يا قارئ الخط قل بالله آمينا
آمين آمين لا أقنع بواحدة
حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقـــد علمتُ بأن اليـــدُ باليـــةٌ
تحت التـراب ويبـقى خطُهـا حـينا

وجاء على الورقة الأولى لمخطوط مؤلفه مجهول، عنوانه «الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، الذي نسخه أحمد بن علي الحريري سنة ٩٢٦هـ، بإملاء خطأ: «الخط باقي، والعبد فاني، والعبد خاطي، والربُ غافر».

وعلى طرَّة «مصابيح السنة» للبغوي، المنسوخ سنة ٨٠٠هـ بخط إلياس بن عيسى، محفوظ في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:

«يا ناظرًا» خطي وكتابي لا تنساني، لا تعتبني إن وجدت فيه خطأي ونسياني، فالله عفو وغفور ومجاز، يا غافر الذنب اغفر خطأي ونسياني».

وفي آخر «الكافي» للكليني نسخة مكتبة المرعشي في قم رقم (٣٠١٥) كتب الناسخ: «اللهم اغفر لصاحبه ولكاتبه، ولقارئه، ولمن نظر فيه، ولمن قال آمين يارب العالمين».

طلب الدعاء من القارئ

أما أكثر ما رأيته من هذه الكتابات، فهو طلب الدعاء من القارئ، بأن يدعو له بالعفو والغفران، وحسن الخاتمة، وقراءة الفاتحة عليه، وأن ينجيه من النار.. وما إلى ذلك.

وسبب هذه الكثرة هو ما ورد من قبول الدعاء للميت، وأن هذا مما ينفعه وهو في قبره وعند الحساب.

من ذلك ما تكرر عند النساخ الشناقطة قولهم:

يا ناظر الخطِّ استـغـفـر لمن كـتـبا
فـقـد كـفـتك يداه النسخَ والتـعـبا(١٢)

وبأسفل العنوان من كتاب «فتح الرحمن في الإيمان والإسلام» لجمال الدين محمد بن زياد الوضاحي، المحفوظ بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض:

يا قـارئَ الخط في العـينين تنظرُهُ
لا تنسَ كـاتبـه في الخـيـر واذكـرهُ
وهب له دعـوة لله خـالصـة
لعلها من صـروف السـوء تنفـعُـهُ

وكتب ناسخه محمد بن علي سبتة البغدادي الحنفي سنة ١٣٠٣هـ بآخر «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة» لابن القيم، المحفوظ في المكتبة القادرية ببغداد:

لله درُ كـتـاب كله دُرَرٌ
ينال من حاز معناه به رُتَبـا
فيا مطالعه جُدْ بالدعاء لمن
كان المؤلفَ والقاري ومن كتبا

وفي آخر «المختصر في أصول الحديث» للشريف الجرجاني(١٣):

أموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبته
فياليت من يتلو كتابي دعا ليا
لعلَّ إلهي يعفو عني بفضله
ويغفرُ تقصيري وسوء فعاليا

وضمن مجموع في مكتبة الملك فهد الوطنية فيه «مختصر نوازل ابن سهل» لعله منسوخ في سنة ١١٤٧هـ، جاء في آخره:

من أبصر خطي من الإخوان
فليدعُ لي بالعفو والغفرانِ
وليستر العيبَ مع الألحانِ
وكثرة الأخطاء والنسيان
لأنني لستُ بذي تبيان
ولا بنجويٍّ رفيع الشانِ

ويقسم ناسخ آخر على القارئ أن يدعو له بالمغفرة والفوز بالجنة، وذلك في آخر مخطوطة «إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج» المحفوظ في المكتبة السابقة، والذي نسخه محمد بن محمد الدهشوري سنة ١٢٩٤هـ، فقال:

أقسمتُ بالله على من [يكن]
أبصرَ خطي حيث ما أبصرَهْ
أن يسأل الرحمن لي توبة
والفوزَ بالجنان والمغفرهْ(١٤)

وكتب شيخ الوراقين بمصر عبدالرحمن بن أحمد

الحميدي (ت ١٠٠٥هـ) في آخر مخطوطة «شرح ألفية ابن مالك» للأشموني، سنة ٩٨٠هـ، وهي محفوظة بدمشق:

إني سألتك بالله الذي خضعت
له السماوات فهو الواحد الباري
مهما تصفحته استغفر لكاتبه
لعل كاتبه ينجو من النار

وجاء في آخر «مشرق الشمسين وأكسير السعادتين» لبهاء الدين العاملي، نسخة مكتبة المرعشي بقم:

رحم الله من قرا خطَّ كفِّي
ودعا لي بالعفو في يوم حتفي
فعسى أن يكون عبدًا مطيعًا
يستجيبُ الإله منه فيُعفي

وكتب ناسخه عبدالله بن محمد بن فنتوخ سنة ١٢٨٨هـ فوائد عديدة على ظهر «الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية» وكتب في آخرها(١٥):

لقد كتبت كتابي هذا محتسبًا
للأجر والفوز من ربي بحُسناهُ
وسائلاً دعوةً ممن يطالعه
بحُسنِ خاتمةٍ في يوم ألقاهُ

وكتب الناسخ في آخر «السير والسلوك إلى ملك الملوك» لقاسم بن صلاح الدين الخاني (ت ١١٠٩هـ)، وهو من تلامذة المؤلف، وهو محفوظ بمكتبة جامعة القاهرة:

يلوح الخط في القرطاس دهرًا
وكاتبه رهينٌ في الترابِ
أيا قاريْ حروفِ الخط مهلاً
تأنَّى واقْرَ فاتحة الكتابِ
لعبدٍ قد كتبْ هذا بيدهْ
ويرجو دعوةً من ذي الصحابِ
وأهدِنها عسى يختمْ بخيرٍ
ويرزقُنا النجاة من الحسابِ

وكتب ناسخ «شرح الآجرّومية» لعلي بن إبراهيم المقشي الأنصاري، واسمه أحمد بن خليل السلموني، وهو محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية.

أيا قارئًا خطي سألتك دعوةً
إلى الله في عبدٍ مقرٍّ بفعلهِ
ليعفو عني ثم يغفر زلَّتي
ويرزقني رزقًا مقيمًا بأهلهِ

وفي آخر «مختصر مصباح المتهجد» للطوسي، نسخة المرعشي بقم، كتب ناسخه سنة ١٠٣٢هـ:

كتبت كتابي ببناني
بقي الدهر والأيام فاني
فإذا رأيتموه فقولوا
رحم الله كاتبًا متى...؟

وجاء على صفحة العنوان من «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني الأصبهاني، المنسوخ سنة ٦٧٤هـ والمحفوظ في مكتبة كوبرلي بإستانبول:

يا ناظرًا في الكتاب بعدي
مجتنيًا من ثمار جهدي
إني فقيرٌ إلى دعاءٍ
تُهديه لي في ظلام لحدي(١٦)

وفي آخره:

لقد أتممته حمدًا لربي
على ما قد أعان على الكتاب
ليدعوَ الله بعدي من رآه
بمغفرتي وإجزال الثوابِ
فقد أيقنت أن الكُتْبَ تبقى
وتبلى صورتي تحت الترابِ

وكتب الناسخ أيضًا في آخر «صفوة الأخبار عن الأئمة الأطهار» لمؤلف غير معروف، نسخة مكتبة المرعشي بقم:

يا من قرأ خطي تذكَّرْ حالتي
بعد الحياةِ وما أصيرُ إليهِ

فإذا قرأتَ الخطَّ مني يا فتى
قلْ رحمة الله الكريم عليه

ولعله بقلم كاتبها الذي وجد في آخر «أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء» للشيخ قاسم القونوي (ت ٩٧٨هـ)، نسخة ـ الحرم المكي المكتوبة سنة ١٠٤٤هـ:

ستبقى خطوطي بعد موتي برهةً
على أنها تبقى وتفنى أناملي
فيا قارئًا خطي سلِ الله رحمةً
لكاتبها المدفون تحت الجنادلِ(١٧)

وتحته:

لله دَرُّ كاتبٍ كلامهُ
ينالُ من حازَ معناهُ به رُتَبا
فيا.. جُدْ بالدعاءِ لمن
كان المؤلفَ والقاري ومن كتبا

وجاءت على الورقة الأخيرة من القسم الثاني من «سنن ابن ماجه» نسخة الأوقاف العراقية، هذه الأبيات:

يا ناظرًا فيه سلْ بالله مرحمةً
على المؤلفِ، واستغفرْ لصاحبه
واطلب لنفسك حاجاتٍ تريدُ بها
من بعد ذلك غفرانًا لكاتبه
قلَّ الكرامُ وهذا الدهرُ قد فسدا(١٨)
والعمرُ في صحبةِ الأوباشِ قد نَفِدا
قلَّ اصطباري وإني لا أرى فرجًا
ياربُّ هيِّئ لنا من أمرنا رشدا

وفي آخر نسخة من مكتبة المرعشي بقم من مخطوطة «شرح التصريف» للتفتازاني ضمن مجموعة برقم (١٠٣٧٧) منسوخة سنة ٨١٦هـ، كتب «يوسف» المسكين:

يا ناظرًا فيه سلْ بالله مرحمةً
على المصنِّفِ واستغفر لصاحبِهِ
واطلبْ لنفسكَ من خيرٍ تريدُ به
من بعد ذلك غفرانًا لكاتبِهِ

وكتب محمد بن عبداللطيف الحنبلي في نهاية «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر» للغزي، الذي نسخه من نسخة الظاهرية، وهو محفوظ في دار الكتب المصرية:

كتبت وإني مؤمنٌ أن راحتي
ستفنى ويبقى الخط بعدي بمدَّةٍ
فيا أيها القاري سألتك دعوةً
لكاتبه في ظهر غيبٍ برحمةٍ

وورد في آخر «شرح وقاية الرواية» لصدر الشريعة الثاني عبدالله بن مسعود المحبوبي (ت ٧٥٠هـ) نسخة مكتبة المرعشي بقم:

تبلى الأنامل تحت الأرض في لحدٍ
وخطُّها في كتابٍ يؤنسُ النظرا
كم من كتابٍ كريم كان كاتبهُ
قد ألبس التُّربَ والآجُرَّ والحَجَرا
يا من إذا نظرتْ عيناك في كتبٍ
كنْ بالدعاءِ له والخيرِ مذكِرا

وعلى ورقة تسبق «القول المفهم في شرح فهم السلم» تأليف إبراهيم بن محمد... محفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية:

بالله إن نظرتْ عيناك ما كتبتْ
يدُ الفقيرِ إلى غفرانِ مولاهُ
فاقرأ له مهديًا أمَّ الكتاب وقلْ
اللهُ يجعلُ دار النعم مأواه

وجاء في آخر «تحفة الحبيب في شرح التقريب» لابن دقيق العيد، المنسوخة سنة ١٠٩٦هـ بقلم محمد بن رمضان، ومصورتها في مكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض:

رحم الله من قرا خطَّ كفي
ودعا لي بالعفو والتمحيص
إن عيشًا يكونُ آخره المو
تُ لعيشٌ من كل التنغيصِ
كيف يلتذُّ عاقلٌ بحياة
[موته بين] جلده والقميص؟!

وفي آخر «ملخص الفواكه العديدة في المسائد المفيدة» الذي لخصه أحمد بن محمد المنقور، ونسخ سنة ١٣٤٥هـ، وهو محفوظ بمكتبة الملك فهد الوطنية.

«عبدٌ مذنبٌ كتبه، عسى دعوة غير خائبة، رحم الله امرأ قرأه، فقال يرحم الله كاتبه».

في كتابات النسّاخ قد نلحظ تضجُّرهم من مهنتهم وعدم القناعة بما تدرُّ عليهم من رزق في أبياتٍ قيلتْ في ذلك، وصار مثل هذا حديثًا يتندَّرُ به أقوامٌ من ظرفاء الأدب وغيرهم

وبآخر مجموعة فيها «منظومة» في العروض، لم يذكر ناظمها، رقمها (١٠٠٥٠) في مكتبة المرعشي بقم: ربِّ اختم لمن نظمها وسطرها بالخير والحسنى، وارزقهما وأسلافهما من لدنك الحظَّ الأسنى، واجعل... وآمنهما عظيم الفزع من سياط سطوتك القاهرة، يوم يقوم الناس بالساهرة.

خاتمة

كانت تلك جولة تاريخية موضوعية في رياض الوراقة، حيث يختم الناس الكتاب بكلمات مؤثرات، من نظمه أو من نظم آخرين، يصف فيها شيئًا من آلام مهنته وآمال يسطِّرها بعد بذل جهد، في مهنة شاقة وحسّاسة. وقد يحلو لبعضهم أن يقوم بدعاية لمنسوخه في كلمات رقيقة يستجلب بها نظر القارئ، أو ينساق وراء عاطفة نفسية وتعلق بالذكريات فيدوِّن ما ورد في بقاء الخط وفناء كاتبه. ثم تختلف تسويغاتهم حول الأغلاط التي لا يخلو منها كتاب! فقد يصرح أحدهم أن أحدًا لا يخلو من خطأ حتى يخلو كتابه منه، وقد يدعو آخر إلى تصحيح ما يجد من أخطاء. وثالث يخشى المحاسبة في اليوم الآخر لينبِّه ويتنبَّه، وغيره يطلب العفو والمغفرة من الله عزَّ وجلَّ، والأكثر يتوجه إلى القارئ طالبًا منه أن يدعو له بالعفو والغفران وهو مدفون تحت التراب.. وبعضهم يقسم عليه أن يفعل ذلك. رحمهم الله جميعًا.

الهوامش

١. ومثله ورد تحت عنوان كتاب «الثبت المسمى بكفاية المستفيد لما علا من الأسانيد» للترمسي (ت ١٣٣٨هـ). المطبوع في القاهرة نحو سنة ١٣٥٧هـ، وأنه مما أنشده البهاء ابن السبكي في خطبة «عروس الأفراح»، وهو في شرح تلخيص المفتاح، كتاب في البلاغة.

٢. ورد مثل هذا على مخطوطات كثيرة. والكتاب المذكور صدر محققًا في (٢٠) مجلدًا عن دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

٣. كثيرة هي المخطوطات التي ظهر عليها هذا البيت، منها «نوادر الأصول» الحكيم الترمذي، المنسوخة سنة ٨٦٦هـ والمحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية، و«عدة الداعي ونجاح الساعي» لابن فهد الحلي، نسخة مكتبة المرعشي بقم، و«المختصر في شرح التلخيص» لمسعود التفتازاني، المنسوخة سنة ٩٧٥هـ بالمكتبة السابقة.

٤. في آخر «الكافية في شرح الشافية لابن الحاجب» بخط المؤلف محمود ابن محمد الأراني الساكناني (ت بعد ٧٣٤هـ) وهو من أران عند أذربيجان.

٥. كما ورد تحت عنوان «سير السلف الصالحين» لقوام السنة، نسخة مكتبة راغب باشا بإستانبول المكتوبة سنة ٩٧٣هـ، وبآخر «الديباج على صحيح مسلم» نسخة دار الكتب المصرية المكتوبة سنة ١١٢٤هـ.

٦. ما بين المعقوفتين ممحو في الأصل.

٧. من «شرح ألفية ابن مالك» للمكودي (ت ٨٠٧هـ) المنسوخة سنة ١١٣٣هـ، والمحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية رقم (١٩٣).

٨. بآخر «حاشية الكشاف» لسعد الدين التفتازاني، المنسوخة سنة ١١٧٢هـ، المكتبة السابقة.

٩. بلاد شنقيط ص ٢٣٦.

١٠. وهي لمحمد بن محمد الرائقي الصعيدي (ت بعد ١٢٤٨هـ) نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

١١. وكذا هو على صفحة العنوان من مخطوطة «الدرة النحوية» المار ذكرها.

١٢. بلاد شنقيط: المنارة والرباط، ص٢٣٦.

١٣. نسخة مبارك بن عبدالله الهندي الشيرازي في ٨٧٥هـ، محفوظة بالمكتبة العامة من جامعة الإسكندرية.

١٤. ومثله ورد على طرة النسخة الموصلية من مخطوطة «علوم الحديث» لابن الصلاح.

١٥. صورة المخطوطة من كتاب «العلماء والكتاب في أشيقر» ٢/٢٧٢.

١٦. وكذا كتبه ناسخ بآخر «الموشح في شرح الكافية الحاجبية» للخبيصي، فاتني توثيقه، وبآخر «أنيس الفقهاء» الآتي.

١٧. ومثله ورد على ورقة العنوان من الجزء الثاني من «شرح المختصر في أصول الفقه» للشيرازي، نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

١٨. الدهر لا يفسد. إنما الناس...

اليونسكو
إدارتها وتمويل برامجها وإنجازاتها في حقل الطفولة والمرأة

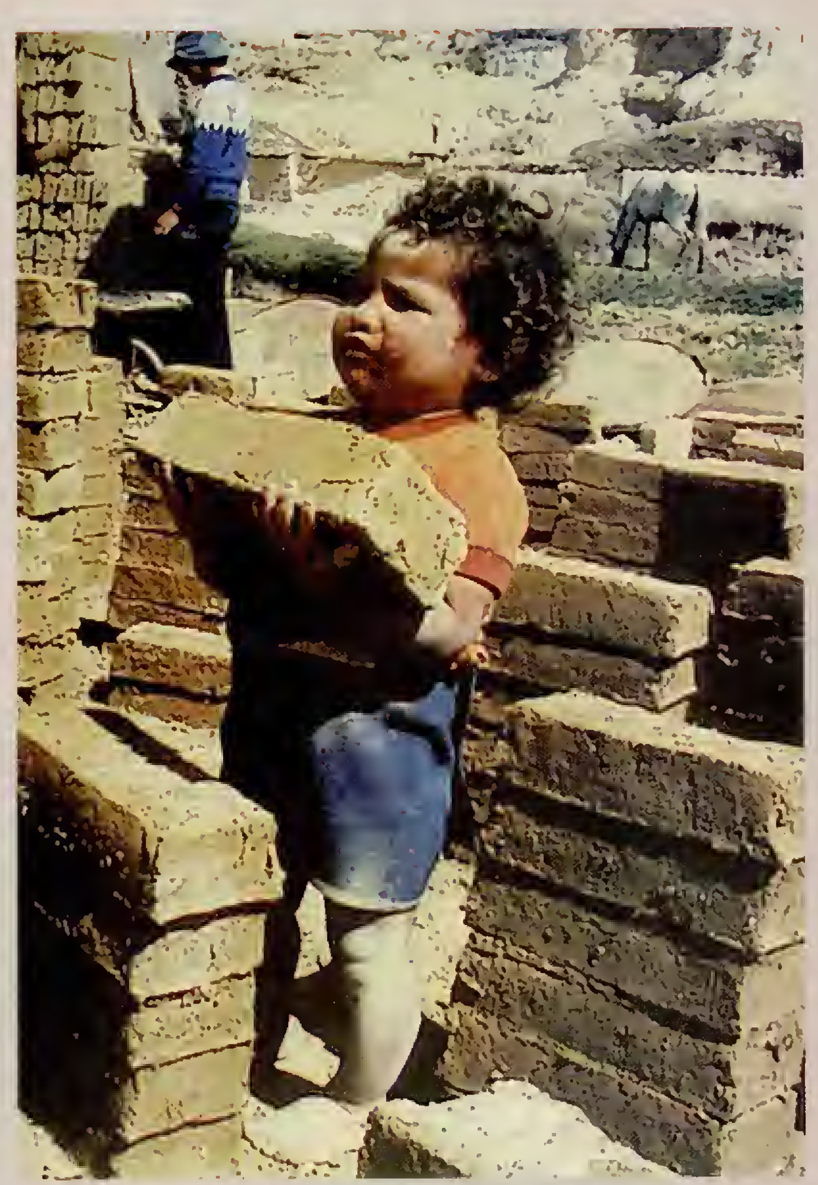
محمد الخطيب
الرياض - السعودية

تعدّ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) أبرز المنظمات الدولية في هذا الحقل، وقد وضع عام ١٩٤٥م دستورها في مؤتمر عقد بلندن شاركت فيه سَبْعٌ وثلاثون دولة في ذلك الوقت. ينص هدف دستور المنظمة على (الإسهام في توطيد السلم والالتزام بتشجيع التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلوم والثقافة).

ومن هنا عملت المنظمة على نشر التعليم والنهوض بالعلوم والبحوث العلمية، وتبادل الثقافات وتقاربها، ونشر المعرفة الإنسانية وإرساء حقوق الإنسان في التعليم الأساسي، وحرية الفكر وتبادل الآراء وتنسيق البحوث العلمية الدولية، وتشجيع الترجمة والتأليف والنشر والاختراع، وتدعيم الفنون والتقدم الحضاري وانتقال التكنولوجيا الحديثة، واستخدامها في زيادة الرفاهة الإنسانية. وتوصي المنظمة بعقد الاتفاقات الدولية اللازمة لإنجاز الأهداف السابقة، كما تعمل على زيادة المعرفة ونشرها بالحفاظ على تراث العالم من الكتب والآثار الفنية ونحوها والمبادرة إلى رسم الطرائق لتحقيق تعاون دولي يستهدف إتاحة الفرصة لشعوب العالم للوقوف على ما ينشره أي منها. وأهداف منظمة اليونسكو عامة، وتشترك معها الأمم المتحدة في حق العضوية. وتُقْبل الدول المختلفة أعضاء بموجب قرار الأكثرية أو بموجب توصية المجلس التنفيذي. أما الفصل أو تجميد العضوية فيخضع لشروط مماثلة لعضوية كثير من المنظمات الدولية الأخرى في الأمم المتحدة، كما سيتضح فيما بعد.

الأهداف

تعمل اليونسكو جاهدة على صيانة السلم والأمن الدوليين بصورة عملية من خلال التربية والعلوم والثقافة. ولكي تقوم بذلك فإنها تعمل أيضاً على إيجاد الطرائق الكفيلة بتحقيق مبدأ التعاون بين الدول المختلفة، في ظل احترام العدالة، والقانون والحق الإنساني والحرية والكرامة الإنسانية دونما تمييز من حيث العنصر والجنس والدين واللغة. وهي بهذا لا تتدخل في السلطة الداخلية للدول الأعضاء، من أجل تأمين استقلال الثقافات والنظم التربوية وسلامتها،



اليونسكو واهتمام بتحسين الظروف الحياتية لأطفال العالم

المطبوعات والأعمال الفنية والمواد العلمية والإعلامية، والاستفادة من وسائل التعاون الدولي المختلفة، واقتراح أنسب الأساليب التربوية لتهيئة أطفال العالم أجمع، للاضطلاع بمسؤوليات الإنسان الحر.

- تعزيز التعارف والتفاهم بين الأمم بمساندة أجهزة إعلام الجماهير من خلال عقد الاتفاقات الدولية التي تراها مفيدة لتسهيل حرية تداول الأفكار عن طريق الكلمة والصورة.

- العمل على تنشيط التربية الشعبية ونشر الثقافة وذلك من خلال التعاون مع الدول الأعضاء لتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية لجميع الناس دونما تمييز اجتماعي أو اقتصادي أو عنصري أو ديني ونحوه.

العضوية

شروطها ومواصفاتها:

- يحق للدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة الانضمام إلى عضوية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.

- يجوز قبول الدول غير الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة أعضاء في المنظمة بناءً على توصية المجلس التنفيذي وموافقة المؤتمر العام على تلك التوصية بأغلبية ثلثي الأصوات.

- يجوز قبول الأقاليم أو مجموعات الأقاليم التي لا تمارس بنفسها مسؤولية إدارة علاقاتها الخارجية أعضاء منتسبين إذا وافق المؤتمر العام على ذلك بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين والمقترعين، ويقدم طلب الانضمام بالنيابة عن كل إقليم أو مجموعة من هذه الأقاليم من الدولة العضو أو السلطة التي تمارس مسؤولية إدارة علاقاتها

وتنوعها المثمر. وعلى ذلك فإن هناك ثلاثة أهداف رئيسة للمنظمة هي:

- حفظ المعرفة وتقدمها وانتشارها من خلال صون التراث الإعلامي وحمايته كتباً أو آثاراً تاريخية وعلمية أو أعمالاً وأنشطة فنية ونحوها. وهي إذ تقوم بذلك فإنها تعمل على تشجيع التعاون بين الأمم في جميع هذه المجالات وغيرها، وتشجيع عملية التبادل الثقافي للخبرة في مجالات التربية والعلوم والثقافة وتبادل

الخارجية أيّا كانت هذه السلطة، ويحدد المؤتمر العام طبيعة حقوق الأعضاء المنتسبين ونطاقهم والتزاماتهم.

- إن الدول الأعضاء في المنظمة والموقوفة عن ممارسة حقوقها وامتيازاتها المترتبة على عضويتها في منظمة الأمم المتحدة توقف أيضاً بناءً على طلب هذه الأخيرة عن ممارسة الحقوق والامتيازات الملازمة لعضويتها.

- تفقد الدولة عضويتها في المنظمة تلقائياً إذا فصلت من منظمة الأمم المتحدة.

- يجوز لكل دولة عضو في المنظمة أو لكل عضو منتسب إليها أن ينسحب منها بموجب إشعار يوجهه إلى المدير العام. ويصبح هذا الانسحاب نافذًا في اليوم الأخير من العام الميلادي التالي للعام الذي وجه خلاله الإشعار، ولا ينجم عن هذا الانسحاب أي تغيير في الالتزامات المالية المترتبة على الدولة صاحبة الشأن تجاه المنظمة حتى التاريخ الذي يصبح فيه الانسحاب نافذًا. وفي حالة انسحاب عضو منتسب يوجه الإشعار باسمه من قبل الدولة العضو أو السلطة التي تمارس مسؤولية إدارة علاقاته الدولية أيّاً كانت هذه السلطة.

حقوق الأعضاء المنتسبين والتزاماتهم:

يحق للأعضاء المنتسبين إلى اليونسكو ما يأتي:

- الاشتراك في مناقشات المؤتمر العام ومناقشات لجانه المختلفة دون التمتع بحق التصويت.

- الاشتراك على قدم المساواة مع الأعضاء الآخرين مع مراعاة القيد الوارد بالفقرات الخاصة بحق التصويت في تسوية كل المسائل المتصلة بسير العمل في المؤتمر العام وفي لجانه المختلفة، وفي الهيئات الفرعية الأخرى التي يعينها المؤتمر العام، وفقًا للنظام الداخلي للمؤتمر.

- اقتراح موضوعات تُدْرج بجدول الأعمال المؤقت للمؤتمر.

- تلقي كل الإشعارات والوثائق والتقارير ومحاضر الجلسات التي يتلقاها الأعضاء الآخرون وبالشروط نفسها.

٥- الاشتراك على قدم المساواة مع الأعضاء الآخرين في إجراءات الدعوة إلى عقد الدورات الاستثنائية. كما يحق للأعضاء المنتسبين بالشروط نفسها المطبقة على الأعضاء الآخرين تقديم المقترحات إلى المجلس التنفيذي، والاشتراك وفقاً للأنظمة التي يضعها المجلس في أعمال لجانه، غير أنه لا يحق لمندوبيهم الاشتراك في عضوية المجلس.

تعمل اليونسكو على صيانة السلم والأمن الدوليين من خلال التربية والعلوم والثقافة. ولكي تقوم بذلك فإنها تعمل أيضاً على إيجاد الطرائق الكفيلة بتحقيق مبدأ التعاون بين الدول المختلفة

ويخضع الأعضاء المنتسبون للالتزامات نفسها التي يخضع لها الأعضاء الآخرون، إلا أن وضعهم الخاص يؤخذ في الحسبان عند تحديد حجم مشاركتهم في ميزانية المنظمة، ويمثل اشتراك كل عضو منتسب نسبة مئوية معينة من المبلغ الذي كان يدفعه العضو الأصيل، مع مراعاة ما قد يقرره المؤتمر العام من قيود.

الهيكل الإداري والتنظيمي

أولاً - المؤتمر العام: يتألف من ممثلي الدول الأعضاء في المنظمة وتعين حكومة كل دولة عضو عدداً من الممثلين لا يتجاوز الخمسة يجرى اختيارهم بعد التشاور مع اللجنة الوطنية - إن وجدت - أو مع المؤسسات والهيئات التربوية والعلمية والثقافية. ومن أبرز وظائف المؤتمر العام ما يأتي:

أ- تحديد خطوط سياسة المنظمة والنهج العام الذي تسلكه والبت في البرامج التي يعرضها عليه المجلس التنفيذي.

ب - الدعوة إلى عقد المؤتمرات الدولية على مستوى الدول بشأن التربية أو العلوم الطبيعية أو الإنسانية أو نشر المعارف. ويجوز للمؤتمر العام أو



الارتقاء بالتعليم من أولويات اليونسكو

المجلس التنفيذي أن يدعو - وفقاً للنظام الذي يضعه المؤتمر - إلى عقد مؤتمرات غير حكومية بشأن هذه الموضوعات ذاتها.

ج - عندما يوافق المؤتمر العام على مقترحات معينة ينبغي عرضها على الدول الأعضاء. وعليه أن يميز بين التوصيات الموجهة إلى الدول الأعضاء والاتفاقيات الدولية التي يلزم التصديق عليها. ويُكتفى في الحالة الأولى بالأغلبية البسيطة، بينما ينبغي الحصول في الحالة الثانية على أغلبية الثلثين. وعلى كل دولة من الدول الأعضاء أن تعرض التوصيات أو الاتفاقيات على الجهات الوطنية المتخصصة خلال عام واحد، يبدأ من تاريخ انتهاء دورة المؤتمر العام، التي تمت خلالها الموافقة على هذه التوصيات أو الاتفاقيات.

د - يسدي المؤتمر العام مشورته لمنظمة الأمم المتحدة في المسائل التي تهم الأمم المتحدة (تربوية، وعلمية، وثقافية)؛ وذلك وفقاً للشروط والإجراءات التي تعتمدها الجهات المختصة في كلتا المنظمتين، وطبقاً لأحكام فقرات مواد الميثاق بالمنظمة.

هـ - يتسلم المؤتمر العام التقارير التي ترسلها الدول الأعضاء إلى المنظمة حول ما تتخذه من تدابير بشأن التوصيات والاتفاقيات المشار إليها بالفقرة (ج)، ودراستها وعمل ملخصات تحليلية لهذه التقارير إذا ارتأى المؤتمر ذلك.

و - ينتخب المؤتمر أعضاء المجلس التنفيذي، ويعين المدير العام بناءً على توصية من المجلس التنفيذي.

وهناك شروط ومواصفات خاصة تتعلق بكيفية التصويت على القرارات وإجراءات الاجتماعات ووضع المراقبين. وفيما يأتي توضيح لكلٍ منها:

التصويت

ومن شروطه:

أ ـ لكل دولة عضو صوت واحد في المؤتمر العام، وتتخذ القرارات بالأغلبية البسيطة إلا في الحالات التي توجب فيها أحكام الميثاق أو أحكام النظام الداخلي للمؤتمر العام الحصول على أغلبية الثلثين. ويقصد بالأغلبية (أغلبية الأعضاء الحاضرين والمقترعين).

ب ـ لا يجوز لأي دولة عضو التصويت في المؤتمر العام إذا كان مجموع الاشتراكات المستحقة عليها يفوق مبلغ المساهمة المالية المطلوبة منها عن السنة الجارية والسنة التقويمية، التي تسبقها مباشرة، على أنه يجوز للمؤتمر العام أن يأذن لهذه الدولة العضو بالتصويت، إذا رأى أنها تخلّفت عن الدفع بسبب ظروف خارجة عن إرادتها.

إجراءات الاجتماعات

من مواصفاتها:

أ ـ يجتمع المؤتمر العام في دورة عادية مرة كل سنتين. ويجوز أن يجتمع في دورة استثنائية إذا قرر ذلك بنفسه، أو بناءً على دعوة المجلس التنفيذي أو على طلب ثلث الدول الأعضاء على الأقل.

ب ـ يحدد المؤتمر العام في أثناء كل دورة مكان انعقاد دورته العادية التالية، ويحدد أيضاً مكان انعقاد الدورة الاستثنائية، إذا بادر المؤتمر العام بالدعوة إليها. وفيما عدا ذلك من الحالات فإن المجلس التنفيذي هو الذي يحدد مكان الانعقاد.

ج ـ يعتمد المؤتمر العام نظامه الداخلي، وينتخب في كل دورة رئيسه وأعضاء مكتبه.

د ـ ينشئ المؤتمر العام اللجان الخاصة والفنية وغير ذلك من الهيئات الفرعية التي يراها ضرورية لأداء مهمته.

هـ ـ يتخذ المؤتمر العام الترتيبات الكفيلة بتمكين الجمهور من حضور الاجتماعات وفقاً لما يضعه من قواعد وأحكام.

المراقبون

ومن أهم الشروط:

أ ـ يجوز للمؤتمر العام بناءً على توصية من المجلس التنفيذي، ومع مراعاة أحكام النظام الداخلي، أن يدعو بأغلبية ثلثي الأصوات ممثلي المنظمات الدولية لحضور دورات معينة للمؤتمر العام أو للجانه بصفة مراقبين.

ب ـ عندما يوافق المجلس التنفيذي على قبول هذه المنظمات الدولية غير الحكومية أو شبه الحكومية للاستفادة من ترتيبات التشاور وفقاً للإجراءات المتبعة في فقرات المواد الخاصة بالميثاق فإن هذه المنظمات تدعى إلى إيفاد مراقبين عنها إلى دورات المؤتمر العام واجتماعات لجانه.

يعتمد تمويل المنظمة وأنشطتها ومهامها المختلفة على اشتراكات الدول الأعضاء، التي تحدد قيمتها بحسب جدول التوزيع، الذي يضعه المؤتمر العام، بالإضافة إلى الإيرادات الأخرى المتنوعة من وصايا وهبات ومنح وأعطيات وإعانات

ثانيًا ـ المجلس التنفيذي: يتشكل المجلس التنفيذي من ٥١ عضواً، يتم انتخابهم من قبل المؤتمر العام من بين المندوبين الذين تعينهم الدول الأعضاء. ويمثل كل عضو منهم حكومة الدولة التي ينتمي إليها. ويحضر رئيس المؤتمر العام جلسات المجلس التنفيذي بحكم منصبه وبصفة استشارية، ويحرص المؤتمر العام، عند انتخابه لأعضاء المجلس التنفيذي، على ضم الأفراد ذوي الكفاءة في الفنون والآداب والعلوم والتربية ونشر الأفكار، وممن تتوافر لديهم الخبرة والمقدرة اللازمتان للقيام بالمهام الإدارية والتنفيذية الملقاة على عاتق المجلس، كما يحرص أيضًا على تنوع الثقافات والتوازن العادل في التوزيع الجغرافي ولا يجوز بحال أن يضم المجلس التنفيذي في وقت واحد أكثر من فرد واحد من رعايا أي دولة من الدول الأعضاء، وذلك باستثناء رئيس المؤتمر العام، ويشغل أعضاء المجلس التنفيذي مناصبهم ابتداءً من تاريخ

انتهاء دورة المؤتمر العام التي تم فيها انتخابهم حتى نهاية الدورة العادية الثانية التالية. ولا يجوز إعادة انتخابهم فوراً لمدة عضوية جديدة. ويشرع المؤتمر العام في كل دورة من دوراته العادية في انتخاب العدد المطلوب من الأعضاء لشغل المقاعد، التي ستصبح شاغرة في نهاية الدورة، ومن بين أهم المسؤوليات التي يضطلع بها المجلس التنفيذي ما يأتي:

أ ـ يعد المجلس التنفيذي جدول أعمال اجتماعات المؤتمر العام ويدرس برنامج عمل المنظمة وتقديرات الميزانية الخاصة بهذا البرنامج، ثم يقوم بعرضها على المؤتمر العام مشفوعة بالتوصيات التي يراها مناسبة.

ب ـ يباشر المجلس التنفيذي أعماله تحت سلطة المؤتمر العام، ويكون مسؤولاً أمامه عن تنفيذ البرنامج الذي يقره المؤتمر. ويتخذ المجلس التنفيذي –وفقاً للقرارات الصادرة عن المؤتمر العام وبعد مراعاة الظروف التي قد تستجد بين دورة وأخرى من دورات المؤتمر العادية– جميع التدابير اللازمة لتأمين قيام المدير العام بتنفيذ البرنامج تنفيذاً فاعلاً رشيداً.

ج ـ يجوز للمجلس التنفيذي في الفترات الواقعة بين دورات المؤتمر العام العادية أن يقوم لدى منظمة الأمم المتحدة بالمهام الاستشارية التي تنص عليها فقرات مواد الميثاق بشرط أن يكون المؤتمر قد سبق له أن عالج المسألة موضوع الاستشارة، من حيث المبدأ أو أن يكون الحل الذي تقتضيه هذه المسألة منبثقاً من قرارات صادرة عن المؤتمر.



اليونسكو وإسهام كبير في تدريب المرأة وتأهيلها

د ـ يوصي المجلس التنفيذي المؤتمر العام بقبول أعضاء جدد في المنظمة.

هـ ـ يضع المجلس التنفيذي نظامه الداخلي مع مراعاة قرارات المؤتمر العام في هذا الشأن، وينتخب هيئة مكتبه من بين أعضائه.

و ـ يجتمع المجلس التنفيذي في دورة عادية مرتين على الأقل في السنة، ويجوز له أن يجتمع في دورة

استثنائية بناءً على دعوة مباشرة من رئيسه، أو على طلب ستة من أعضاء المجلس.

ز - يقدم رئيس المجلس التنفيذي باسم هذا المجلس إلى كل دورة من دورات المؤتمر العام العادية التقارير، التي يتعين على المدير العام وضعها عن نشاط المنظمة مشفوعة أو غير مشفوعة بتعليقات المجلس.

ح - يتخذ المجلس التنفيذي جميع الترتيبات اللازمة لاستشارة ممثلي الهيئات الدولية أو الأشخاص المؤهلين الذين يعنون بالمسائل الواقعة في دائرة اختصاصه.

ط - يجوز للمجلس التنفيذي أن يطلب بين دورة وأخرى من دورات المؤتمر العام مشورة محكمة العدل الدولية بشأن القضايا القانونية التي تنشأ في نطاق أعمال المنظمة.

ي - على الرغم من أن أعضاء المجلس التنفيذي يمثلون حكوماتهم، فإنهم يمارسون الصلاحيات التي يخولهم إياها المؤتمر العام باسم المؤتمر كله.



مشروعات اليونسكو تهدف إلى مواجهة مشكلات الفقر في عدد كبير من دول العالم

ثالثًا - السكرتارية: تتكون السكرتارية من مدير عام وعدد معين من الموظفين الذين يلزم وجودهم طبيعة العمل الإداري القائم. وفيما يأتي بعض الشروط والمواصفات والمهام المتعلقة بالسكرتارية:

أ - يقترح المجلس التنفيذي شخص المدير العام ويعينه المؤتمر العام لمدة ست سنوات وفقًا للشروط التي يقرها المؤتمر. ويجور تجديد تعيينه، ويعدّ المدير العام الرئيس الإداري الأعلى للمنظمة.

ب - يشترك المدير العام أو من ينيبه عنه في حالة غيابه في جميع اجتماعات المؤتمر العام والمجلس التنفيذي ولجان المنظمة دون أن يكون له حق التصويت، ويقدم اقتراحات بشأن التدابير التي ينبغي للمؤتمر العام والمجلس التنفيذي اتخاذها. ويعد مشروع برنامج عمل المنظمة مصحوباً بتقديرات الميزانية الخاصة لهذا البرنامج تمهيداً لعرضه على المجلس.

ج - يعدّ المدير العام تقارير دورية عن أعمال المنظمة، ويرسلها إلى الدول الأعضاء وإلى المجلس

التنفيذي، ويقرر المؤتمر العام الفترات التي تشملها هذه التقارير.

د ـ يعين المدير العام موظفي السكرتارية وفقاً لنظام الموظفين الذي ينبغي عرضه على المؤتمر العام لاعتماده، ويجرى تعيين الموظفين على أوسع نطاق جغرافي ممكن شريطة أن تتوافر فيهم أعلى صفات النزاهة والكفاية والمقدرة الفنية.

هـ ـ تتسم مسؤوليات المدير العام والموظفين بطابع دولي بحت، ولا يجوز لهم في أثناء تأدية واجباتهم أن يطلبوا أو أن يتلقوا تعليمات من أي حكومة أو أي سلطة خارجة عن المنظمة، وعليهم ألا يقوموا بأي عمل من شأنه أن يمس مركزهم بوصفهم موظفين دوليين. وتتعهد جميع الدول الأعضاء في المنظمة باحترام الطابع الدولي الذي تتسم به مسؤوليات المدير العام والموظفين، وبألا تحاول التأثير فيهم خلال قيامهم بمهامهم. كما أنه ليس هناك ما يمنع المنظمة من عقد اتفاقيات خاصة ضمن نطاق منظمة الأمم المتحدة لإنشاء خدمات مشتركة، أو تعيين موظفين مشتركين، أو لتبادل الموظفين.

التمويل

يعتمد تمويل المنظمة وأنشطتها ومهامها المختلفة على اشتراكات الدول الأعضاء، التي تحدد قيمتها بحسب جدول التوزيع، الذي يضعه المؤتمر العام، وذلك مع مراعاة التسويات لمواصفات الميثاق وشروطه. هذا بالإضافة إلى الإيرادات الأخرى المتنوعة من وصايا وهبات ومنح وأعطيات وإعانات من قبل منظمة الأمم المتحدة أو الجمعيات والمؤسسات الحكومية والأهلية أو الأفراد أو المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ونحوها. هذا إضافة إلى أنه يجوز للمدير العام أن ينشئ حسابات للودائع وللاحتياطي وحسابات خاصة شريطة أن يتم إبلاغ المجلس التنفيذي عنها، كما يصرح له أن يستثمر لآجال قصيرة الأموال التي لا تكون لازمة لمواجهة احتياجات عاجلة، وعليه أن يخطر المجلس التنفيذي بصورة مستمرة بذلك. كما يجوز له أن يستثمر لأجل طويل المبالغ الموجودة في حسابات الودائع وحسابات الاحتياطي والحسابات الخاصة؛ وذلك حسبما تقرره الجهة المختصة بالنسبة إلى كل حساب.

لمنظمة (اليونسكو) صفة الاستقلال الذاتي في مجال عملها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. كما يجوز لها أن تتعاون مع غيرها من المنظمات والوكالات الدولية الحكومية وغير الحكومية

علاقة اليونسكو بمنظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة

تعدّ اليونسكو إحدى وكالات منظمة الأمم المتحدة المتخصصة التي تتوافق مهامها وأعمالها مع مهام المنظمة وأعمالها. وتقوم العلاقات بينهما على أساس التعاون المشترك داخلياً وخارجياً بحيث يصبح للمنظمة (اليونسكو) صفة الاستقلال الذاتي في مجال عملها تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. كما يجوز لليونسكو أن تتعاون مع غيرها من المنظمات والوكالات الدولية الحكومية وغير الحكومية في كل ما من شأنه أن يقع في دائرة اختصاصها، كتبادل الممثلين والمشورة وتشكيل اللجان المشتركة ونحوها.

اليونسكو والامتيازات والحصانات الدولية

تتمتع المنظمة في أراضي كل عضو من أعضائها بالامتيازات والحصانات التي يتطلبها تحقيق مقاصدها، ويتمتع ممثلو أعضاء الأمم المتحدة وموظفو هذه المنظمة بالامتيازات والحصانات التي يتطلبها استقلالهم في القيام بمهام وظائفهم المتصلة بالمنظمة. كما تتمتع المنظمة في أراضي كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التي يتطلبها القيام بأعباء وظائفها المختلفة.

إنجازات اليونسكو في حقل الطفولة والأمومة

كانت اليونسكو وما تزال وراء كثير من الإنجازات العلمية والثقافية والتربوية في الساحة الدولية، ولا يكاد يخلو مجتمع من مجتمعات

الإنسان في الكرة الأرضية إلاّ وبدت فيه بصمات اليونسكو واضحة. فهناك نحو ١٥٨ دولة عضواً من منظمة اليونسكو حسب إحصاء عام ١٩٨٧م، هذا إضافة إلى ثلاثة أعضاء منتسبين. وعلى الرغم من انسحاب بعض الدول من اليونسكو كالولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٨٤/١٢/٣١م والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية وسنغافورة في ١٩٨٥/١٢/٣١م إلا أن اليونسكو كان لها إنجاز ضخم في هذه الدول، وفيما يأتي أهم إنجازاتها في حقل الطفولة والأمومة:

أ- تنمية التعليم الابتدائي وتجديده:

- تنفيذ عدد من المشروعات التجريبية في عدد من الدول كاليونان والبرتغال وغيرهما بشأن إعادة دمج أطفال العائدين من المهجر في النظام التعليمي الوطني.

- إعداد عدد من المشروعات التعاونية بشأن التعليم الابتدائي في أوربا الجنوبية وأوربا الجنوبية الشرقية، وإنتاج برامج ووحدات مرنة لتدريب المعلمين في مجال التربية البيئية في أوربا.

- تنظيم عدد من الحلقات التدريبية على المستوى دون الإقليمي في آسيا وغيرها بشأن التدابير التي يجب اتخاذها للحد من الهدر المدرسي أو تداركه، وبعض الحلقات المشتركة بين المناطق عن إنتاج مواد زهيدة التكلفة واستخدامها، يتم إنتاجها محلياً لتعليم العلوم في المرحلة الابتدائية.

- إنتاج الأفلام (أفلام ڤيديو) لعرض بعض التجارب المختلفة في حقل التعليم الابتدائي للاستفادة منها.

- تجريب دليل في أثناء حلقة عمل دون الإقليمية في إفريقية حول طرائق التعليم في الفصول المكتظة بالتلاميذ، وتدريب اختصاصيين من خمسة بلدان ناطقة بالبرتغالية على إنتاج مواد التدريب والتدريب الذاتي.

- نشر ١٢ وحدة تدريبية مرنة بثلاث لغات عن تخطيط برامج تعميم التعليم الابتدائي وإدارتها.

- تدريب عدد كبير من العاملين بالتعليم والمربين من آسيا والمحيط الهادئ وإفريقية وأمريكا اللاتينية والكاريبي على هيئة حلقات وطنية وحلقات دون الإقليمية.

- تنفيذ عدد من المشروعات التجريبية في آسيا والمحيط الهادئ وإفريقية عن ملاءمة مضمونات التعليم الابتدائي في المناطق الريفية.

- تنظيم عدد من الاجتماعات الدولية للخبراء بشأن النهوض بتعليم الصغار واقتراح الإستراتيجيات الزهيدة التكلفة البديلة من أجل تنميتهم.

عدد المنظمات الدولية غير الحكومية التي تتعامل معها منظمة اليونسكو يزيد على ٥٥٠ منظمة دولية تقوم اليونسكو بدعمها أو تقوم هي بدعم برامج اليونسكو

- تنظيم عدد من الحلقات الدراسية الإقليمية في عدد من المناطق في أمريكا اللاتينية وغيرها لإعداد مدربين في مجال التربية قبل المدرسية ودورات تدريبية في أثناء الخدمة، وإعداد دراسات عن الوظائف التربوية للأمهات في المناطق الريفية والمناطق النائية، إضافة الى تنظيم حلقات تدريبية وطنية للعاملين بالتربية قبل المدرسية، واستيفاء إعداد مخطوطة كمرجع وطني عن رعاية الصغار وتربيتهم.

- العناية بتخطيط التعليم النظامي وغير النظامي للصغار، ودمج أنشطتهما في سبيل النهوض بتربية الصغار ورعايتهم من خلال برامج شاملة لعدد من المهارات والمعارف.

ب - تكافؤ فرص تعليم الفتيات والنساء:

- تعميق المعرفة بالعقبات التي تعترض تكافؤ فرصة الفتيات والنساء في مجال التعليم ونشر المعارف المكتسبة، وتقديم دعم للدول الأعضاء بهدف محو أمية النساء، وتوفير التربية المدنية لهن، وإلحاق الفتيات بالتعليم الابتدائي، وما يليه من مراحل تعليمية.

- تنظيم الاجتماعات الدولية الخاصة بإتاحة

الفرص التعليمية للنساء وتسهيلها لإعدادهن للعمل وللقضاء على الأمية بينهن.

- تنظيم الحلقات الدراسية الدولية والإقليمية حول التوجيه المدرسي والمهني للفتيات والنساء في آسيا والمحيط الهادئ وأمريكا اللاتينية والكاريبي، بالإضافة إلى حلقات عن محو الأمية والتربية المدنية للنساء، ومشاركة الآباء في تربية أطفالهم، وحلقات تدريبية للفتيات اللاتي تركن المدرسة مبكراً.

- التعاون مع المنظمات غير الحكومية والدول الأعضاء في تنفيذ وتقويم مشروعات تستهدف حل مشكلات التحاق النساء بسائر فروع التعليم.

ج - تطوير التعليم في المناطق الريفية:

- تعزيز الالتحاق بجمع أنواع التعليم ومستوياته في المناطق الريفية عن طريق إرساء إستراتيجيات وطنية تقوم على تحليلات للتدابير التشريعية والإدارية والمالية في المجال التربوي بما في ذلك تحديد مناطق الالتحاق بالنسبة إلى المدارس واستنباط أنشطة تربوية كفيلة بتعزيز دور مدارس القرى وزيادة إسهام التعليم العام والمتخصص (زراعي، تقني) في التنمية الاجتماعية الاقتصادية للمناطق الريفية.

- الحد من الفوارق بين سكان الأرياف والمناطق الحضرية.

- تعليم التكنولوجيا في المناطق الريفية.

- العناية بإنشاء مدارس القرى والتعليم المتخصص في المناطق الريفية.

- إقامة الحلقات التدريبية وإعداد المواد التعليمية وتوزيعها على المناطق الريفية.

د - تعزيز حق بعض الجماعات الخاصة في التعليم:

- الإسهام في الجهود المختلفة، وتقديم الأنشطة المتنوعة والتدريب لمصلحة المعوقين من الأطفال وغيرهم.

- تقديم الدعم التقني لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين وتشغيلهم في فلسطين وغيرها، وبخاصة قطاع الأطفال عن طريق فتح المدارس وتزويدها بما تتطلبه من المستلزمات.

- العمل لمصلحة العمال المهاجرين وأسرهم وإنتاج المواد التعليمية الخاصة بالتعليم التقني لاستخدامها في التعليم الابتدائي وفي دورات محو الأمية للنساء والفتيات.

- إنتاج مطبوعات عن التربية في ظل مجتمع متعدد الثقافات باللغة الأصلية لاستخدامها في تدريب معلمي مرحلتي التعليم الابتدائي وما قبل الابتدائي في أثناء الخدمة.

اليونسكو وراء كثير من الإنجازات العلمية والثقافية والتربوية في الساحة الدولية، ولا يكاد يخلو مجتمع من مجتمعات الإنسان في الكرة الأرضية إلاّ وبدت فيه بصمات اليونسكو واضحة

- مشاركة اليونسكو لقرابة ١٦ معهداً للبحوث في مشروعات بحثية عن تعزيز الوعي بالذات، والمحافظة على اللغة لدى أطفال العمال المهاجرين في عدد من المناطق، وإنتاج الشرائح والصور والأشرطة وتنظيم المهرجانات الثقافية والأفلام لهذا الغرض.

هـ - التعليم والتدريب والمجتمع:

- إيجاد البرامج التعليمية وتطبيقها في عدد من البلدان تحت إطار ما يسمى بالتعليم المتكامل للعلوم وتعليم التكنولوجيا والتربية الغذائية والصحية.

- عقد الحلقات الدراسية الدولية بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية المختصة من أجل مدربي المعلمين المسؤولين عن تدريب معلمي المدارس الابتدائية في مجال العلوم قبل الخدمة وفي أثنائها.

- إعداد عدد من الوثائق المرجعية عن التربية الغذائية والصحية واستنساخها بحيث تكون مرشداً للتدريب في هذين المجالين ودليلاً إلى تعليم الصحة المدرسية ومرشداً للرعاية الصحية الأولية في آسيا، ودليلاً على موارد التدريب في المجال الغذائي فضلاً عن كونها أداة لتقويم التربية الغذائية والصحية.

بيان ببعض المشروعات التي نفذتها اليونسكو بشأن الأطفال والنساء في الساحة الدولية

مصدر التمويل	الدولة	المشروع	الإنفاق
صامسكان	بنين	التربية السكانية والجنسية في المدارس	$٢٤٤,٠٠٠
أكغند		تشييد المدارس الابتدائية	$١١٠,٠٠٠
الأوبك		تشييد المدارس الريفية	$١١٨,٠٠٠
الأوبك	جمهورية أفريقيا الوسطى	تشييد المدارس الابتدائية	$٦٦,٠٠٠
بامت	تشاد	معونة عاجلة لتجديد تدريب معلمي المرحلة الابتدائية	$١١,٠٠٠
أكغند	غينيا الاستوائية	إعادة تنظيم التعليم الابتدائي	$١٢٥,٠٠٠
صامسكان	أثيوبيا	مساندة صحة الأم والطفل في مجال الاتصال	$١٢٢,٠٠٠
صامسكان	أثيوبيا	مساندة صحة الأم والطفل وتنظيم الأسرة في مجال الاتصال	$٢٠٩,٠٠٠
صامسكان	أثيوبيا	تزويد مراكز التعليم الأساسي في مناطق إعادة التوطين بالمعدات	$١٨١,٠٠٠
الأوبك	غامبيا	مساندة صحة الأم والطفل وتنظيم الأسرة في مجال الاتصال	$٢٤,٠٠٠
صامسكان	موريشيوس	برنامج صحة الأم والطفل وتنظيم الأسرة	$٢,٠٠٠
صامسكان	موزمبيق	برنامج صحة الأم والطفل في مجال المعلومات والتربية من أجل الاتصال	$٢٦٧,٠٠٠
الأوبك	السنغال	تشييد مدارس ابتدائية	$١٥,٠٠٠
بامت	سيراليون	منهج تجديدي للمدارس الابتدائية	$٥٩٧,٠٠٠
السويد	سوازيلاند	تطوير المدارس الابتدائية	$٥١,٠٠٠
النرويج	توغو حركات التحرير الوطني	محو أمية النساء والفتيات	$٢٧٦,٠٠٠
النرويج	توغو حركات التحرير الوطني	محو أمية النساء والفتيات	$٢٧٦,٠٠٠
بامت	توغو حركات التحرير الوطني	التعليم الابتدائي والثانوي	$٩٥,٠٠٠
بامت	توغو حركات التحرير الوطني	التعليم الابتدائي والثانوي	$٦٨,٠٠٠
السويد		التربية الخاصة للأطفال المعاقين	$٩,٠٠٠
بامت	السعودية	التربية قبل المدرسة	$٥٢,٠٠٠
صامسكان	تونس	التربية السكانية في المدارس الابتدائية	$٥,٠٠٠
إيطاليا	كوستاريكا	التعليم الأساسي	$٦٥,٠٠٠
صامسكان	الدومنيكان	التربية السكانية في المدارس الابتدائية والثانوية	$٣١,٠٠٠
صامسكان	السلفادور	التربية السكانية في مرحلتيْ التعليم الابتدائي والثانوي	$٩,٠٠٠
صامسكان	هندوراس	التربية السكانية في برنامج التعليم الابتدائي وتعليم الكبار	$٦٥,٠٠٠
أكغند	جامايكا	كتب تعليمية قليلة التكلفة للمدارس الابتدائية	$٩٨,٠٠٠
هولندا	جامايكا	التعليم الأساسي	$٣٢,٠٠٠
البنك الدولي	بنغلاديش	تنمية التعليم الابتدائي	$٢٢,٠٠٠
بامت	بورما	إنشاء المرافق للتربية الخاصة من أجل الأطفال المعوقين	$١٠,٠٠٠
البنك الدولي	الباكستان	التعليم الابتدائي	$٤٣,٠٠٠
صامسكان	ساموا	التربية السكانية في نظام التعليم الابتدائي والثانوي	$٣٣,٠٠٠
السويد	مشروع إقليمي	البرنامج التعاوني لليونيسيف	$٥٩,٠٠٠
اليونيسيف	مشروع قطري	البرنامج التعاوني لليونيسيف	$٤٧٨,٠٠٠
اليونيسيف	آسيا والدول العربية	معونة اليونيسيف لمشروعات التعليم في آسيا والدول العربية	$١٤٦,٠٠٠
اليونيسيف	مشروع دولي	السنة الدولية للطفل	$٢٥,٠٠٠
مساهمات طوعية	مشروع دولي	التربية الخاصة للأطفال المعوقين	$٣,٠٠٠
مشروعات أخرى			
بدنا	نيجيريا	حلقة تدريبية عن كتب الأطفال	$٢٠,٠٠٠
اليونسكو	مشروع إقليمي	اجتماع دولي عن المرأة والاتصال والتنمية في أمريكا اللاتينية	$٢٠,٠٠٠
برنامج الأغذية العالمي	بوتسوانا	صهاريج ماء للمدارس الابتدائية	–
رابطة جايروسي جيري	زيمبابوي	رعاية المشلولين الصغار	–
أسقفية مان	كينيا	مدرسة جاراكاندا للأطفال المعوقين	–
جمعية لويولا للعمل الثقافي	بوليفيا	مدينة الطفل (سان رافائيل)	–
هيئة كلوفيت	هاييتي	التدريب المهني للأطفال الصم	–
هيئة إغاثة الأطفال المكفوفين	بنغلاديش	مستقبل لكل طفل	–
برنامج الأغذية العالمي	بوتان	مواد تعليمية للمدارس الابتدائية	–
مؤسسة تنمية الشباب	الفلبين	تدريب في مجال محو أمية النساء والمدارس الثانوية وقبل الابتدائية والابتدائية	–
المجلس الدولي للنساء	الهند	توسيع التعليم الابتدائي	–

ـ تنمية التربية البدنية والرياضية للجميع، ودمج ذلك في النشاط التعليمي للبنين والبنات.

ـ تعزيز إدخال العمل في المناهج المدرسية للتعليم الابتدائي وما يليه من مراحل تعليمية.

ـ تنفيذ عدد من المشروعات المتعلقة بتنمية البنى الأساسية للرياضة والألعاب التقليدية وتقديم الإسهامات المالية وتشجيع العمل التطوعي للشباب والحلقات الدراسية والتدريبية المتعلقة بهذا الخصوص.

و ـ العمل من أجل التنمية وأساليبه وإستراتيجياته:

ـ تنظيم ندوات مشتركة بين المناطق عن النماذج النظرية والتجارب العملية للتنمية، وعقد اجتماع للخبراء عن الفقر والتقدم، وحلقات دراسية إقليمية بشأن أساليب تحسين مشاركة السكان في تنفيذ المشروعات الإنمائية.

ـ إعداد نحو (١٠) دراسات عن دور الأسرة في عملية التنمية.

٣ ـ إعداد مطبوعات رئيسة حول الأسرة والطفل والتنمية في إفريقية والجوانب النوعية والعوامل الإستراتيجية للتنمية الذاتية والإستراتيجيات التجديدية لتحسين عمالة الشباب.

ي ـ أوضاع المرأة:

ـ العمل على إتاحة الفرصة لتعزيز مشاركة النساء في الأنظمة التي تضطلع بها المنظمة استناداً إلى نشر التوجيهات اللازمة لهذا الغرض، وتأكيد ضرورة مراعاة أوضاع المرأة واحتياجاتها ووجهات نظرها عند إعداد أنشطة البرنامج وتنفيذها وتقويمها.

ـ التعاون مع المنظمات التابعة لمنظومة الأمم المتحدة بخصوص النهوض بأوضاع المرأة.

وتجدر الإشارة الى أن عدد المنظمات الدولية غير الحكومية التي تتعامل معها منظمة اليونسكو يزيد على ٥٥٠ منظمة دولية تقوم اليونسكو بدعمها أو تقوم هي بدعم برامج اليونسكو، وذلك على هيئة عقود تبرم بين الطرفين.

وبالإضافة إلى ذلك يقوم قسم أوروبا والشرق الأدنى (لجنة التشاور العالمية لجمعية الأصدقاء «كويكرز») بدعم مشروع مركز ألعاب الأطفال اللاجئين الفلسطينيين بالأردن. كما تقوم الأنروا بمشروعي علّم طفلاً لمدة سنة بالأردن، ومشروع مدرسة ومركز تكوين للأطفال الصم بتونس. وتقوم جمعية (كير) بإعداد لوازم مدرسية لأطفال اللاجئين بالسودان. أما مركز العمل والإعلام من أجل التنمية ببيروت فيقوم بمشروع الجمعية المغاربية لمساعدة الطفولة المشكّلة بالمغرب. ويقوم الاتحاد الدولي لرابطات المكتبات بإعداد كتب للأطفال في كل مكان كأحد المشروعات العالمية.

المراجع

١ـ اليونسكو (تقرير المدير العام ٨٦ ـ ١٩٨٧م) ٢٥م/٣ (C/325) اليونسكو. باريس ١٩٨٨م.

٢ـ اليونسكو (مرجع المؤتمر العام) اليونسكو، باريس ١٩٨٦م.

٣ـ اليونسكو (المجلس الدولي الحكومي للبرنامج الدولي لتنمية الاتصال) الدورة السابعة، باريس ١٤–٢٠ يناير/كانون الثاني ١٩٨٦م (التقرير النهائي) باريس ١٩٨٦م.

٤ ـ اليونسكو (التقرير السنوي للمدير العام ١٩٧٥م) باريس ١٩٧٦م.

٥ ـ اليونسكو (مرجع المؤتمر العام ١٩٨٤م) باريس ١٩٨٥م.

٦ ـ اليونسكو (التقارير السنوية للمدير العام خلال الفترة من٨٠ إلى ١٩٨٥م) باريس.

٧ ـ عزيز الحاج (اليونسكو: ضوء في آخر النفق) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٨ ـ ماجد نعمة، ندوة عن اليونسكو، مجلة شؤون عربية، عدد آذار (مارس) ١٩٨٤م.

٩ ـ مصالحة، عمر مصالحة (اليونسكو: طبيعة الأزمة وأسبابها) مجلة الفكر، العدد ١٠، القاهرة ١٩٨٦م.

10 - Bajpai, S. and Viswams "UNESCO In retrospect and prospect" India International Center, New Delhi, 1986.

11- Everest, I. Clifton, ;Aid to Education in Africa: Analysis of Provision and Policies of Selected and Agencies سUniversity of London Institute of Education, London, 1984.

12- Laves, Walter. H.C and Thomson, Charles. A., "UNESCO: Purpose, Progress and Prospects" Indiana university Press 13 Loomington 1957.

13- United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, ;A Chronology of UNESCO: 1945-1987 سFacts and Events in UNESCOصs History with references to Documentary Sources in the UNESCO Archives and Supplementary Information in the Annexes 1-12. UNESCO, Paris.1987.

14- United Nations ;Basic Facts About the United Nations سDepartment of Public Information, New York 1987.

شعب الهوسا الموطن واللغة

الطاهر محمد داود
كانو - نيجيريا

لشعب الهوسا تاريخ عريق يستحق التناول، ومع ذلك، نجد قلة الدراسات العربية التي تتطرق إليه، وفي هذه المقالة محاولة للتعريف بهذا الشعب، وأصوله، وتاريخه، ولغته التي تعدّ واحدة من أهمّ ثلاث لغات إفريقية بجانب العربية والسواحلية. كما تتطرق المقالة إلى تطور الدراسات في لغة هوسا، وأهمّ ملامحها ومميّزاتها.

معنى كلمة هوسا

الهوسا: كلمة تعني الموطن واللغة والشعب، ويسمي الهوسا أنفسهم، هوساوا Hausawa للجمع، وبهوشى Ba-haushe للمفرد(١). ويسميهم جيرانهم بأسماء مختلفة(٢)، فالكانوري يطلقون عليهم «افنو»والفلانيون ينادونهم «هابي»، واليوروبا يسمونهم «غمبري». أما في المملكة العربية السعودية فيعرف الهوسا وسائر الأجناس الوافدة من إفريقية جنوب الصحراء «بتكرور». وفي جمهورية السودان يطلق لفظ «فلاتة» على المنحدرين من أصول الهوسا والفلاني والكانوري (البرنو) والزبرما وغيرهم. وهناك جيوب صغيرة من الهوسا بقيت على وثنيتهم، ولم تدخل في الإسلام، ويطلق الهوسا المسلمون على هذه المجموعة اسم ماغوزاوا maguzawa في جمهورية نيجيريا، أما في جمهورية النيجر فيسمونهم «أرنا Arna»(٣) كما توجد ثلاثة آراء مختلفة حول تفسير كلمة هوسا:

الأول: أنها تحريف لكلمة حَبَشَ أي بلاد الحبشة(٤)، والثاني يقول إنها تركيب مزجي من كلمتي Hau بمعنى إركب، و sa أي الثور، ومعناها: راكب الثور(٥). أما الرأي الثالث فيذهب إلى أن أصل الكلمة من لغة سنغاي، ومعناها اتجاه الشرق، والضفة اليسرى للنهر، وكلها أوصاف تنطبق على موقع الهوسا بالنسبة إلى أرض السنغاي(٦).

أما أقدم استعمال لكلمة هوسا في العالم الخارجي فظهر في مؤلفات القرن الثالث عشر الميلادي في مؤلف الجغرافي العربي ابن سعيد(٧) (ت ١٢٨٦م) ثم تجيء بعده مؤلفات القرن الرابع عشر مثل: ابن بطوطة (١٣٠٢ - ١٣٧٧م) والمقريزي (١٣٦٤ - ١٤٤٢م) في أوائل القرن الخامس عشر، وليو الإفريقي Leo Africanus(٨) (١٤٩٥ - ١٥٢٦م) في القرن السادس عشر.

وفي كتابات ابن بطوطة والمقريزي وليو الإفريقي لم يرد اسم هوسا مباشرة، ولكن ما ذكروه من أوصاف ينطبق على أنهم كانوا يقصدون الهوسا(٩). ومما يثلج الصدر أن كتابات ابن سعيد، وهي أقدم هذه المؤلفات، قد ورد فيها اسم هوسا (الحوصين) وقال: إنهم يسكنون غرب بحيرة تشاد(١٠).

أما ابن بطوطة فتحدث عن بلاد غوبر Gobir. كما ذكر المقريزي قبائل أفونو Afunu. ووصف ليو الإفريقي بلاداً كثيرة هي الآن أرض هوسا مثل غوبر وأقدس وكنو

تقع بلاد هوسا الحالية في شمال نيجيريا وجنوب جمهورية النيجر بين خطوط الطول ١٥ - ١٨ْش وخطوط العرض ٨ - ١٢ْ ق(١٢) بين أرض برنو شرقاً إلى الضفة الغربية لنهر النيجر، وتحدها شمالاً الصحراء الكبرى وجنوباً حتى قريباً من نهر بنوي. ورقعة بلاد هوسا قد توسعت كثيراً عن مركزها الأول بل هي في توسع مستمر حتى اليوم.



اختلاف كبير بين المؤرخين حول أصل الهوسا، وأسطورتا الملكة دوراما وبايجدا الأكثر انتشاراً

أصل الهوسا

حتى لا يختلط الأمر على بعض القراء، فإنه يستحسن أن نؤكد نقطة مهمة عن علاقة العرق باللغة، وهي أنه ليس بالضرورة أن العلاقة اللغوية تعني علاقة عرقية أو قبلية، فقد يتخلى شعب عن لغته ويتخذ لغة أخرى، كما حدث لشعب الفرنك الفرنسي ذي الأصول الجرمانية إذ تخلى عن لغته الأم، وتبنى لغة لاتينية الأصول هي لغته الحالية (اللغة الفرنسية)، ومثل هذا حدث في منطقة تلس بجمهورية السودان حيث تخلى المجتمع الفلاني هناك عن لغته، واتخذ العربية لساناً له. والأمثلة في هذا المجال كثيرة. ولكن مهما اختلفت العلاقة العرقية عن العلاقة اللغوية إلا أن وجود صلة بين لغتين يشير حتماً إلى امتزاج واتصال بين هاتين اللغتين. ونعود إلى أصل الهوسا الذي تضاربت حوله الآراء تضارباً كبيراً منها ما يأتي:

أسطورة بايجدا

هناك وجهان لهذه الأسطورة: الأول هو: أسطورة الملكة دوراما التي تزعم: «أن نجيب الكنعاني ارتحل في زمن مبكر هو وأسرته من فلسطين، واتجه إلى المغرب حيث استقر به المقام في ليبيا، وبعد أن أقام هناك عدة سنوات، غادر أحد أبنائه المسمى أبو الدار ليبيا، واستقر به المطاف

وكتسينا وزازاو وزمفرا ونغرا، وذكر أن لغتهم جميعاً هي لغة غوبر أي لغة هوسا، ووصفها أنها أهم لغة في بلاد السودان(١١).

بلاد هوسا

نقصد ببلاد هوسا المنطقة التي يراها الهوسا أرضهم، ويسمونها Kasar Hausa، ويخرج بهذا التعريف المناطق الأخرى التي استوطنها الهوسا، واستقروا بها بعيداً عن أرضهم.

أخيراً في واحة كوسقو Kusugu، ولكن ابنته دورا هجرت تلك الواحة، واستقرت في المكان الذي عرف باسم دورا، وهو إحدى أراضي هوسا السبع»(١٣).

أما الأسطورة الثانية ففحواها أن بايجدا Bayjidda (أبا يزيد ابن أحد ملوك بغداد) قد قدم إلى أرض برنو وتزوج باجيرا Bagera بنت سلطانها، ولكنه اضطر إلى النزوح غرباً إلى (Garin Gabas) Birom، ومن هناك واصل مسيرته إلى دورا، وحلّ ضيفاً على عجوز في أطراف المدينة اسمها Waira أو Ayana، وتمكن من قتل الحيّة المقدسة sarki التي كانت تمنع الناس جلب الماء من بئر المدينة الوحيدة، ونال هذا العمل البطولي إعجاب الملكة دوراما Daurama، وتزوج بايجدا الملكة. وولدت له إحدى إمائه ولداً سمته كارباجاري Karbagari، ومعناها امتلك البلد، ولكن ولدت له الملكة أيضاً ولداً، فسمته Bawo Kwatogari، ومعنى الاسم استرد البلد(١٤).

وأسس أحفاد بايجدا من Bawo سبع ممالك عرفت بممالك الهوسا السبع الأصيلة، وهي: كانو Kano، وزازّو Zazzau، ودورا Daura، وغوبر Gobir، ورنو Rano، وكاتسينا Katsina، وبيرم Birom. ويقدر بعض المؤرخين بداية التكوين السياسي لهذه الدويلات بالفترة من ١٠٠٠ ـ ١٢٠٠م(١٥). أما حفيدة بايجدا من ابنه karbagariفأسسوا سبع ولايات أخرى متهوسة أو غير أصيلة، وهي: زمفرا Zamfara، وكبي Kebbe، وياوري Yawuri، ونفي Nupe، وبرغُ Bargu، وغواري Gwari، وكورارّفا Kwararrafa(١٦).

ويوجه نقد حاد لأسطورة بايجدا حول أصل الهوسا مثل قول الأستاذ محمد حمبلي جنجو: «لا يمكن الاعتماد على رواية بايجدا في أصل الهوسا، ولا يوجد تاريخ مكتوب قبل هذه الرواية... التي يغلب عليها طابع الأسطورة والخرافة لذا فهي لا تستحق الاعتبار»(١٧).

أصل الهوسا من مصر

ومن أقوى مؤيدي هذا الرأي الأستاذ محمد حمبلي جنجو الذي دعم نظريته بأدلة لغوية من تشابه بين اللغة الهوسوية واللغة المصرية القديمة(١٨).

ونلاحظ على هذه النظرية أنها نظرت إلى الصلة بين اللغة الهوسوية واللغة المصرية في نطاق ضيّق هو إطار اللغتين، ولم تتجاوزه، ولو أنها نظرت إلى هذه العلاقة بصورة أكثر شمولية لاكتشفت أن ذلك الشبه يتخطى اللغتين إلى اللغات السامية والكوشية والبربرية ومن ثم فالأولى النظر إلى أصل لغة هوسا في محيط هذه اللغات جميعاً، وليس في حيّز اللغة المصرية وحدها.

الأصل البربري

«من أصحاب هذا الرأي جونسون Jonson في كتابه The Fulani Empire of» «Sokoto والعالم سميث M.G. Smith، وتقول نظريتهما: إن مجموعة من هوسا الحالية، هاجرت جنوباً من بلادها إلى أرض هوسا الحالية واختلطت



لهجة كتو هي الأقرب إلى اللهجة الأدبية المتداولة



انتشار الإسلام في بلاد الهوسا ساعد على أن تكتب لغة الهوسا بالحرف العربي

بالسكان الأصليين، وكوّنت شعب الهوسا الحالي، وقد حدث هذا في نحو ١١٠٠ - ١٠٥٠ ق.م»(١٩). وقد وجهت لهذه النظرية انتقادات كثيرة.

أصل الهوسا من الصحراء الكبرى

صاحب هذا الرأي عبد الله سميث Abdullahi Smith، الذي قال: «إن أصل الهوسا هو الصحراء الكبرى التي كانت في الزمن الغابر أرضاً ذات مناخ ممطر ومأهولة بالسكان الزنوج، وعلاقتهم بالبربر لا تعدو أنهم قد عاشوا معهم في الصحراء جنباً إلى جنب، ثم هاجروا بعد ذلك جنوباً بسبب الجفاف الذي لحق بلادهم»(٢٠). تعليقنا على هذا الرأي هو أنه قد أغفل الصلة اللغوية البيِّنة بين لغة هوسا واللغات السامية والمصرية والكوشية، ولم يحاول إبداء تعليل لذلك.

نظرية المنطقة الحالية

وتقول هذه النظرية: إن موطن الهوسا الأصلي هو موطنهم الحالي «ويتزعم هذه الفكرة الأستاذ مهدي آدمو، الذي يقول: إن موطنهم الأول كان في شمال المنطقة الحالية وبالتحديد حول مدينتي Lalle وAsodu في جمهورية النيجر، ومن هناك نزحوا جنوباً إلى حيث استقروا الآن بسبب ضغط قبائل الطوارق لهم في الألف الأول قبل الميلاد»(٢١).

وقد لا نختلف مع أستاذنا مهدي آدمو فيما يقول، ولكننا نود التعمق أكثر في حقب التاريخ فنتجاوز الألف الأول قبل الميلاد إلى الألف الخامس مثلاً! وإذا فعلنا ذلك فقد تتكشف لنا خفايا جديدة! كما نود أن نبني ما سنسوقه من رأي على معطيات البحوث اللغوية التي تؤكد بقوة وبأدلة لا يمكن تجاهلها أن لغة هوسا تربطها صلات قربى عرقية باللغة العربية، وباللغات السامية عموماً، بل وبسائر عشائر اللغة الإفريقية الآسيوية. على ضوء هذا فإننا نجازف بافتراض أن أصل لغة هوسا هو موطن اللغة الإفريقية الآسيوية الأولى وهذا الموطن هو: ساحل البحر الأحمر والحبشة(٢٢).


الظروف الطبيعية كانت سبباً في هجرات الهوسا

وهناك أسباب كثيرة تدعو إلى هذا الاعتقاد، وهي كما يأتي:

أ - أثبتت الحفريات الأثرية التاريخية أن إفريقية هي مهد الإنسانية(٢٣). لذا فلا غرو إذا قلنا: إن الفصيلة الإفريقية الآسيوية قد نشأت في إفريقية.

ب - أربع عشائر من عشائر الفصيلة الإفريقية الآسيوية قد نشأت وعاشت في إفريقية، وهي اللغة المصرية القديمة والبربرية والكوشية والتشادية، ولم تشذ عن هذا إلاّ العشيرة السامية التي ترعرعت في آسيا. وليس من الموافق لمجريات التاريخ وأصول الهجرات أن تكون المجموعات الأربع قد هاجرت من آسيا تاركة هناك مجموعة واحدة هي السامية! بل الأقرب للمنطق أن تكون أصول الفصيلة كلها قد ولدت في إفريقية، ومنها هاجرت السامية إلى جزيرة العرب حيث عاشت حقباً طويلة من الزمن، وكوّنت حضارة اليمن العريقة، ثم حدثت كارثة انهيار سد مأرب وغيرها من الحوادث، مما اضطر مجموعات منها إلى الهجرة إلى مناطق أخرى إلى أرض الرافدين في العراق، والى الشام، وإلى الحبشة حيث نجد اللغات السامية الحبشية (الأمهرية، التقرنيا والتقراي وغيرها).

جـ - إذا نظرنا إلى خريطة اللغات الإفريقية الآسيوية نجد أن منطقة البحر الأحمر هي الموقع الوسط الذي يستحق أن يكون موطناً لتلك المجموعة كلها فالسامية في اليمن والكوشية في القرن الأفريقي، وإلى الشمال المصرية، وإلى الشمال الغربي البربرية، وإلى الغرب التشادية.

د - ولكن لا يعقل أن تكون اللغة التشادية قد قطعت المسافة الطويلة من البحر الأحمر إلى بحيرة تشاد متخطية مجموعات لغوية أخرى دون أن تترك فيها آثاراً قوية أو تتأثر هي بتلك اللغات. لذا نعتقد أنها قد هاجرت أولاً إلى مصر. وتأثرها باللغة المصرية معروف(٢٤)، ثم هاجرت للمرة الثانية من مصر إلى منطقة بحيرة تشاد حيث نمت وتطورت إلى اللغات التشادية المختلفة. إذن فأصل الهوسا من الحبشة والبحر الأحمر، ثمّ هاجروا إلى مصر، ومنها إلى موطنهم الحالي.

ونلاحظ على هذا الرأي أنه يوفق بين معظم النظريات التي تحدثت عن أصل الهوسا، فهو يتفق مع الرأي القائل: إنهم من الحبشة، كما يتفق مع القائل: إنهم من مصر، وبالمثل يشرح العلاقة اللغوية بين أفراد الفصيلة الإفريقية الآسيوية ويعلل أيضاً نظرية من قالوا: إنهم من البربر.

وهكذا تكون الدراسة اللغوية المقارنة قد ساهمت في حلّ لغز من ألغاز التاريخ المعقدة حول أصل هوسا.

لغة هوسا

لغة هوسا إحدى لغات الفصيلة الإفريقية الآسيوية من العشيرة التشادية، ومن الأسرة التشادية الغربية المجموعة (أ)(٢٥) التي تضم بجانب الهوسا، لغات بولي Bole، تنغالى Tangale، أنغاس Angas، رون Ron


مارس الهوسا التجارة عبر موانىء البحر المتوسط

، بدى Bade، ورجي Warji، زار Zaar. وأقرب هذه اللغات إلى لغة هوسا هي لغة غندرا Gwandara التي تقطن منطقة كيفي Keffi القريبة من أبوجا عاصمة نيجيريا الجديدة.

توجد لهجات مختلفة للغة هوسا، ولكن يقسم العلماء هذه اللهجات مجموعتين رئيستين هما(٢٦):

أ- المجموعة الشرقية، وتشمل لهجات: كنو، كتاغوم، هديجا، زكزك بوتشي وزندر Zinder.

ب- المجموعة الغربية، وهي لهجات: سكوتو، كاتسينا، غوبروتاهوا Tahoua. واصطلح العلماء على أن لهجة كنو الأقرب إلى اللهجة الأدبية(٢٧) المستعملة في الكتابة والتعليم ودور الإذاعات المرئية والمسموعة.

الهوسوية إحدى أهم ثلاث لغات إفريقية، فهي الثانية بعد العربية في عدد المتحدثين بها(٢٨)، والثالثة بعد العربية والسواحلية في كونها لغة حديث مشتركة lingua franca(٢٩).

وينتشر الحديث بلغة هوسا في كل شمال نيجيريا، وفي جمهورية النيجر، وفي عدة مراكز لاستقرار الهوسا في الدول الآتية: توغو، بنين، غانا، السيراليون، الكمرون، تشاد، الكنغو، السودان، والأراضي المقدسة في المملكة العربية السعودية، وفي ليبيا والجزائر(٣٠).

ومن الصعب تحديد عدد المتكلمين بلغة هوسا نسبة إلى وجود أعداد كبيرة ممن يتحدثونها كلغة ثانية بل عدد هؤلاء يفوق عدد الهوسا الأقحاح الذين تمثل الهوسوية لغتهم الأم.

انتشار لغة هوسا

يقدر الأستاذ حبيب أحمد دابا(٣١) عدد المتحدثين بلغة هوسا بنحو أربعين مليوناً ممن يتكلمونها كلغة أم أو لغة ثانية في غرب إفريقية وحدها، يضاف إلى هذا نحو أربعة ملايين في جمهورية السودان(٣٢) وأعداد أخرى في مناطق متفرقة. كما قدّم حبيب دابا جدولاً بالنسب المئوية للناطقين بالهوسا في بعض الدول على النحو الآتي:

جمهورية النيجر ٨٠٪
جمهورية نيجيريا ٤٥٪
جمهورية غانا ١٥٪
جمهورية بنين ١٠٪
جمهورية توغو ١٠٪
جمهورية الكاميرون ١٠٪
جمهورية السودان ٨٪

وقد ساعدت عوامل كثيرة على انتشار لغة هوسا نجملها كما يأتي:

- النشاط التجاري الكبير للهوسا من مراكزهم في كنو وكتسينا وغوبر إذ يتاجرون مع موانئ البحر الأبيض المتوسط، ويحملون إليها منتجات الغابات التي تقع جنوب أرضهم مثل ثمرة الكولا والعاج وريش النعام والذهب، بالإضافة إلى تجارة الرقيق.

ـ ساعد جهاد الشيخ عثمان بن فوديو على توحيد ولايات هوسا، وجعلها إمبراطورية قوية موحدة واتخذت تلك الإمبراطورية لغة الهوسا لغة رسمية لها.

ـ دخول الهوسا في الإسلام ورحلاتهم لأداء فريضة الحج عمل أيضاً على استقرارهم في بعض المراكز إلى الشرق من موطنهم في تشاد والسودان والسعودية.

ـ مع أن الاستعمار يحاول دائماً فرض ثقافته على الشعوب التي يحتلها إلا أنه اضطر إلى مهادنة لغة الهوسا في شمال نيجيريا لكي يستطيع تنفيذ سياسة الحكم غير المباشر التي انتهجها في المنطقة فعدّ الهوسوية لغة رسمية في شؤون الإدارة مما مكّن لها تثبيت أقدامها بصورة أرسخ.

ـ عملت العوامل السابقة مجتمعة على أن تغدو لغة هوسا معروفة للعالم الخارجي مما لفت أنظار علماء الدين والسياسة واللغة إليها. فمن ناحية الدين كان اهتمام العلماء المسلمين بها أن كتبوها في وقت مبكر بالحرف العربي، وهي الكتابة المعروفة محليًا بعجمي Ajami. ولقد أورد الأستاذ إبراهيم يارو يحيى(٣٣) تواتر العلماء على أرض هوسا على النحو الآتي:

أـ وفد علماء الونغريين Wangarawa في عهد أمير كنو محمد رمفا (١٣٤٩ - ١٣٨٣م).

ب ـ وفد علماء الفلانيين Toronkawa في عهد أمير كنو يعقوب (١٤٥٢ـ ١٤٦٤م).

جـ ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي (١٤٢٥ - ١٥٠٤م) الذي قدم من تلسمان بالمغرب وزار مدينة كتسينا في عهد أميرها إبراهيم مجي في عام ١٤٩٤م. د. الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (١٤٤٥ - ١٥٠٥م) الذي كاتب أمير أغدس محمد (١٤٨٧ـ ١٤٩٣م) وأمير كتسينا إبراهيم.

ومن العلماء الذين اشتهروا في بلاد هوسا المعلم ابن الصباغ Dan Marina (ت ١٦٥٥م) ، والمعلم طن مسني Dan Masani (١٥٩٥ ـ ١٦٦٧م) الذي كتب قصائد كثيرة بلغة هوسا وبالحرف العربي. أما أقدم نص مكتوب تمّ الحصول عليه حتى الآن فهو كتاب يروي قصة نبي الله موسى عليه السلام وعنوانه Rayuwar Annabi Musa كتبه العلامة عبد الله ثقة أحد علماء كنو في القرن السابع عشر الميلادي(٣٤).

ولقد أدّى هذا الرعيل الأول من العلماء المسلمين في بلاد هوسا دوراً مهماً في إدخال الكتابة العربية إلى المنطقة، ثم اختراع كتابة لغة هوسا بالحرف العربي فيما بعد وتطوير تلك الكتابة حتى غدت مألوفة لدى كل المسلمين في بلاد هوسا ومراكزهم في الخارج، ولكن واجهت هذه الكتابة حرباً متعمدة من قبل الاستعمار الأوربي الذي حاول جهده في إحلال كتابة لغة هوسا بالحرف اللاتيني محل الكتابة في بعض القطاعات مثل علماء وطلاب المدارس القرآنية الذين لا يزالون يستعملون الكتابة بالحرف العربي حتى اليوم، بل تحاول بعض الجهات إحياء هذه الثقافة العظيمة مثل حكومة ولاية كنو التي تصدر جريدة أسبوعية اسمها «الفجر» منذ أوائل الثمانينيات، كما أرسلت منظمة التربية والثقافة والعلوم الإسلامية من المغرب عدداً محدوداً من



الصحراء الكبرى.. هل كانت الموطن الأصلي للهوسا؟

الآلات الراقنة للمساعدة في الحفاظ على هذا الإرث، ولكن الحاجة ماسة إلى جهود أكبر في هذا المضمار.

أما مساهمة القساوسة المسيحيين في دراسة لغة هوسا فقد بدأت منذ القرن الثامن عشر، واشتهر منهم في القرن التاسع عشر اثنان هما: الألمانيان Henrich Barth J.F Schon، وفي عام ١٨٩١م تأسست «الجمعية الهوسوية» Hausa Association تحت رعاية الإرسالية المسيحية Church Missionary Society (٣٥)، وترجم الإنجيل إلى لغة هوسا منذ عام ١٨٥٧م(٣٦).

أما اهتمام العالم الخارجي بلغة هوسا فيتمثل في المحطات الإذاعية الكثيرة التي تبث لمستمعيها برامجها بالهوسوية مثل هيئة الإذاعة البريطانية BBC، وصوت أمريكا VOA، وإذاعة موسكو وبكين وبلغراد والقاهرة وأمدرمان وغانا والنيجر ونيجيريا. كما تدرّس لغة هوسا في عدد من الجامعات النيجيرية خاصة جامعة بايرو بمدينة كنو، وجامعة أحمد بيلو في مدينة زاريا، وجامعة عثمان بن فوديو في سكوتو، وكذلك في بعض الجامعات الأوربية، مثل بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وروسيا، كما تدرس في جامعات أمريكية كثيرة، وفي الصين، وبعض البلدان الأفريقية مثل ليبيا وجمهورية النيجر.

يتنتشر الهوسا في دول إفريقية بنسب متفاوتة

تسلسل تاريخ دراسة لغة هوسا

كانت أول محاولة لكتابة لغة هوسا في العالم الغربي مجموعة من كلمات لغة هوسا وترجمتها، جمعها نيبر B.G. Niebuhr في الدانمارك عام ١٧٧٣م. أخذ نيبر هذه المفردات من مملوك لأحد التجار العرب الذي قدم الدانمارك من تونس(٣٧). ولكن دراسة لغة هوسا بصورة جادة لم تبدأ إلا في عصر القس شون J.F. Schon الذي كتب أكثر من أربعة عشر مقالاً وكتاباً بين عام ١٨٤١م وعام ١٨٨٦م(٣٨). ومن العلماء الفطاحل الذين ظهروا في هذه الفترة والعصور اللاحقة العلامة روبنسون C. H.Robinson الذي كان من ضمن مؤلفاته معجم للغة هوسا في جزأين(٣٩)، وكان هذا أول معجم للغة هوسا، وقد ظهر في عام ١٨٩٩م.

وكما كانت المؤلفات كثيرة في القرن التاسع عشر، كذلك استمرت في التواتر، بل ازدادت كثرتها في القرن العشرين، فتنافس علماء اللغة الإنجليز والفرنسيون

والألمان والأمريكان والروس والصينيون، وكان من أشهرهم من ذكرهم الأستاذ إبراهيم يارو(٤٠) ومن علماء اللغة المحليين ذكر غراهام فورنس(٤١)Graham L. Furriss الآتي أسماؤهم البروفيسور داودا باغري، والبروفيسور محمد كبير غلادنث، والبروفيسور محمد حمبلي جنجو، والدكتور أحمد بيلو زاريا، والدكتور بيلو أحمد سالم (الآن بروفيسور)، والدكتور معاذ ثاني (الآن بروفيسور) والدكتور إبراهيم يارو يحيى (بروفيسور ت: ١٩٩٥م).

ملامح ومميزات لغة هوسا(٤٢)

تمتاز لغة هوسا واللغات التشادية عموماً بعدة مميزات جعلتها تنفرد عن سائر لغات إفريقية السوداء. ونقدم هنا بعض هذه الخصائص التي قيدها علماء اللغة حول لغة هوسا:

- من اللافت للنظر حول لغة هوسا وجود تأنيث وتذكير مجازيين، أي ينقسم الاسم إلى مذكر ومؤنث، ولا وجود للجنس المحايد، مثلاً: الشمس rana، الجلباب Riga، المزرعة Gona كلها أسماء مؤنثة بينما القمر Wata، الجبل Dutse، النهر Kogi أسماء مذكرة.

- استعمال التاء كعلامة للتأنيث، وقد تحولت إلى فتحة طويلة في الأسماء، ولكنها بقيت في الفعل، كما يسمع في الفعل المضارع والفعل الماضي:

Yarinya tana gun تجري البنت

Yarinya tana كتب البنت

Yarinya ta fadi قالت البنت

Yarinya tarubuta كتبت البنت

- وجود الزائدة m / لصياغة اسم المكان، واسم الفاعل، واسم الآلة، كما في اللغة العربية، أمثلة:

matafiyi مسافر

maharbi محارب

masaka منسج

majema مدبغة

mabugi مضرب

mabudi مفتاح

- وجود صيغ للجمع السالم، وجمع التكسير. ومن أمثلة الجمع السالم: بيت بيوت Gida - Gidajee. أما جمع التكسير فهو الذي يدخله تغير في بنية المفرد، مثل: نهر أنهر gulbi - gulabe.

تتشابه الضمائر في لغة هوسا مع مثيلاتها في اللغة العربية بقدر ملحوظ، مثلاً الضمائر المنفصلة:

Nii أنا

Muu نحن

Kai أنتَ

Kee أنتِ

Kuu أنتم

Shi هو

Itaهي

Suuهم

انظر كذلك الضمائر المتصلة:

Ka rubuta كتبتَ

Kika rubuta كتبتِ

Kuka rubuta كتبتُم

Yana rubuta يكتب

Tana rubuta تكتب

ضمائر الملكية:

Gidanka بيتكَ

Gidanki بيتكِ

Gidanku بيتكُم

Gidanta بيتها

- كل الفواصل تبدأ بأصوات صامتة consonants، ولكن نظام الكتابة المتخذ رسمياً بالحرف اللاتيني لم يضع علامة لصوت الهمزة glottal /stop plosive مما يوهم أحياناً بالابتداء بالحركة.

- الأسماء والأفعال المركبة compound نادرة في لغة هوسا.

- هناك خمس حركات فونيمية هي /a/i/o/u/e ولمدّ الحركات أهمية كبيرة.

- الراء فينيمان مختلفان، ولكن نظام الكتابة لا يفرق بينهما، وهما /r/ flapped retroflex و /r/ rolled, trilled.

- هناك مستويان صوتيان بصفة أساسية هما مرتفع high ومنخفض low أيضاً. ويوجد أيضاً الصوت الهابط falling.

أما الأصوات الصاعدة (المتعالية) rising فهي نادرة جداً.

- الأهمية الاشتقاقية etymological للنغم tone محدودة، ولكن له قيمة صرفية morphological.

- يوجد النبر stress بقدر ملحوظ.

- جذور الأفعال في الغالب وحيدة المقطع monosyllabic والنوع //cvc (صامت – حركة– صامت) أكثر شيوعاً من النوع //cv (صامت ـ حركة)، ولكن الجذور الثنائية المقطع disyllabic من النوع cvcc/ أيضاً كثيرة الورود. حركة المقطع قد تكون قصيرة أو طويلة.

هذه بعض مميزات لغة هوسا قدمناها هنا باختصار، ونرجو أن تتاح لنا الفرصة لتقديمها بتفصيل أكثر مستقبلاً.

الهوامش والمراجع

1 - Mahadi Adamu, Historical Background to the spread of Hausa Language in Northern Nigeria. International Conference on Hausa Language, September 1987, B.U.K.

2- Elizabeth Isichei, A History of Africa,Longman 1983, P.3.

3- Mahadi Adamu, An address at B.U.K. 1987.

٤ـ محمد أول يوسف، تأثر لغة هوسا باللغة العربية، بحث لنيل شهادة الليسانس من جامعة سكوتو ١٩٨٦ ص ١٠. ومن أصحاب هذا الرأي أيضاً الحاج يوسف ميتما طن مسنن كنو ممثل نيجيريا الأسبق بالأمم المتحدة في إحدى المقابلات الإذاعية معه.

(٥) المرجع السابق نفسه والصفحة ذاتها.

6 - Elizabeth Isichei, A History of Africa, Longman 1983, P.3

7- Kano Studies, New series, Vol 2 , No. 1 , 1980.

٨ـ اسمه الحقيقي حسن بن الوزان، زار تمبكتو ومالي وصنغاي وبلاد هوسا وبرنو. أنظر: دكتور شوقي الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

9 - RE. G.P. Bargery, A Hausa -English Dictionary, Oxford University Press, London. 1951, P.V.

١٠ـ المرجع السابق.

11 - RE. G.P. Bargery, A Hausa -English Dictionary, Oxford University Press, London. 1951, P. x.

12- Zaman Hausawa , Rabi'u M. Zarruk and others, Islamic Publication Bureau, Lagos, Bugu na biyu P. 1.

١٣ـ أحمد محمد كاني، مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال أفريقيا ووسط السودان، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة، العدد الأول، يناير ١٩٨١م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ص ١٠.

14 - Mohd. Hambali Jinju, Asalin Hausawa da Harshensu, Nazari akan Harshe da Adabi Na Hausa, Littafi na uku, C,S.N.L., B.U.K. 1993 P. 1-4.

أنظر أيضاً: أحمد محمد كاني، الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا، طب١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص ٤٩.

(١٥) المرجع السابق، ص ٤٩.

(١٦) المرجع السابق، ص ٤٩. وانظر أيضاً RE. G.P. Bargery, A Hausa -English Dictionary, Oxford University Press, London, 1951.

17- Mohd. Hambali Jinju, Asalin Hausawa da Harshensu, Nazari akan Harshe da Adabi Na Hausa, Littafi na uku, B.U.K., 1993, P. 1.

١٨ـ المرجع السابق، ص ٤ – ٦.

19 - A.Y. Aliyu, Asalin Hausawa, Makon Hausa na 1973 - 74, B.U.K. P.7-9

٢٠ـ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

21 - Mahadi Adamu, The Hausa Factor in West African History, Ahmadu Bello University Press , 1978, P. 1 ` 2. Also Rabi'u M. Zarruk and others Zaman Hausawa, Bugu na uku. Lagos , P. 1.

٢٢ـ ذكر بعض الأعلام أن أصل شعب الهوسا من الحبشة منهم الحاج يوسف ميتما سلى ممثل نيجيريا الأسبق في الأمم المتحدة في مقابلة إذاعية له.

23 - Nigerian Secondary Schools Social Studies (Book 3) University of Lagos , P. 42

24- Mohd. Hambali Jinju, Asalin Hausawa da Harshensu, Nazari akan Harshe da Adahi Na Hausa, Littafi na uku SCNL, B.U.K. 1993, P. 1-4.

25- Merritt Ruhlen A Guide to the World's Languages, Vol. I Stanford University(!)Press, California, 1987, P. 321.

26- Diedrich Westernman and M.A. Bryan, hand book of African Languages. (2) Part II(2) , London 1970, P. 162.

27- Elizabeth Dunstan (Ed), Twelve Nigerian Languages, Longman, London 1969, P. 73 and The Hausa Language, Paul Newman, Yale Uni. Press, New Haven and London, 2000.

28- The Hausa Language and its Nearest Relatives, Russel G. Schug, A Departmental Seminar Paper,, Dept. of History, B.U.K. March 1983. Also see Habib A. Daba Sociolinguistic study of Address Terms in Hausa Ph.D. Thesis , University of Wisconsin, Madison, USA, 1987 P.10.

٢٩ـ المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

30 - Pierre Alexandre, An introduction to Languages and language in Africa. Northwestern University Press, 1972, P. 48-53 . Also see: Russel G. Schuh, 1983. Also Elizabeth Dunstan Twelve Nigerian Languages, Longman, London1969,P.73.

31- Habibu Ahmad Daba, Sociolinguistic Study of Address Terms in Hausa, Ph.D. Thesis 1987, University of Wisconsin, Madison, USA P.13.

٣٢ـ الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر، المجلة العربية للثقافة العدد ستة، جامعة الدول العربية ـ تونس ص٢٩ تلفت نظر القارئ الكريم إلى أن الأستاذ دابا لم يشر إلى أعداد الهوسا في السودان، ولكن توصل إلى هذه النسبة من العدد الذي أورده الأستاذ يوسف الخليفة، وهو أربعة ملايين وبما أن تعداد سكان السودان يقدر بـ ٢٤ مليوناً فإن النسبة المئوية لعدد الهوسا في السودان تكون ٤ ÷ ٢٤×١٠٠ = ٨٪.

33 - Ibrahim Yaro Yahaya, A Rubuce, NNPC 1988, P. 10-14.

٣٤ـ المرجع السابق، ص ٣٦ ـ ٣٧.

٣٥ـ المرجع السابق نفسه الصفحات ٨٤–٨٥ (ترجمة بتصرف).

36 - P.E.H. Hair , the Study of Nigrtian Language, Cambridge University Press, 1967.

قام بهذه الترجمة القيس J.F. Schon.

37 - Ibrahim Yaro Yahaya,Hausa A Rubuce, NNPC 1988, P 74.

38- P.E.H. Hair , the Study of Nigrtian Language. Cambridge Universi Press, 1967 . P. 64-67.

39-Ibrahim Yaro Yahaya. Hausa A Rubuce, NNPC 1988, P 81, (Dictionary of the Hausa Language, 2 vols, Cambridge Hannas Vischer, R.M. East, G.P. Bargery, R.C. Abraham, D. Westermann University Press).

40- J. Greenberg, C. Gouffe, P. Newman, R.G. Schuh, L.T. Hodge, J.K Maxwell, C. H. Kraft, D.W. Arnott, E. A. Gregerson, C.G.B. Giddley, L. Dressel, J.P. Huchison, A.H.M. Kirk-Greene, A.V.King, W. Leben.

41- Harsunan Nijeriya , vol. XIV, 1988/89, CSNL, B.U.K. P.3.

42- Pierre Alexandre, An introduction to Languages and language in Africa, Nothwestern University Press, 1972, P. 48-54. See also Diedrich Westernman and M.A. Bryan, hand book of African Languages. Part II , Language of West Africa, 171-International African Institute, London 1970, P. 170.

قصائد

يا ظِلُّ

عزالدين سليمان سليمان

الرياض - السعودية



أتذكـرُ همسَ الثَّـغـر للثَّـغـر يا ظِلُّ
علـى صـدركَ الـريفيِّ لثَّغَ الهـوى طفلُ
عـشـيّـة هدَّمْنا مـدائنَ حـزنـنا
وغـرَّد في شِـريـان ليلتنا الوَصْلُ
وتضـحكُ، يا أللهُ! أشـربُ ضِـحكَـهـا
كما في الصحارى يشربُ الخُضرةَ النخلُ
أتذكـر؟ كم أرخَتْ عليكَ ضـفـائراً !!
ومن عَـتْـمِـهـا كم يَنْهَلُ العَـتْـمةَ الليلُ!!
وكم نتسـاقى الطُّهـرَ والإثمَ صـامتاً !!
كـداليـةٍ مـامـرَّ في صـيـفـهـا البُـخلُ
وتحنو علينا الـوارفـاتُ كـأنَّهـا
تخـافُ علينا فـالـدُّجى في الدُّجى سَيْلُ
ونعطي كـمـا غـيـم يبـوح بسـرِّه
ومن شِيَمِ الغيم السَّمـاحـةُ والبَـذْلُ

وجـاءت كـمـا الأحـلام والحسنُ ظامئٌ
وآبتْ كـمـا الأحـلام والحسنُ مُـبْـتَلُّ
ويـاظلُّ مـازالتْ بقـايا حـديثِـهـا
ومـازال في عـينيكَ منِ كُحلها كُحلُ
سـمـعتَ أغـانينا فـرحْتَ تُذيعـهـا
أمـا كـانَ سكرانًا بأطيـابهـا الحَـقلُ؟
بشَـعْـركَ كم غلَّتْ أصـابعَ فِـتْنةٍ
فـتـرقص لا تدري يُخاصرك السَّـهلُ
أتنسى وقـد نامتْ بحـضنك مـرَّةً
وقـبَّلتَـهـا؟ ما كنتَ تعرفـهـا قبلُ
وقـامَتْ، أتبـقى أيُّهـا الظلُّ نـائمًا؟
تعلَّقْ بهـا، والثُمْ خُطاها أياظِلُّ

***

نصرة

مالك بن المرحّل*

شهدَ الإله وأنتِ يا أرضُ اشهدي
أنَّا أجبنا صرخةَ المُستنجِدِ

لمّا دعا الدَّاعي وردَّدَ مُعلِنًا
قُمنا لنصرتِهِ ولم نترَدَّدِ

نَسْري له بأسنَّةٍ قد جُرِّدَتْ
من غَضْبِها والصُّبحُ لم يتجَرَّدِ

لولا الأسنَّةُ والسَّنابكُ ما درى
أحَدٌ بسَيْرِ خُيولنا في الفرْقدِ

والخَيلُ تشكونا ولا ذَنْبٌ سوى
أنَّا نَروحُ بها وأنَّا نغتدي

لو أنَّها علمتْ بنا في قصدِنا
كانت تطيرُ بنا، ولم تتردَّدِ

اللَّهُ يعلمُ أنَّنا لم نعتقد
إلاَّ الجهادَ ونصرَ دينِ مُحمَّدِ

ثم اعترضْنا البَحْرَ وهو كأنَّهُ
مَلِكٌ تقدَّمَ في الجيوشِ لِمَرْصَدِ

فترامتِ الخَيْلُ العطاشُ لورْدِهِ
هَيْهاتَ ما الماءُ الأجاجُ بموردِ

يا خَيلُ إنَّ وراءَنا ماءً روًى
ومشاربًا، ومزارعًا لم تُحْصَدِ

وأحبَّةً بين الفواقِدِ أصبَحُوا
يتوقَّعونَ الموتَ إن لم نُنْجِدِ

من مُطْلَقِ العَبَراتِ إلاَّ أنَّهُ
تجري دموعُ جفونِهِ لِمُقيَّدِ



ومُفجَّعٍ لا يستلِذُّ بمَطْعَمٍ
ومُروَّعٍ لا يستقِرُّ بمرْقَدِ

إخوانُنا في دينِنا ووِدادِنا
ولهم مزيدُ تحبُّبٍ وتَوَدُّدِ

نسري بأجنحةِ البُزاةِ إلى العِدا
مثلَ الحَمامِ الحائماتِ الوُرَّدِ

واستقبلَتْ بحرَ الزُّقاقِ بعُصْبَةٍ
نفذتْ عزائمُها ولم تَتَعَدَّدِ

فاستبشَروا في أفقِهِمْ بطلوعِنا
«كالشمسِ يومَ طلوعِها للأسعُدِ»

* هو أبو الحكم مالك بن عبدالرحمن بن علي .. ابن المرحل.. المصمودي نسبًا، المخزومي ولاء.. السبتي بلدًا.. ولد بمالقة في الأندلس سنة ٦٠٤هـ، وبرع في الشعر والنحو واللغة والبيان والعروض والقراءات.
ولي عددًا من المناصب القضائية، وكان كثير النظم، قوي العارضة، بارع اللسان. عَمّر طويلاً، وتوفي في فاس سنة ٦٩٩هـ.
[تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج١، دار العلم للملايين، بيروت].

مُغَنِّي الغَابَة

بانجو بيترسون
ترجمة: يوسف عبدالعزيز علي
أسوان - مصر

ثمَّةَ تمايلٌ للعُشبِ في النسيمِ،
وأغنيةٌ في المدَى
وطنينٌ لآلافِ النحلِ
التي تكدحُ في كلِّ مكانْ
ثمَّةَ عطرٌ في الزهرةِ والغصنِ،
ونَسْمَةٌ للربيعِ،
رقيقةٌ كقبلةٍ فوقَ جبينْ
وأنا للربيعِ أغنّي.

ثمَّةَ جفافٌ في الأرضِ، والماشيةُ
تسقطُ في طُرقِها
أو تَقْتفِي - في قطيعٍ مترنِّحٍ - أثرَ
فأسِ قاطعِ الأشجارِ الصغيرهْ،
وطالما يبقى مخلوقٌ
فسوفَ تهوي الفؤوسُ على الأشجارِ والأرضْ
فنَحْنُ نُقاتِلُ الموتَ من أجلِ حياتِهم
وأنا للقِتَالِ أغنّي



يحسدني

نور الدين درويش
قسنطينة - الجزائر

قد يحسدني التاريخ،
ويحسدني الزمن الممتدّ وأحفادي
قد تحسدني الأنهار،
وتحسدني - إن بُحت - الوردةُ والأطيارُ
الصخرُ، الشوكةُ تحسدني،
وأرقُّ الأعوادِ
قد يحسدني الشعراء،
ويحسدني الغاوون وأصحابي
قد يحسدني ضيفُ
أو لصُّ محترفُ،
قد يحسدني - إن بُحت - النادل في مقهى «البوسفور»،
وفي «النادي»
قد تحسدني أمي،،
قد تحسدني - إن بحت - الزوجة،،
تحسدني كل امرأة في الأرض،
ويحسدني - إن قلت أحبك - أولادي
قد تحسدني المدنُ الأخرى،
قد تمنحني فرصًا أخرى، وتبالغ في الإغراء لإبعادي
قد تخطفني من بين يديك ومن نفسي امرأة من نور،
فتُغيّر عنواني،
وتغيّر إيقاع الأنوار وإنشادي
قد يحسدني السلطان، فيبعدني
قد يلغي كلّ مواعيدي،،،
قد يسجنني،
من أجلك قد يلغي كلّ الأفراح، ويلغي كل الأعيادِ
قد يحسدني ظلّي،
قد يهرب عني،
قد يرميني من أعلى جسرٍ في الأرض إلى الوادي



قد يطعنني من أجلك حرّاسي
قد تجتمع الدنيا، كلُّ الدنيا، من أجل محاربتي
وأنا ما عندي سيفٌ،
لا أملك غير لساني،
واللغة الحبلى بالحبِّ، وسحرِ النغمة والضادِ
ما عاد بوسعي أن أحميك وأحميني،
ما عاد بإمكاني أن أصنع من عودٍ سيفا
وأشقّ دروبي وسط الأوغادِ
البوح يكلّفني عمري،
فحذار حذار فأخشى ما أخشاه علينا كَيْدَ الحُسّادِ
نامي إن شئت بذاكرتي
أو في قلبي
يكفيك حضورًا أنك في قلبي،
أنّ اسمك في شعري،،
وعلى شفتي، وشهادة ميلادي



ياسوناري كاواباتا

ترجمة: كامل يوسف حسين

دبي - الإمارات

كان ذلك في شهر يوليو. سار الكوريون مجهدين هابطين الطريق الجبلية الشهباء. وكان الإعياء قد حلّ بهم عندما لاح البحر لعيونهم وقد عبدوا الطريق وصولاً إلى الممر، لكن العمل فيما يتجاوز الممر كان قد رسا على مقاول مختلف، وهكذا كانوا بسبيلهم إلى موقع عمل مختلف.

كانت النسوة قد غادرن القرية عند الفجر. انهارت إحداهن، وربما لم يكن عمرها يتجاوز الخامسة عشرة، أو السادسة عشرة، ومحياها أبيض كصفحة من ورق، عندما لمحت البحر.

- بطني يؤلمني ليس بوسعي مواصلة السير

- ما أفظع هذا ! لم لا ترتاحين قليلاً وتهبطين مع الرجال لاحقًا؟

- أواثقة أنت من أنهم قادمون

- بالتأكيد. ما عليك إلا التقاط أنفاسك هنا

ضحكت النسوة، ومضين نحو البحر مثقلات بالحقائب والحزم. ووضعت المرأة الشابة حاجياتها أرضًا، وجلست على العشب.

بعد قليل، أقبل اثنا عشر من عمال الإنشاءات منحدرين مع الطريق.

- مرحبا ! ماذا هناك؟

- هل هناك أحد آخر على الطريق؟

بالتأكيد.

- بطني يؤلمني سأواصل السير بعد قليل.

دارت رأسها، وهي تطلّع إلى أسفل باتجاه البحر الصيفي. وبدا كما لو أن طنين زيزان الحصاد يخترق جسمها.

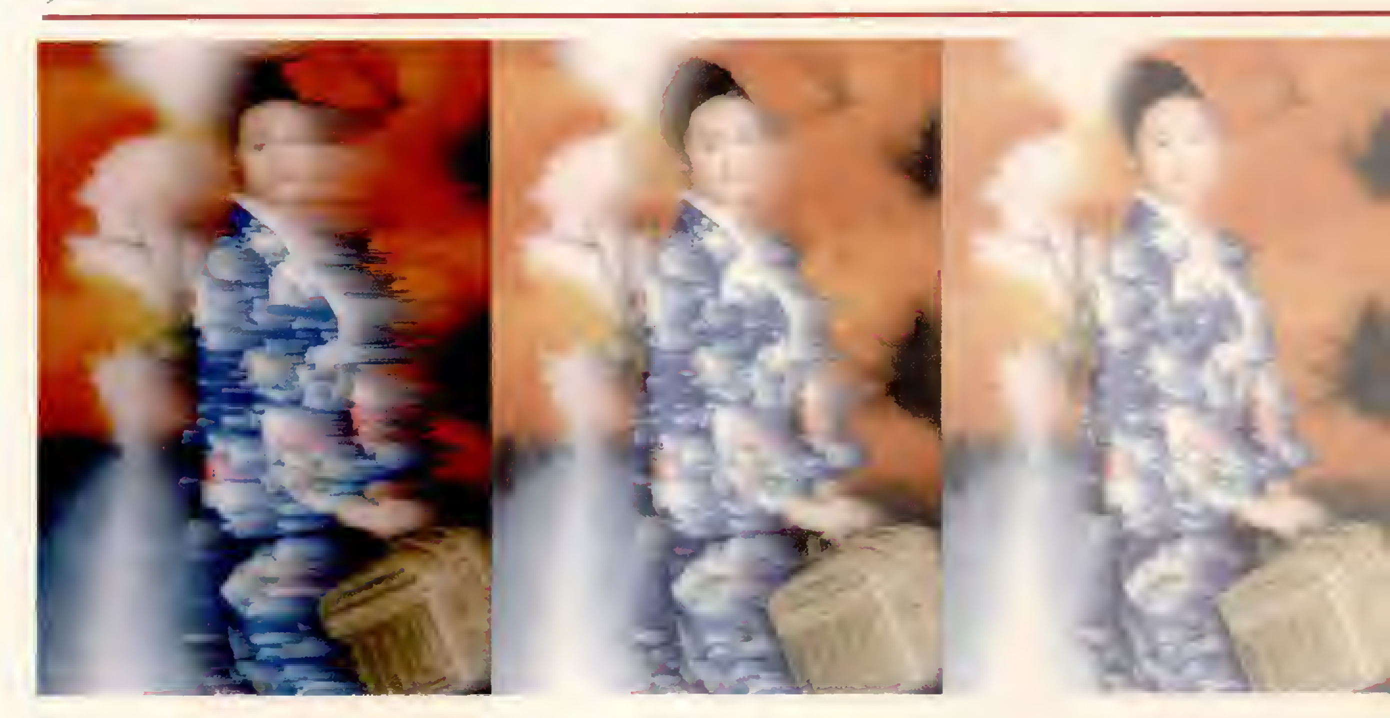
أقبل عمال إنشاءات آخرون، كانوا قد تركوا القرية متمهلين حسبما طاب لهم، وساروا في مجموعات مؤلفة من ثلاثة عمال أو أربعة وفي كل مرة كانت إحدى هذه المجموعة تمر بالمرأة الشابة كان الحوار نفسه يتكرر:

- مرحبًا ! ماذا هناك؟

- هل هناك أحد آخر على الطريق؟

- بالتأكيد.

بعد فترة، برز عامل شاب يحمل على كاهله حقيبة كبيرة من الخيزران الرفيع المجدول، من أجمة



أشجار أرز يابانية عبقة على حافة الطريق.

- مرحبًا ! ماذا هناك؟

- هل هناك أحد آخر على الطريق؟

- لا. إنني الأخير. لقد تمهلت قليلاً لأودع تلك المرأة.

- تعني أنه لم يعد هناك أحد؟

- على الإطلاق.

- أتمزح؟

- لا تبكي! ما الأمر؟

جلس إلى جانبها.

- بطني يؤلمني للغاية فلا أستطيع المشي.

- فهمت. دعيني أساعدك. هل تتزوجينني؟

- لا سبيل إلى ذلك فقد أمرني أبي بألا أتزوج في المكان الذي قتلوه تحت أفقه. قال: «لا تتزوجي جلفًا جاء إلى اليابان للعمل، عودي إلى كوريا وتزوجي من رجل صالح!».

- ربما كان حديثًا من هذا النوع هو الذي انتهى بأبيك إلى القتل انظري إلى ملابسك!

- هذا ؟

نظرت إلى ثوبها بما طبع عليه من أشكال أزهار وعشب خريفية يابانية. أضافت:

- أحدهم أعطاني إياه. انظر. إنني أريد بطاقة سفر بالقطار وبعض الملابس الكورية.

- ماذا تضم هذه الحزمة؟

- إبريق وبعض أكواب الشاي.

- دعينا نتزوج.

- أواثق أنت من أنه لم يبق أحد على الطريق؟

- إنني الأخير. يمكنك الجلوس هاهنا سنوات من دون أن يهبط كوري واحد الجبل عبر هذا الطريق.

- تقصد أنه لم يبق شخص واحد هناك؟

- ذلك صحيح. مارأيك؟

- ليكن.

- طيب.

انبعث عامل الإنشاءات واقفًا، وعانق المرأة مرتبكًا، وحملا أمتعتهما الثقيلة على كاهليهما.

- تقصد أنه لم يبق شخص واحد هناك؟

- أوه اصمتي!

- خذني بحيث لا أستطيع رؤية البحر!

لفافة التبغ

ريما سيباي حقي

الخبر - السعودية

استرخيت في مقعدي أتنسم أنفاس الربيع الرقيقة عندما أشعل صديقي لفافة تبغ (سيجارة) وعرض عليّ مثلها. قبلتها بسرور فقرب قداحته منها ليشعلها عندما ركضت ابنتي ذات الأعوام السبعة نحوي وهي تصرخ بفزع وتقول: «لا.. لا يا أبي.. ستحرق أحشاءك!». أبعدت اللفافة عني، وابتسمت لها محاولاً إخفاء الإحراج الذي شعرت به وأنا أرى نظرات أصدقائي المندهشة.

وسألتها: «ماذا قلت؟».. فأجابت بهدوء هذه المرة: «لقد قالت لنا المعلمة إن لفائف التبغ هذه تحرق أحشاءنا». ابتسمت لها مجدداً وأنا لا أعرف ماذا أجيبها، ثم طلبت منها أن تذهب وتلعب مع صديقاتها. ولما رأيتها في مكانها لا تتحرك زجرتها قليلاً - على غير عادتي - حتى أتخلص من جو الارتباك الذي هبط فجأة على المكان.

كنا نجلس في حديقة منزلنا، وكان عندنا - زوجتي وأنا - أصدقاؤنا المقربون الذين جاؤوا لزيارتنا في هذا اليوم الجميل من أيام الربيع. ومضى يومنا عادياً طبيعياً كأن شيئاً لم يكن، إلا أنني لم أنس بقية ردّ فعل ابنتي تجاه لفافة التبغ تلك. كانت تلك هي المرة الأولى التي تنتبه فيها لمثل هذه الأمور. يا للأيام.. لقد بدأت الصغيرة تكبر ولم تعد طفلة..وها هي ذي أيضاً تبدي رأيها: في أمور الكبار! وفي تلك الليلة بعد أن ذهب الضيوف، نظرت إليّ ابنتي نظرة لوم حزينة وقالت: «لم فعلت ذلك يا أبي، ألم أقل لك أن الدخان سيحرق أحشاءك؟»

ومضت الأيام بنا رتيبة وأصبحت لفافة التبغ في طيّ النسيان، إذ لم أكن من المعتادين على التدخين يومياً، فقط عندما يكون المكان جميلاً والجو لطيفاً ومعي من يشاركني من أصدقائي المقربين. وفي ليلة من الليالي، استيقظت على آلام مبرحة جعلتني أصرخ لشدتها. واستيقظت زوجتي على صوت تألمي فاتصلت بصديق لي حضر على عجل ونقلني بسيارته إلى المشفى القريب منا حيث أجريت لي الإسعافات اللازمة، وبعد فترة خفّ الألم ونمت. علمت عندما استيقظت أنها كانت نوبة حصى في إحدى كليتي وأنهم أعطوني ما يساعد على تفتيتها والتخلص منها. وعدت إلى البيت في اليوم نفسه بعد أن سمح لي الأطباء بذلك.

لم يكن قد مضى على عودتي إلى البيت سوى أيام قليلة عندما تعمدت ابنتي الانفراد بي مرة لتقول لي بما يشبه الهمس: «أرأيت يا أبي؟.. إنها تلك اللفافة.. أرأيت؟ لقد أحرقت أحشاءك واضطررت إلى الذهاب إلى المستشفى لإصلاحها! لا تدخن منها بعد الآن.. أرجوك يا أبي».

ابتسمت يومها وحاولت إفهامها حقيقة ما أصابني مستخدماً كل ما أعرفه من مصطلحات طبية لأشرح لها أن التدخين يضر الرئة ولا علاقة له بالكلى حيث مكان إصابتي. ولكنها، وبعد أن أنهيت محاضرتي، لم تزد على أن هزت رأسها بثقة لا تتناسب وأعوامها السبعة وقالت: «بل هي اللفافة يا أبي.. أحرقت أحشاءك». وببطء واتزان مضحكين استدارت لتغادر الغرفة.

أصبحت مقولة ابنتي نكتة مضحكة في بيتنا طوال الأيام التي تلت شفائي. فكنت عندما يزورني أصحابي للاطمئنان علي أنادي ابنتي وأسألها وأنا أغمز لهم بعيني: «هاه.. ماذا حدث معي تلك الليلة باعتقادك يا ابنتي، أهي الحصى أم ماذا؟». وبثقة طفولية - ودون أن

تفطن للهجتي المبطنة - تهز رأسها نفيًا وتقول: «بل هي اللفافة.. أحرقت أحشاءك». كنت فرحًا بها.. جرأتها وثقتها بنفسها وبصحة ما تعلمته كانا يشعراني بالفخر، رغم أنني لم أكن أوافق على ما تقول. وبعد أن شفيت تمامًا أقمت حفلة غداء لأصحابي، كان الجو جميلاً وكل من حولي سعيدًا. وأشعلت لفافة تبغ وتنفست بعمق متمتعًا سعيدًا بها، ممتنًا لصحتي التي عادت إلي، لأجواء الربيع الساحرة ولأصدقائي المقربين من حولي. لم تصرخ ابنتي يومها ولم تركض نحوي محذرة، بل تركت اللعب فجأة ووقفت ترقبني من بعيد وتنظر إلي نظرة لوم حزينة. تجاهلتها متعمدًا وعملت على الاستمتاع بكل ما حولي دون أن أدع لها مجالاً لتعكير صفو ذلك اليوم. ولكن القدر كان لي بالمرصاد.

***

في الليلة نفسها صحوت على آلام مبرحة تعاودني، وحضر الطبيب إلى البيت في هذه المرة ليؤكد لي أن نوبة الحصى الكلوي عاودتني من جديد، وأنني كنت أحد هؤلاء «المحظوظين» الذين تعاودهم آلامها خلال فترة قصيرة! وقضيت أيامًا أخرى في الفراش، وجاء أصحابي لعيادتي كما في المرة السابقة، ولكن شيئًا في جلساتنا تغير هذه المرة..

لم تعد مقولة ابنتي مضحكة مسلية، ولم أعد أناديها عندما يزورني أحد أصدقائي لنضحك معًا من إجابتها. ولاحظت زوجتي ذلك، ولما سألتني عن السبب أجبتها بعصبية: «لم أعد أحب سماعها تردد على مسمعي أن لفافة التبغ هي التي أحرقت أحشائي وكأنها نذير شؤم.. ثم ما هذا التعبير الأخرق؟.. ألم تجد تلك المعلمة تعبيرًا ألطف لمضار التدخين تعلمه لتلميذاتها؟ أنا متأكد أن ابنتك ستصر أكثر هذه المرة على أن التدخين أحرق أحشائي وسبب لي الآلام من جديد، ولن ينجح لفيف من الأطباء في إقناعها بعكس ذلك!.. إنها تلك المعلمة.. تصدقها ولا تصدق سواها، وتردد ما قالته وكأنه حقيقة أصدق من الحقائق والعلوم!». ونظرت إليّ زوجتي يومها نظرة لم أفهم معناها، ثم تركت الغرفة وخرجت دون أن تعلق.



استيقظت صباح اليوم التالي لأجد ابنتي واقفة بباب الغرفة تنظر إليّ وتتأملني بحزن. لم تقل شيئًا.. ولم تكن بحاجة إلى ذلك.. نظراتها كانت كافية لتدل على ما كان يدور في ذهنها.

وأسرعت أقول لها وكأنني أردت الدفاع عن نفسي قبل أن توجه لي اتهاماتها: «أرأيت يا ابنتي.. ليس للفائف التبغ أي علاقة بالأمر.. إنها الحصى عادت من جديد كما أخبرني الطبيب».

وامتلأت عيناها بالدموع وقالت بلهجة خالية من أي لوم أو عتاب.. لهجة ليس فيها سوى الحزن «كلا يا أبي» إنها تلك اللفائف مرة ثانية أحرقت أحشاءك». وأحسست بالغيظ يملؤني وصرخت في وجهها: «كُفي عن ترديد هذه الكلمة.. لا أحب سماعها». وخرجت تركض مذعورة، فقد كانت تلك المرة الأولى التي أصرخ فيها بوجه أحد أولادي. وأدرت وجهي وحملقت في الحائط وأنا أرتجف غضبًا.

لم أفكر ساعتها في الحزن العميق الذي لمحته في عينها.. كان كل تفكيري وغيظي منصبًا على تلك المعلمة.. لقد أفسدت ابنتي وها هي ذي الآن تنقلب علي.. أنا أبوها!.

***

وعاد الاستقرار إلى بيتنا حتى قبل أن أشفى تمامًا، وعاد كل شيء إلى حاله وإلى ما كان عليه سابقًا.. إلا أنا! لم أستطع أن أطرد من ذهني صورة ابنتي وهي تهز رأسها وتؤكد أن ما حدث لي كان بتأثير تلك اللفائف التي أشعلتها. كانت هي كبرى بناتي وكانت لها في قلبي معزة خاصة. كنت أشعر أنني أربيها لتكبر وتصبح إنسانة ناضجة قادرة على شق طريقها في الحياة بثقة. ومضت الأعوام السبعة الأولى بنجاح، إلى أن كان ذلك اليوم الذي غيّر مجرى تلك العلاقة.

وتغيرت علاقتي بابنتي.

لم أعد أناديها لتجلس معي عندما أعود من عملي.. لم أعد أشرح لها بالتفصيل كل ما تسأل عنه.. أصبح همّي حشو رأسها بالمعلومات والأوامر ومطالبتها التمسك بها وتطبيقها. إذا جلست انتقدت طريقة جلوسها، فما هكذا تجلس الفتيات المهذبات.. وإذا تناولت طعامها ولم تمسك بالشوكة كما ينبغي أغضب وأثور، فكم مرة علي أن أكرر على مسامعها أنه ما هكذا تمسك الملعقة أو الشوكة؟ «لو كنت معلمتك لكنت قمت بما علمتك إياه من أول مرة!».

كنت دومًا أقول لها. أما زوجتي فكانت في البداية تلومني وترى أن البنت لم تفعل ما تستحق معه: كل هذا، ولما فقدت الأمل في إقناعي أصبحت تكتفي بالتدخل لصالح ابنتي، كلما شعرت أنني غاليت في ردة فعلي تجاهها.

كنت أشعر بخيبة الأمل! لقد كانت ابنتي دومًا تسألني عن كل شيء تسمعه في المدرسة، ولا تقتنع إلا بما أقتنع به أنا أولاً. كانت دومًا تبدأ جملتها بقولها «هل صحيح يا أبي؟» فلماذا لم تفعل في تلك المرة، ولماذا أقوال تلك المعلمة بالذات؟ لماذا لم تشأ تصديقي بأن ما حدث لي كان بتأثير الحصى وليس للتدخين علاقة به؟ وسألت زوجتي، هل يتمسك الصغار بأقوال معلماتهم إلى هذه الدرجة إذا ما أحبوهن؟ فأجابتني بالإيجاب. لا بد أن ابنتي تحب معلمتها تلك إذًا لدرجة كبيرة حتى أصبح ما قالته لها بخصوص التبغ قانونًا ملزمًا لا مجال لتغييره. وبدأت أنتبه كيف كانت تتحدث بحب واندفاع عنها. فهي اليوم كانت ترتدي فستانًا أحمر جميلاً.. والبارحة ضحكت لها ومازحتها.. وبالأمس أعجبت جدًا بربطة شعرها وستشتري لابنتها واحدة مثلها. لقد كان عند ابنتي كل يوم شيء مهم يتعلق بمعلمتها!. وشعرت بأنني خسرت ابنتي وعلاقتي معها عند أول امتحان! ولكن لا.. لست ممن يرضون بأنصاف الحلول، ولن أقبل أن تضعني ابنتي في المرتبة الثانية بعد معلمتها، لن أسمح لتلك المعلمة التي خربت علاقتي بابنتي بالتحكم في حياتي لا هي ولا حتى ابنتي.. أبدًا.

وهدأت نفسي قليلاً بعد أن توصلت إلى حل يرضيني. صحيح أنني قررت ألا أكون معلمها ولكني سأبقى أباها.. أباها الذي واجبه رعايتها حتى تشب وتصبح قادرة على الطيران بأجنحة قوية عندما يحين موعد مغادرتها هذا العش. وبدأت أعيد التوازن إلى علاقتي بابنتي، فبدلاً من أن أجيب عن أسئلتها بشرح كاف واف وبتفصيل كان يصل إلى درجة الملل أحيانًا أو لا أجيبها أبدًا، أصبحت أجيبها باقتضاب وعلى قدر السؤال تمامًا دون زيادة أو إفاضة.

وجاءت إلى البيت مرة ملهوفة مستعجلة وكأن شبحًا يطاردها، وما إن رأتني حتى سألتني وقد نسيت نفسها: «هل صحيح يا أبي أن الحيتان تنتحر جماعات؟». وفتحت فمي لأشرح لها كل ما أعرفه عن هذه الظاهرة وقد نسيت مثلها، ثم تذكرت موقفي منها فلم أزد عن أن: أجبتها باقتضاب وفتور: «نعم». وعاد السؤال يلح علي ويلاحقني.. لماذا إذًا لم تسألني في تلك المرة عما سمعته عن التدخين؟. وعلمت فيما بعد أن صديقتها هي التي أخبرتها عن انتحار الحيتان بعد أن سمعت عنه بدورها من برنامج في التلفاز.

***

ومضت بنا الأيام والمشاعر المتضاربة تتخبطني، ولكنني بقيت متحفزًا في علاقتي بابنتي. وجاءت



العطلة، وذهبنا مع أصدقائنا إلى المصيف الهادئ نفسه الذي اعتدنا أن نقضي فيه إجازتنا الصيفية من كل عام. وفي يوم، وقد أوشكت العطلة أن تنتهي، ذهبت لزيارة أصحابي وحدي، بعد أن قررت زوجاتنا الخروج في نزهة وحدهن مع الأولاد. جلسنا في الحديقة الواسعة نتمتع بشمس العصر الدافئة. وتدرج بنا الحديث إلى الأولاد وتربيتهم، عندما نظر إليّ صديقي الذي أوصلني إلى المشفى في تلك الليلة البعيدة مبتسماً وهو يعرض عليّ علبة اللفائف بعد أن أخذ منها واحدة، وقال: «لو كانت ابنتك هنا لكانت تركت اللعب ووقفت ترقبك بحزن». وهز رأسه متابعاً وهو يقرب قداحته من فمه ليشعل لفافته: «تلك الصغيرة.. كم تحبك!». وفتحت فمي لأقول له «أعرف ذلك»، عندما ارتفع لهب القداحة أمامي فجأة، وترددت في ذهني كالصدى في اللحظة نفسها كلمته الأخيرة وكأنه لم يقل غيرها، وفهمت!.

فهمت سبب تمسك ابنتي بما قالته لها المعلمة.. فهمت لماذا اهتمت كثيراً بذلك الأمر وتعلقت به أكثر من أي شيء علّمتها إياه. لقد كان الأمر يتعلق بي أنا، أما تعاليمي لها فكانت تتعلق بها: كيف تكون فتاة مجدة جيدة.. كيف تكون فتاة مؤدبة.. ماذا عليها أن تفعل لتصبح في المستقبل الإنسانة التي تتمناها. كانت تعاليمي لمصلحتها هي فكانت تأخذ منها ما يريحها وتترك الباقي.. أما ما قالته معلمتها فكان لمصلحتي أنا، ولم تكن لتتركه وتريح نفسها مهما كان الثمن الذي تدفعه باهظاً، حتى لا تخسرني!. كانت تحبني أنا.. تحبني أنا أكثر!. إنها لا تملك أن تصدق معلمتها، فماذا لو كانت أخبرتها أن ما قالته لها المعلمة غير صحيح؟ إنها حياة أبيها التي تغامر بها لو كانت تسألني عن صحة أقوال المعلمة. ولم تشأ حتى التفكير في تلك المغامرة. لذلك لم تسأل.. لذلك حسمت الأمر من عندها واعتبرته منتهياً دونما استفهام! وبعد.. ألم يساعدها حظي العاثر الذي جعلني أصاب بنوبة الكلى في المرتين اللتين قمت فيهما بالتدخين أمامها على تأكيد مخاوفها؟!.

وبدأت الأفكار تتوالى سريعاً في ذهني. صحيح أنني كنت مقتنعاً تماماً أن ما حدث لي كان بتأثير الحصى وليس للتدخين علاقة به، ولكن، أتخاف ابنتي عليّ إلى هذه الدرجة ولا أخاف أنا عليها من أن تمضي بقية حياتها يتيمة دون أب يرعاها؟!. أيعقل أن تحبني ابنتي أكثر من حبي لها؟. أن تظهر لي مدى تمسكها بي ولا أظهر لها تمسكي بها؟. ونظرت إلى علبة الدخان في يدي وتمثلت لي فيها صورة ابنتي.. فتاة صغيرة حزينة تحب أباها وتخاف أن تفقده. وابتسمت دون وعي مني لتلك الصورة بحنان، كيف أبرهن لها حبي من جديد وتمسكي بها وحرصي عليها؟..

وأمسكت العلبة بكلتا يديّ.. تأملتها طويلاً وأنا أشعر برغبة في لفافة تبغ أتوّج بها سعادتي.. سعادتي بأصدقائي من حولي.. سعادتي بابنتي.. بعلاقتنا الجميلة التي كادت تضيع.. سعادتي بسؤالي الذي حصلت على جوابه أخيراً.. ثم أعدتها إلى صاحبي وأنا أقول: «معذرة يا صديقي.. لن أستطيع تدخين لفائف التبغ معكم بعد اليوم فهي لا تناسبني.. إنها تحرق أحشائي!».،



أعجاز

محمد حسن علوان

الرياض - السعودية



مدَّ يده ليعيد طرف قميصه الذي أفلت منه فجأة، وأخذت الريح تخفق به بقوة فشلت معها محاولاته الضعيفة، حتى قبض عليه أخيراً، وتلثم به، وأعاد يده إلى وضعها السابق مكتوفةً، وبدا كأصل شجرةٍ مائلٍ يتحرك ببطءٍ شديد في وجه الزمن..

تناهى لسمعه ثغاء الماشية الرائحة من مرعاها دون رعاة، شدَّ بيده على صرته الصغيرة التي قعقعت فيها أوانيه الحجرية، كانت الريح التي تهادي جسده بعنف تخفي ارتجافه العنيف وهو يغذُّ السير بقدمين من خوف.. وقلق، مثلما كان اللثام يخفي وجهه المصفر مثل أترجَّةٍ هالكة، كانت خطاه تلتقط نصيبها من الأرض بجهد، وكان رفعه لقدمه يحدث بصعوبة، وبدا له أن إعادتها مرةً أخرى إلى الأرض ليس بأقل من ذلك، كانت قدمه اليمنى تقع على أثر اليسرى في مشيه لفرط ما كانت تصارعه الريح، وهذه الصحراء الضخمة تنفخ في السفح بجبروت لا عهد له به، تحرضها تلك السماء التي احتقنت سواداً، وسخطاً..

اشتدت العاصفة، كاد يرديه سقفٌ منهارٌ لكوخٍ خشبي هوى من الجبل، راح يتعثر في السواقي المدمرة تحته.. يبدو أنه يعبر فوق حقل، كان الليل بهيماً، والريح تضاعف نفسها وكأنما تتزود بقوةٍ خرافيةٍ من وراء الدنيا، ظل يستجدي قدميه سيراً ضد طوفان الهواء المجدول، تمسك بمئزره الذي كاد يطير، انكفأ على نفسه، وتقوقع حتى بدا كشجيرةٍ بريةٍ تحصنت بالرمال، راح يزحف محاذياً التل الصغير مؤملاً نفسه بكهفٍ يتوارى فيه ريثما تنجلي العاصفة، لملم نفسه في شقٍ من التل، ولم ينج من الريح، كان لها يدٌ تتسلل إلى حيث يختبئ، وتكيل له صفعةً ما يطير لها فؤاده..

خرج في النهار، غاصت قدماه في الكثيب الذي تقاسمت السماء والأرض رماله، كانت الحبيبات المتوحشة ترتطم بوجهه، وتملأ منخريه، وتعمي عينيه، وتتابع الحصى الصغير على جبينه حتى سالت دماه واختلطت بالتراب والدموع.

مدَّ خطوةً يائسةً إلى أمامٍ لا يراه، تقوَّس قميصه عندما تجمعت فيه الريح فانتفخ بها، كانت غلطةً فادحة، اختل توازنه فسقط، وراحت العاصفة تدحرجه على الكثيب وهو يتشبث بحفنات الرمال، فجأةً فقد الأرض تحته، فتح عينيه الجريحتين بعذاب، امتلأ رعباً وهو يطير في السماء مثل عودٍ جاف، كان يحسُّ بابتعاد الأرض التي لا يراها تحته، اندفع بسرعة هائلة إلى الوراء، كان يتقلب على الريح مثل خرقة، والآلام تزرع نفسها كل لحظةٍ في عضوٍ جديد، راحت الجبال التي خلَّفها وراءه منذ يومين تتعاقب عليه مجدداً، ارتطم بصخرة، ثم بجذعٍ منشقٍ من جبل، لم يعد يشعر بذراعه اليمنى، وعندما تراءت له في غمرةٍ خاطفةٍ جدران قريته كان قد فقد كلتا ذراعيه، وراح يطير مضفوراً كعقال بعير، لمح بفزع تلك الأجساد المكومة في ساحة السوق، صرخ برعبه الهائل، واقترب بسرعته الخاطفة من صخرةٍ مقدسة، كان رأسه وصدره كل ما تبقى من جسده، حضرته الفكرة الأخيرة قبل أن تشق الصخرة رأسه..

كان يعلم أن هوداً.. على حق!.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٦)

شوال ١٤٢٣هـ / ديسمبر ٢٠٠٢م.

الفائز الأول: **فتحي جلال رمضان علي - الفيوم - مصر.**

الفائز الثاني: **سناء محمد علي رمضان - الزرقاء - الأردن.**

الفائز الثالث: **فوزية محمد عبدالله - صنعاء - اليمن.**

الفائز الرابع: **أنس ممدوح عبدالكريم - الكسوة - سورية.**

الفائز الخامس: **محمد دراع - الدار البيضاء - المغرب.**

الفائز السادس: **سناء ناصر العريفان - الجهراء - الكويت.**

الفائز السابع: **منال شوقي محمد محمود - البحيرة - مصر.**

الفائز الثامن: **أبو ذر الغفاري أحمد - حلب - سورية.**

حل مسابقة العدد (٣١٦)

١- إنما الوردُ من الشوك وما
يَنْبُتُ النرجس إلا من بصلْ

قائل البيت هو: ابن الوردي.

٢- الميكادو: إمبراطور اليابان.

٣- اللامية: بوذية التيبت ومنغوليا.

٤- اللاعقلانية: نظام يؤكد الحدس أو الغريزة أو الشعور أو الإيمان أكثر من تأكيده العقل.

٥- فلورا: إلهة الزهور في الميثولوجيا الرومانية.

أسئلة مسابقة العدد (٣١٩)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئِهِ   يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعُ
☐ زهير بن أبي سلمى   ☐ لبيد بن ربيعة.

(٢) آدم سميث:
☐ فيزيائي بريطاني، اشتهر بدراساته الخاصة بالديناميكا الحرارية.
☐ فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد أسكتلندي، يعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي.

(٣) المذهب الفيزيوقراطي:
☐ مذهب نشأ في فرنسا في القرن ١٨، وقال أصحابه بحرية الصناعة والتجارة، وبأن الأرض هي مصدر الثروة كلها
☐ مذهب إغريقي ينادي بالعودة إلى الطبيعة.

(٤) السوكر:
☐ وحدة النقد في نيبال   ☐ وحدة النقد في الإكوادور.

(٥) السَبَنْسَرية:
☐ نوع من الملابس القطنية الفاخرة اشتهرت في القرن التاسع عشر تنسب إلى إيرل أوف سبنسر
☐ فلسفة هربرت سبنسر القائلة بتطور الكون من البساطة النسبية إلى التعقيد النسبي.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

انفتاح النقد الشعري لسعد الحميدين وتعدد مقاربات د. أبو هيف

حسن إغلان
سطات - المغرب

يكتسى نقد الشعر، في حدود سياقنا الشعري والنقدي، صعوبة مزدوجة، أولها صعوبة المرجع النقدي المتعامل به مع النص الشعري، وثانيها الأفق التأويلي المخرج من النص الشعري ذاك.

إن هذه الصعوبة هي ما يجعل النص الشعري نصًا تأويليًا رَحْبا، ومتسعاً لمقاربات نقدية متعددة، ولأنه كذلك فهو ينفلت في أكثر الأحيان من قبضة الناقد، ليدخله في وهم المعنى، ويزيد الطين بلة ما يصاحب هذا الوهم من إمكانية التنميط الشعري .. ولعل الشعراء العارفين بذلك أكثر من غيرهم، كأنهم هم المبدعون له، وهو النص المنفلت من أعينهم في أكثر الأحيان توقداً، ولعل التجربة الشعرية الخليجية تثير أكثر من سؤال في خريطة الشعر العربي، لأنها - وببساطة - تحمل حدَّتها وثراءها، كأنها عود إلى بدء، ولي حدس كبير أسوة بما يقوله هذا الناقد أو الشاعر العربي في كون تلك التجربة الشعرية تروم ريادة الهامش الشعري العربي .. وهنا يشكل السؤال استفزازاً لسلطة الشعر والنقد معًا، لكونه الثاني، فقد دأب على تسليط الأضواء على الأسماء الكبيرة التي أفرزتها الحداثة الشعرية العربية .. أدونيس، وأمل دنقل، ومحمود درويش، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وعبدالوهاب البياتي، بالإضافة إلى تجربة شعراء الجنوب اللبناني .. في لحظة من لحظاتهم .. ومن ثم ظل الباقون يعيشون في الظل غير مهتم بهم، لكن وإن كان الاهتمام بهم فإنه يكون تحت مظلة الشعراء الكبار. إن هذه المعادلة، عبر الاهتمام بالنص الشعري في الأرخبيلات التي ينتج فيها، وإن كان هذا القلب وليد المهرجانات الشعرية والبيانات والمتابعة النقدية.. صحيح أن الجامعة كيان أكاديمي بحيث تساهم في كثير من الأحيان في وضع الأسماء الكبيرة بموضوع ضوء، مما دفع بها إلى

الحداثة في الشعر السعودي
قصيدة سعد الحميدين نموذجاً
عبدالله أبو هيف
الدار البيضاء/ بيروت: المركز الثقافي العربي، ط.١
٢٥٦ص، ٢٠٠٢م.

التألق بعيداً بعيداً، سواء على مستوى التدريس (البرامج الدراسية) التي أضحى فيها اسم الشاعر متداولاً عند أكبر عدد من الجمهور - أو عن طريق الغناء- أو عن طريق اليافطات الإعلامية (البصرية خاصة) بالإضافة إلى الكتب التي تضع اسم الشاعر موضوع الدراسة.

استثناء في المسار النقدي

إن قليلاً من الشعراء العرب الذين تفردوا بكتاب نقدي يرصد تجربتهم الشعرية - حسب ما أعرف - وإن كان الأمر يدخل وفق هذا الأفق، فإننا نضع القراء أمام كتاب جديد صدر في نهاية ٢٠٠٢م، عن المركز الثقافي العربي/ البيضاء- بيروت، للدكتور عبدالله أبو هيف. تحت عنوان «الحداثة في الشعر السعودي/ قصيدة سعد الحميدين نموذجاً».

إن دلالة العنوان واضحة لكونه عتبة لقراءة الكتاب، فهو يحدد مجاله، أي الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، بمعنى أنه يحدد مجال الدراسة والمكان بالضبط، بل يحدد ذلك له في إنتاج شعري واحد ووحيد، وهو للشاعر سعد الحميدين، فالكتاب إذن - خلال عتبته الأولى له أهمية بالغة في القلب الذي قلناه سابقاً، فهو من جهة يحمل هذا الاستثناء في المسار النقدي العربي لمجال الشعر لكونه يأخذ شاعراً غير مألوف بالنسبة إلى القارئ العربي لعدة أسباب بينها النشر.. وثانياً لأنه يدرس حداثة شعرية في الجزيرة العربية بما تعرفه هذه الحداثة من أخذ ورد في الأوساط الثقافية السعودية إثارة أخرى تضيف إلى الكتاب أهميته وجدته في تناوله لإحدى القامات البارزة في الشعر السعودي الحديث، بالإضافة إلى التقديم الذي خص به الدكتور عبدالله الغذامي الكتاب - ما هي دلالة التقديم؟ هل الناقد يحتاج إلى حجة رأيه من لدن الغذامي؟ أم أن العرض الثقافي في نشر الكتب سار في هذا الاتجاه؟ أم أن الغذامي حجّة ودليل في الأدب السعودي المعاصر؟ تتداخل هذه الأسئلة ونحن نقرأ الكتاب - الأسئلة الأولى التي تولدت عبر تلقينا لكتاب - نجوى

قصيدة الحميدين تعبر عن جماعة، عن الجيل الذي كابد المحن، وراهن على الحلم في كل تجلياته، وأهمها الإنسان وفلسطين.. باستثمار التراث العربي والشعبي والذات التي تذوب فيها كل هذه المحن


سعد الحميدين

الكتاب «الحداثة في الشعر السعودي: سعد الحميدين نموذجاً» (٢٥٨صفحة) من تقديم للدكتور الغذامي وتوطئة - وخمسة فصول بالإضافة إلى الخاتمة ..

نظرة شاملة

إن عناوين الفصول في قراءتها الأولية تظهر للقارئ رغبة الناقد في الإحاطة ببنية قصيدة الحميدين - ليس غير- وإن كنت أجد أبوابه الأولى خارج سياق الكتاب - بين (ص، ٣٦ و٤٤).

- يقدم الكتاب نظرة شاملة إلى التحول الذي وقع للقول الشعري والتحدي الذي راهنت به قصيدة الحداثة في مجتمع محافظ حتى النخاع، وهذا ما تعطيه لنا كتابات الدكتور عبدالله الغذامي أخيراً في جريدة «الرياض» - الخميس ٢٦/١٢/٢٠٠٢م، حول الحداثة .. وما حاول بسطه من موضوعات نقدية أخرى للدفاع عن قيمها ضد كل انغلاق متعنت في محافظته، وهذا ما يوضحه - في الصفحة ٩: «فالمسألة ليست مجرد ثورة فنية جمالية بل هي تحول ثقافي نوعي يمس التركيبة النفسية والتاريخية لأمة العرب في شبه جزيرتهم ومستودع عروبتهم» وهذا ما وقف عليه د. عبدالله أبو هيف في استقرائه لتجربة الحميدين الشعرية بوصفها تجربة في الحداثة في وسط الجو المحافظ والمغلق في محافظته. إن مفهوم الحداثة له وقع في المجال المحافظ، لذا ما كان للشاعر في البحث عن كلماته، ونحت تجربته، بل في الدفاع عما يكتب ضد كل اتهام، من قذف وسب وغير ذلك - إن الشاعر الحميدين يعدّه الكتاب أنا جماعية، ففي الحديث عنه تلتقي الأسماء من الجيل الأول في العربية السعودية إلى الأجيال الأخرى لقراء الحداثة...، وهذا ما يثيره الفصل الأول من هذا الكتاب، إنه أي الحميدين «أحد ممثلي الحداثة البارزين والمجسدين في قصيدتهم لهذه المسائل الشائكة والمعقدة» ص ١٥ يحاول الدكتور أبو هيف

تسليط أول ضوء على سعد الحميدين من خلال دائرة الحداثة في الشعر الخليجي، عامة، في الجدال والنقاش القائمين فيها، والكتابة النقدية التي قاربت أعماله منذ ثلاثة عقود خلت، ويمكن عدّ هذا الفصل خارج سياق الحداثة الشعرية في الخليج، وإن كان الأمر كذلك فإن شرطه يكون هنا تعليميًا بيداغوجيًا، وليس نقديًا بالمعنى الدقيق للكلمة..

ولكن حين التمعن فيها، فهي من جهة تعطينا مادة خصبة للنص في النشط الآخر من تجربتنا الشعرية العربية لأقف عند هذه الملاحظة، ولندخل حداثة شاعرنا:

- أين تتجلى هذه الحداثة ؟ وفق أي مقاربة يمكن الوصول إليها؟ وما الشروط التي أنتجت لنا جيلاً متمردًا على التقليد في كل كتاباته؟ أسئلة وأسئلة أخرى يحملها، وسيكشف عنها كتاب الدكتور أبو هيف.

صحيح أن تمرد جيل السبعينيات في العالم العربي ثقافيًا له ما يسوّغه تاريخيًا أهمها هزيمة حزيران ٦٧، وثورة باريس الطلابية ٦٨. والمد الثوري الفلسطيني وغيرها من الوقائع التي هزت كيان المثقف العربي آنذاك ... الشيء الذي جعل من هذا الأخير يضع القضايا الكبرى على عنقه، وفي صميم اهتماماته، قضية فلسطين، قضية الإنسان العربي، وقضية الحرب، وقضايا كبرى أخرى - إن هذا العنف المادي والرمزي الذي حمل متخيل الشاعر إلى أقصى درجات الصرامة مع ذاته ومع التراث والوضع العربي القائم ولذة الحلم، والأفق الذي ينتظره أدى دورين أساسيين، وهما من جانب وضع الخريطة الشعرية العربية رحبة وشاسعة بمعنى لم يعد حسب الدكتور الغذامي في ص ٨ «الشعر الحديث حدثًا عراقيًا أو مصريًا أو شاميًا. ولكنه جاء إلى عقر الدار ومن أبناء الدار»، إن التأمل في هذا القول يفيد الثورة التي أحدثها الهامش الشعري العربي في السعودية - البحرين - المغرب - تونس، وفرض على المركز الشعري -

يتحدث الشاعر الحميدين عن أناه في خطوة شبهها الناقد بـ«القناع» كأحد التيمات المتعارف عليها في الشعر الحديث والتي تشكل بالنسبة إليه كنه الفعل الدرامي


عبدالوهاب البيّاتي

بالمقابل - الإنصات إلى تجربته، تلك التجربة التي تشكل البعد الثاني ومن قولنا، وهو التفكير في القصيدة من حيث مبناها ومعناها وكل الآليات التي تحكمها، وهذا العنصر هو الذي رصده الدكتور أبو هيف من خلال قصيدة سعد الحميدين. على مستوى بناء القصيدة، البعد الدرامي، اللغة، الصورة .. الخ.

جيل المحن

- إن تطور القصيدة العربية رهن بقضاياها سواء الفكرية «الأيديولوجية»، أو الإبداعية الشكلانية، وإن كانت قراءة قصيدة الشاعر تأتي من كيفية قوله الشعر من حيث اللغة والبناء وهذا ما تشكله تجربة الحميدين كتجربة تجمع جيلاً، أو بلغة سوسيولوجية الأدب (غولدمان)، فتشكل أنا جماعية، أي أن قصيدة الحميدين فعلاً تعبير عن جماعة، عن الجيل الذي كابد المحن، وراهن على الحلم في كل تجلياته، وأهمها الإنسان وفلسطين..إلخ. باستثمار التراث العربي، والشعبي والذات التي تذوب فيها كل هذه المحن، إلا أن كثرة الانهيارات والانكسارات ترجع الشاعر عن هذه القضايا الكبرى مستمدًا إياها بالأرخبيلات المتجمدة في وعي الشاعر - يرصد الناقد هذه المثلات بطريقته، في الحديث عن الدراما بكل عناصرها - المونولوغ، الديالوغ. وباستثمار أنواع أدبية أقرب، كالسرد والمسرح والصورة السينمائية واللوحة التشكيلية.

يرى الدكتور أبوهيف في هذا الحوار المتعدد «تلتقي القصيدة الغنائية مع القصيدة الدراسية في مدى الانعتاق من ربقة الوجدان إلى رحابة النجوى «المونولوغ» لكونها الذاتي الخاص حواراً مع العام صراحة أو ضمنًا. وقد اختار الحميدين مبكراً حوار الذات مع ضغوط الواقع» ص ٥٧، بهذا المعنى وجد الناقد نفسه متفتحًا على مقاربات نقدية متعددة، السوسيولوجيا، اللسانيات، السيمولوجيا، الأسطورة، نظرية التلقي، سيميائيات النص الشعري،

نظرية المتخيل .. وغيرها من المقاربات، والعجيب في أمر ناقدنا أنه لا يصرح بها، وإذا كان يتوقف إلى بناء قراءةموضوعة، إن لم أقل موضوعاتية، تستجيب لأكثر القراءات ثراء وغنى، وهذا الانتقال الذي ينتقل به من موضوعة إلى أخرى، ومن نص شعري إلى آخر - ومن مقاربة نقدية ونظرية إلى أخرى إن هذا الانفتاح المتعدد الذي تعرفه قصيدة الحميدين هو ما يثير فينا فضول القارئ - حول وعي الناقد وتمثله لعملية انتقاله من نظرية إلى أخرى، ومن مجال معرفي إلى آخر، فهل هذا الانتقال نابع من لحظة الناقد أم من لحظة القصيدة؟ لأضع هذا السؤال منفتحاً على حائط سعد الحميدين إما لجهة الدراما كما يحددها بتفصيل الأستاذ أبو هيف مكانية لفهم طبيعة السؤال الضمني في عملية الانتقال من الشعر الغنائي إلى القصيدة الدرامية - هذا الانتقال «وإن كان داخل قصيدة بعينها» هو ما وضع الناقد من استجلاب مفهومات نقدية متعددة تتعدد بالأصوات التناص وغيرها، وتعد تقنية تعدد الأصوات أحد أهم عناصر درامية الشعر نشداناً لمسرحة التجربة، ولا سيما جوانب التأزم الذاتي اقتراباً من مفهوم الشعر الجيد أو الشعر العظيم» ص ٦٣.. إن دلالة تعدد الأصوات في مساءلة الذات مع كينونتها كفيل برسم بلاغة الصمت، والكتابة على الحائط كعلامة على الحضور، حضور الذات بكل ثقلها كسؤال انطولوجي، لا يستقيم في لغة الشعر إلا بجواره مع الآخر. قد يكون الآخر موضوعاً للذات أو قد يكون الآخر ذاتاً بلغة Hegel، هنا يستحضر الشاعر لغة عنترة - نموذج الزنجي، أو صورة القرمطي أو غيره من الأسماء:

«ولم يعترف

بأنك أنت

الأنا

تخوفت .. وجاوزت الخطوط»

هكذا يتحدث الشاعر الحميدين عن أناه في خطوة شبهها الناقد بـ«القناع» كأحد التيمات المتعارف عليها في الشعر الحديث والتي تشكل بالنسبة إليه كنه الفعل الدرامي - إن هذه التيمة Thime حسب الناقد تقنية تحدد مستويين وهما: « الأول هو المثاقفة والثاني نقيضه وهو إعادة واستعادة الموروث كعامة على تعيين الهوية وتحققها ...» ص ٧٦ ويعدّها وليدة الاتجاهات الفكرية الكبرى ..

تآلف وتخالف

لقد بينا سابقاً أن التفتح الذاتي تفرضه القصيدة الشعرية على أفق نقدي متعدد، في مستواها الأساسي، وفي مستوانا الآن يروم الأستاذ أبو هيف لمقاربة النص الشعري للحميدين عبر مقاربات متعددة في أفق إستراتيجي لمساءلة تفكيك نصه الشعري، وهنا ظهرت لنا جدة الناقد ولعل الجزء المخصص لتيمة التناص في شعر الحميدين يمكن أن يشكل كتاباً واحداً لتقارب د. أبو هيف موضوعة التناص من إطلالة بانورامية على منظري التناص، حديثاً، وإحالته إلى النقد العربي القديم وهي رؤية جديرة بالاهتمام، لكونها تضع الناقد في تفاعل دقيق مع أدواته النقدية، عبر تمثله للقديم والجديد، وكذلك عبر الاشتغال الذي يمارسه على النص الشعري .. لا يظهر من خلال هذه البانوراما عرض للمواقف والرؤى النقدية بل في اتخاذ الموقف ذاته من هذه النظرية أو تلك ومن ثم الخروج بتصور واضح للمفهوم، في علاقاته بالمفهومات المجاورة له .. والتي تضعه في أغلب الأحيان في وضعية ملتبسة على المستوى الأبستمولوجي .. إن هذا الوضوح المفهومي هو الذي يتبين في الجانب التطبيقي ما يأتي: «وقد تنوعت صلات التناص في شعر الحميدين في استدعائه للشخصيات أو في استخدامه للإحالات الثقافية، فيما أسماه نقاد آخرون تناص التآلف أو بتناص التخالف، وفي طرائق استدعاء الشخصيات جزءاً من نص أو صورة جزئية أومحوراً للنص، وفي حدود استعمال الإحالة الثقافية، إثارة القضية أو إيحاء الدلالة أو استظهار المناخ» ص ١٠٠ يبث الدكتور أبو هيف في قصيدة الحميدين من خلال

يقدم الكتاب نظرة شاملة إلى التحول الذي وقع للقول الشعري والتحدي الذي راهنت به قصيدة الحداثة في مجتمع محافظ



أحمد عبدالمعطي حجازي

عتباتها العنوان/ التصدير/ الإهداء/ القول المأثور/ المديح في القصيدة، إلا أن التوقف عند هذه العتبات سرعان ما كان عتبة في قوله المعني أنه لم يتوقف عندها، وأعتقد - مع الاعتذار لصاحب القراءة - لو توقفنا عند العتبات تلك لتم ضبط شعرية النص، في المستوى التخيلي منه، أي كشف المتخيّل الشعري المتقاطع مع السياسي والثقافي والرمزي والأخلاقي.. لذا تروم استدعاء الشخصيات والإحالات إلى كشف البنيات العميقة في الشعر العربي الحديث .. وهنا يكون التساؤل مشروعًا - في كيفية استدعاء هذا دون الآخر- استدعاء عنترة - بسيسو- طوقان - سيزيف - والمعري .. وغيرهم - لا يمكن أن نقول بشكل أو آخر هذه السيزيفية التي يعيشها هؤلاء بما فيهم القراء؟ ألا يعني هذا نوعًا من ضبط قزحي يربط هؤلاء في رؤيتهم للعالم - غير أن الدكتور أبو هيف لا يضعنا في موقع هذا السؤال ليجرنا في مساءلة البنية الشعرية، وفي هذا التناص المتعدد في قصيدة الحميدين يقول في ص ١١٢: «ويظهر في استعماله للمثل الشعبي تعدد مستويات التعبير والكنائية بالتدرج ..» سواء كان في استعارة أو تحريف بعض أجزائه أو «معارضته» أو ابتكار مواقف خاصة به. لا عجب إذن في هذه الإيضاحات التي يقدمها الناقد، ليس فقط على مستوى توضيح المفهوم والبحث عن تجلياته المعنوية في شعر الحميدين، بل في الكشف عن الوظائف التي يعلنها صراحة أو ضمنًا أي سواء في الرواية العامة للشاعر أو في البنية الشعرية. إن هذا الازدواج هو ما خلص إليه المؤلف بشكل تجعل قولة وايني الأعرج في ص ١٢٨ علامة من العلامات التي تضيء تجربة الشعر الحديث في السعودية «سعد الحميدين نموذجًا».

- لا تستقيم قراءة الشعر إلا بقراءة لغته أو لغاته، ولعل التخصيص الذي أقامه رولاند بارت في «لذة النص» كفيل بفتح مغالق النص الشعري - إن المتعة المفترضة هي التي

إن هذا الانفتاح المتعدد الذي تعرفه قصيدة الحميدين هو ما يثير فينا فضول القارئ - حول وعي الناقد وتمثله لعملية انتقاله من نظرية إلى أخرى



عبدالله الغذامي

تجعل الدكتور أبو هيف يبتعد عنها بحثًا في الأدوات التي تعينه على فتح مغالق نص الحميدين؛ ولأنه كما أسلفنا لا يهدأ إلا حين توضيح الالتباس الذي يعيشه المفهوم النقدي في التداول النقدي العربي، فإنه يفتح القصيدة من أبوابها بل من عتباتها التي تظل في غالب الأحيان معنية عند نقادها وقرائنا .. إن هذا التوقف هو ما وضع الناقد في مقام القارئ المنفلت من قراءته، أعني أنه لا يضع الحدود الجمركية في النص الشعري المراد قراءته، بل يفتحه نحو مغالق أخرى ومساحات تأويلية أخرى - ولعل حداثة أدواته النقدية ظاهرة في الموضوعات التي طرحها العنوان - التكرار - الانزياح - الغموض - الاحالة وغيرها- وكلها موضوعات تنم على الافق الذي فتحه الشاعر الحداثي، ولكن الكيفية التي قارب بها نص الحميدين - من خلال هذه الموضوعات تضع قارئها في موقع الكتابة على الحواشي كفعل يضعك مشاركًا عفويًا في متابعة نص الحميدين من أوله إلى آخره بنوع من التزحلق تارة والانضباط المفهومي تارة أخرى. إن الانتباه إلى العنوان كعتبة أولى في القراءة. هذا نص الحميدين اختراق للمتداول في قرائتنا الثقافية، ذلك أن العنوان ظل مغيباً في كثير من الأحيان من لدن القراء، لذا تشمل دلالات العنوان حسب د. أبو هيف «حقولاً مفهومية لشبكة علاقته مع العمل وعلى المستوى النصي» ص ١٣٧، فلا غرابة أن نتناسل من داخل هذه الموضوعة الأبعاد النصية في بنية النص ككل، وهو ما يعطي لنا رصد أهمها - كالتكرار والانزياح والغموض وغيرها من المفهومات التي تبين النص الشعري فاتحة إياه على مقاربات متعددة حسب الموضوع .. وهنا أطرح سؤالاً: ألا تشكل عناوين سعد الحميدين البعد المأساوي في القصيدة العربية الحديثة؟ ثم ألا يشكل الهوان إلى «تثمير سعد حميدين للغة إحالات ثقافية إشارية ودلالية عضدت رؤية الشاعر إلى العالم من منظورات مؤرقة بالإحساس المأساوي الفاجع بالحياة»، ص ١٨٤.

جابر بن حيان لم يؤلف أسرار الكيمياء

إيماءً إلى ما نشرته مجلة الفيصل في العدد (٢٩١) ضمن أسئلة مسابقة العدد ذاته، عن مؤلف كتاب «أسرار الكيمياء» هل هو جابر بن حيان أم الزهراوي، وإلى ما نشرته المجلة بالعدد (٢٩٤) بباب رسائلكم، تعليقًا لي عنوانه «أسرار الكيمياء... لمن؟» ص٥ من س٢٣: س٣٥.

ردت المجلة - التحرير - عليَّ بقولها: «نود إفادتكم أن كتاب الأعلام للزركليّ وهو من الكتب الموثوقة في ترجمة جابر بن حيان قد ذكر «أن أسرار الكيمياء» من بين كتبه أو الكتب المنسوبة إليه التي بين أيدينا».

أقول اليوم مستعينًا بالله:

جابر بن حيَّان لم يؤلف أسرار الكيمياء، والمسابقة مغلوطة لعدة أسباب، منها:

- حول الأعلام للزركلي ومدى توثيقه: أن الأستاذ خير الدين الزركلي - رحمه الله - توفي في غضون السبعينيات من القرن الماضي بعد حياة حافلة من البحث والتنقيب والجلَد، كي يدعم إثباته وتوثيقه، لمواد كتابه الموسوعي «الأعلام»؛ وهو بحق دائرة معارف معجمية عن الأعلام في كل فن ومؤلفاتهم، وأماكن وجودها، وصور من توقيعاتهم، وطبعات هذه الكتب ومخطوطاتها وأماكن وجودها، وهو بهذا الكتاب قدّم صنيعًا حسنًا سيظل هو الأشهر والأفضل من نواحٍ كثيرة وإضافة جادة إلى المكتبة العربية.

وعلم الببليوجرافيا بعيد في أنماطه عن صحة توثيق الكتاب إلى مؤلفه من عدمه أو ضرورة إيجاد الكتاب لمؤلفه من عدمه، فما هو إلا حصر معرفي رقمي فقط لخزائن الكتب وترجمة المؤلفين الأعلام ترجمة أمينة.

أمّا أن يثبت أو يسقط كتابًا تشكك أو سكت عنه القدماء الأوائل؛ أو من سرد مؤلفات أحدهم، ولم يرد ضمنها فهذا شيء آخر يحتاج إلى تفصيل في القول لا يتسع المقام له.

والأستاذ الزركلي بحاثة ضليع عاصر أساطين الراسخين في العلم من رواد عصره، وقد نشأ وتوفي خلال القرن الماضي، وهو شاهد على نهضة الشرق نحو الأفضل، وبصمته في الحياة هي كتابه «الأعلام» وهو ترسيخ قويم للقومية الفكرية والتراثية للإسلام بين أبناء المعمورة المهتمين بقضايا الحرف العربي، ومن صاروا من خدَمَته. وحينما ترجم المؤلف لجابر بن حيان شأنه شأن أيِّ كتاب تراجم آخر، سرد مؤلفات جابر الأصلية، ومن الكتب المنسوبة إلى جابر «أسرار الكيمياء»(١).

والمنسوب ليس تأليفًا أصليًا للمؤلف لأن الشكوك تُساوره من ناحية من ترجم له، ولم يرد ضمن مؤلفاته هذا الكتاب، فأسرار الكيمياء حينما أورده الزركلي ضمن المنسوب تكلم عن الأسرار، وذكر أنه منسوبٌ إليه. ولم يقل أسرار الكيمياء لأنه لم

يرد في كل كتب من ترجم لجابر من أهل الشرق أو الغرب، من ذكر أن لجابر كتاباً عنوانه «أسرار الكيمياء» وحتى من بين كتبه المنسوبة إليه؟.

وعليه فإن «الأعلام» شأنه شأن غيره من كتب التراجم التي ترجمت لجابر، وليس فيه من الامتياز غير أن الكتاب أقرب من غيره إلى إدراك ما فات غيره أحياناً، وليس في ذلك سبيل لأن يجزم - التحرير - بأنه من الكتب الموثوقة في ترجمة جابر، وهذا يعني أن من ترجم لجابر لم يكن موثوقاً، من غير الأعلام. وهذا بعيدٌ عن الصواب لأن من سبقوا الزركلي أعلام أُمناء وخاصة العرب وبعض المستشرقين.

ـ حول الفهرست لابن النديم وجابر: لم يَسْبَقْ ابنُ النديم في ترجمة جابر وسرد مؤلفاته بمؤلَّف علمي ببليوجرافي كالفهرست، ولذلك يعدّ الكتاب المعتمد في ترجمة جابر؛ لأنَ المؤلف رأى كتب جابر بعينيه وسمع من الثقات الذين شاهدوها. فجمع بين المعاصرة للحدث والرؤية للكتب، وهذا نادر، وحينما نتصفح أسماء كتب جابر في الصنعة عنده، نجد أنها كمٌّ كبير من الأسماء التي يصعب على أي كتاب من التراجم أن يحتويها. فما بالك بمجلد واحد كالفهرست؟! لقد احتواها ولكن لم يرد ما اسمه تدقيقاً «أسرار الكيمياء» وإنما ما ورد «كتاب الأسرار»، وكتاب «سِفْر الأسرار» و«كتاب السّرُ الغامض»(٢)، وحتى في قائمة رسائله لم يرد فيها هذا العنوان؟ وهو المعوّل الوحيد لكل من كتب جاداً عن جابر ومؤلفاته؛ وانظر إلى أي دائرة معارف حتى البريطانية منها، يمكنك مراجعتها تتكلم عن الكيمياء وجابر مستقاة المادة استنباطاً من الفهرست.

فهو همزة الاتصال بيننا وبين معرفة كُنْه القدماء وأصحاب العلوم والمعارف، وهو ثقة، ولولا ذلك لما شهد حياة تربو على الألف عام وما زال يَسُدُ ركناً عظيماً في المكتبة العربية.

ـ حول كشف الظنون وجابر: حينما تحدث حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن جابر ذكر له عدة مصادر ليس من بينها كتابنا - موضوع الحديث - من تصانيفه: أسرار البرانيات(٣)، وذكر في موضع آخر: الإرشاد في التعبير، أسرار البرانيات، الإيضاح في علم الكاف. وعد تسعة عشر مصنفاً على الإيجاز وقال عدد تصانيفه ٢٣٢ مصنفاً. ولم يذكر كتابنا ضمن القائمة وحاجي خليفة غنيٌ عن التعريف، لأن نثبت مدى جدّيته من عدمها في ترجمة الأعلام ومؤلفاتهم.

ـ حول من ترجم لجابر عموماً: لقد تعرض له الكثيرون بالدراسة والتحليل من المعاصرين الأعلام. كألدو ميلي، ود. زكي نجيب محمود، ود. شوقي ضيف وغيرهم كثير(٤) من أبناء القرن الماضي، وحينما نتصفح عملا موسوعياً كدائرة المعارف الإسلامية نجد أن التدقيق في شخصية جابر تدقيقاً أكاديمياً منهجياً بعيد عن اقتضاب الفكرة أو شرح الحدث. فيقول - مثلا - واضع مادة جابر: «ونُسبت لجابر طائفة من التواليف، وإذا أخذنا بكتاب السبعين فإن ما وجد منها باللاتينية لا يتفق مع تواليفه العربية، وهو يُنبئ عن مرحلة في علم الكيمياء أرقى لِما نلمسه في العربية، وفي مكتباتنا اثنان وعشرون مؤلفاً له بالعربية؛ وقد نسبت روايات الفرس لجابر مستكشفات هامة في الكيمياء مثل ماء الذهب وحامض الكبريت وحامض الأزوتيك ونترات الفضة، ولكن واحداً منها لمْ يذكر في الكتب العربية التي تحمل اسمه، وظلّ هذا شأنها إلى أن ظهرت في المؤلفات اللاتينية، التي ترجع إلى أواخر القرن الثالث عشر»(٥) ويقول في موضع آخر: «من بين

التواليف العربية رسائل تنسب إلى جابر بن حيان، .. إلا أن هذه الرسائل منحولة له، وقد وردت أقدم الشواهد على وجودها في مؤلفات صاحب الكيمياء ابن أُميْل (المتوفى نحو ٣٥٠ هـ) وفي كتب المزيَّف بن وحشية (المتوفى نحو سنة ٣٥٠هـ أيضاً..»(٦).

[ولا يمكن أن تكون هذه المجموعة الضخمة من الكتب التي تشمل جميع علوم الأوائل التي نُقلت إلى العالم الإسلامي لمؤلف واحد، وأن ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وتدل جميع الدلائل على أن مجموع هذه الكتب قد أُلّف في آخر القرن الثالث ومُستهل القرن الرابع الهجريين](٧).

[وقد ذكر الفيلسوف المنطقي المتوفى نحو سنة ٣٧٠هـ في «التعليقات» ما مضمونه: «أنه كان ذا صلة شخصية بمؤلف الرسائل المنسوبة إلى جابر وأن اسم هذا الرجل: الحسن بن النَكدْ المَوْصليّ، وما من سبب للشك في صحة هذه الرواية حتى لو ثبت أن رسائل جابر ليست لمؤلف واحد، أو أن مجموع تواليفه قد مرّ بمراحل من التطور طويلة قبل أن تثبت على صورتها الحالية، ولعلها ختمت حوالي عام ٣٣٠هـ، ..، على أن الرسائل المشهورة المنسوبة إلى جابر «جابر ملك العرب» Geber Relx Arabum، إنما هي نشرة متأخرة لمؤلف لاتيني عاش في القرن الثالث عشر الميلادى»(٨). وهذا حديث د. بول كراوس عن جابر. أما البحاثة كـ: كارل بروكلمان فيقول: «ويقول أبو سُليمان المنطقي (المتوفى في حدود سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م): إنه عرف شخصيًا مؤلف المصنفات المنسوبة إلى جابر، أي الذي قام بجمعها، وهو الحسن بن النكد الموصلي»(٩) ولم يذكر بروكلمان ما اسمه أسرار الكيمياء، ضمن سرد أو قائمة مؤلفات جابر، غير أنه ذكر عنوانين تحت اسم الأسرار وهما: «كتاب هتك الأسرار عن حجر الحكماء»، و«كتاب سر الأسرار»(١٠).

ومن المرجح أن «سر الأسرار» أو «هتك الأسرار»، أو«أسرار البرانيات» أو غيرها تحت مسمى تقديمي واحد: الأسرار، لكن لم يأت تحقيقًا اسم كتابنا عنوان الحديث، وعليه فإن المشكوك فيه من تراث جابر بن حيان أكثر من المُثبت فهو قليل، وقد دارت حوارات وشكوك حول حتى أسماء كتب جابر فما بالنا بجابر نفسه الذي شكك في وجوده أصلاً بعض الباحثين المحدثين بناءً على شك بدأه القدماء حتى انبرى ابن النديم يرد عليهم.

ولم يثبت قطعًا أن الكتاب من المؤلفات المشهورة لجابر، أو أنه الكتاب الذي يعرف به جابر إذا ذكر دون ذكر جابر أو إن ذكر جابر فما هو أشهر مؤلف له، وخلافه، وإنما إذا ذكر واحد كأبي بكر الرازي مثلا يُقدّم الحاوي لأنه أشهر مؤلفاته. وكذلك ابن سينا، يقدّم بـ القانون في الطب أو الشفاء، وخلافه.

يقول الأستاذ عبدالسلام هارون: «وليس بالأمر الهيّن أن نؤمن بصحة نسبة أي كتاب كان إلى مؤلفه، ولا سيما الكتب الخاملة التي ليست لها شهرة، فيجب أن تعرض هذه النسبة على فهارس المكتبات والمؤلفات الكتبية، وكتب التراجم لنستمد منها اليقين أن هذا الكتاب صحيح الانتساب»(١١). وهو محقّق أصيل حقّق وألف ما يربو على الـ ١٢١ كتابًا، أبلى بلاءً حسنًا في تحقيق النصوص ونشرها.

وهذا هو المنهج العلمي لمسألة صحة نسبة الكتب إلى مؤلفيها من عدمها فلا بد من التدقيق الأمثل والتجول بين رحيق سطور فهارس المكتبات والمؤلفات المكتبية؛ وهذا بعيد عن كتابنا هذا.

كذلك حينما أوردت المجلة السؤال ضمن أسئلة المسابقة رسّخت في أذهان الكثيرين أن الكتاب

لجابر وكافأت من قال ذلك، وهذا بعيدٌ عن الصواب.

كذلك الزهراوي معروف بطبِّه، فلم يؤلف في الكيمياء، فعلى من سيقع الاختيار إذا كان ثنائيًا؟ بالتأكيد على الشخص الآخر، وهو جابر!.

وجابر بريء من تهمة إلحاق أسرار الكيمياء به. كذلك إذا كان منسوبًا إليه كما ذكرتم فلا يحق أن ندرجه ضمن الأسئلة إلا إذا كان مشهودًا بوجوده أصلاً، أو من ذكر أن له هذا الكتاب. وهذا لم يتوافر مطلقًا لهذا الكتاب.

عمومًا: أتمنى ألا يقع السيد معدّ المسابقة في خطأ كهذا أو سهو كهذا، مرة أخرى. فهذا مدعاة لتوثيق كتاب لم يؤلفه من نُسب إليه؟! وهذا بعيدٌ عن المنهج العلمي الحق في ذكر الأعلام وأشهر مؤلفاتهم.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.

طلال السعيد السيد المنفي
كفر الشيخ ـ مصر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك بالتعليق على ما ينشر في المجلة، وبخصوص ردك، فإن هناك بعض ما يمكن أن نعلق به، ومن ذلك أنك أوردت أن الزركلي ذكر في ما نسب إلى جابر بن حيان كتاب «الأسرار»، ولم يذكر «أسرار الكيمياء»، والحق أنه ذكره باسمه «أسرار الكيمياء».

وتقول إن أوثق الكتب التي يمكن الأخذ بما فيها هو «الفهرست» لابن النديم، وإنه لم يذكر «أسرار الكيمياء»، وإنما ذكر كتاب «الأسرار»، وكتاب «سفر الأسرار»، وكتاب «السر الغامض».

وما أوردته لا ينفي نسبة الكتاب إلى جابر، لأنهم كثيرًا ما يختصرون اسم الكتاب لشهرته فيقولون مثلاً « الإحياء للغزالي»، وهو إحياء علوم الدين، ويذكرون لابن هشام كتاب «المغني»، وهو مغني «اللبيب عن كتب الأعاريب».

وذكر صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة في مؤلفات جابر: أسرار الكيمياء أو كشف الأسرار أو هتك الأسرار، وقال: لم يطبع من هذا الكتاب إلا ترجمات باللغة اللاتينية، وطبع قسم منه باللغة العربية ضمن كتاب الأستاذ برتولا المسمى (ماتر جمتة: الكيمياء في القرون الوسطى)، وطبع في باريس عام ١٨٩٣م، والاسم كما ورد يكاد ينفي كل شك في أن ما ذكره ابن النديم في الفهرست إنما ينطبق على أسرار الكيمياء.

وما مضى كله يجنح إلى إثبات نسبة الكتاب إلى جابر بن حيان. وقد اكتفيت بنفي هذا النسب، من غير أن تأتي بإثبات على نسبة الكتاب إلى أي مؤلف آخر. ومن قواعد الأصول: من حفظ حجّة على من لم يحفظ.. ونكرر لك الشكر ونأمل أن يكون في ردكم وفي تعقيب المجلة ما ينفع القارئ الكريم.

الهوامش

١ـ الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، مادة «جابر بن حيان وآثاره».

٢ـ الفهرست، إبراهيم رمضان، ص ٤٣٦: ٤٣٨، وطبعة رضا عَبُد ٦٨٠ وما بعدها، طهران.

٣ـ البرانيات، ليس لها وجود في معاجم اللغة بالصورة التي يظن بعض الناس أنها متعلقة بالكيمياء، وإنما ورد مثلا في المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج٢،ب، برر ـ ص ٢١٨ «البراني والبرانية»: العلانية ـ كأن جابر يقصد أسرار العلانيات، ط أولى ١٤٠٢هـ.

٤ـ براجع في هذا: تاريخ العلوم عند العرب لألدو ميبلي ٩٩، وجابر بن حيان د. زكي نجيب محمود، ص١٩، سلسلة أعلام العرب والعصر العباسي الأول د. شوقي ضيف ص ١١٦، دار المعارف.

٥ـ دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة، ج١٠/٣٦٥، دار الشعب بالقاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م مادة جابر بقلم (كارّاده فو).

٦ـ المصدر السابق، ص٣٦٦ المادة نفسها. بول كراوس.

٧ـ نفسه ص٣٦٧.

٨ـ نفسه، ص٣٦٩: ٣٧٠.

٩ـ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ج٤، ص ٣٠٧، ٣٠٨، المعارف، ١٩٨٣م، ونفسه القسم الثاني، ص٧٢١، من طبعة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.

١٠ـ المصدر السابق، ج٤، ص٣١٢، المعارف، ق٢، ص٧٢١، الهيئة.

١١ـ تحقيق النصوص ونشرها، عبدالسلام هارون، ١٤٠٨هـ ص٤٥، مكتبة السنة بالقاهرة، ١٤١٠هـ.

الخطاط الياباني الدكتور فؤاد هوندا

يعجبني قول ابن مقلة: الخط هندسة روحانية بآلة بشرية

أجراه: مازن مطبقاني
الرياض - السعودية

قبل شهر تقريباً أو يزيد زار الرياض الخطاط والأستاذ الجامعي الدكتور فؤاد هوندا من اليابان، فأقام معرضًا للوحاته، وألقى محاضرة حول تجربته مع اللغة العربية تعلمًا وتعليمًا، وتجربته مع الخط العربي، وقد رأت الفيصل الفرصة مناسبة لتجري معه الحوار الآتي حول تجربته في تعلم اللغة العربية، والخط العربي.



سورة الفاتحة بخط الثلث

والدكتور فؤاد يتميز - بوصفه خطاطًا عالميًا - بأنه درس على كبار الخطاطين في العالم الإسلامي، وحصل على إجازات في الخط، كما أنه يقوم بتدريس اللغة العربية في إحدى الجامعات اليابانية، ويقوم أيضاً بتدريس الخط العربي في معاهد متخصصة.

وقد قال عنه صديقه وزميله في مهنة الخط الدكتور عزيز الدين أحمد الخطاط والكاتب وناقد الخط: إن من أبرز ميزات فؤاد أنه ملتزم إلى حد بعيد جداً قواعد الخط العربي، ولا يفعل كما يفعل بعضهم حينما يكسرون القواعد بحجة الإبداع. وهو مخلص في التزامه أدق التفاصيل. وقد استطاع أن يمزج بين التراث الياباني والتراث العربي الإسلامي في خطوطه ولوحاته. ويرى عزيز الدين أن العلاقة بين الخطاط والنص ذات أهمية بالغة؛ فالعلاقة الحميمية بين الخطاط والنص هي ما يظهر في خطوط فؤاد.



الأمير تركي الفيصل في حوار مع الخطاط هوندا بعد افتتاح سموه للمعرض الذي نظمه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

*** أستاذ فؤاد هل لكم أن تحدثونا متى بدأت تعلّم اللغة العربية؟ ولماذا اخترتم هذه اللغة دون غيرها من اللغات؟**

- في بداية السبعينيات من القرن الماضي عندما التحقت بالمرحلة الجامعية كان يجب عليّ أن أختار لغة أجنبية من بين لغات أجنبية رئيسة في العالم، واخترت اللغة العربية؛ لأنه كان عندي اهتمام شامل بدول الشرق الأوسط، وخاصة الدول ذات الحضارة القديمة، مثل مصر، وقد اخترت اللغة العربية لسبب بسيط؛ لأنهم يتكلمون اللغة العربية في مصر . وبدأت تعلم اللغة العربية عندما التحقت بجامعة طوكيو للدراسات الأجنبية في قسم اللغة العربية.

*** هل كان أساتذتك في اللغة العربية يابانيين أم تعلمت على أيدي أساتذة عرب؟**

- في قسم اللغة العربية كان هناك أساتذة يابانيون، وأستاذ أجنبي من البلاد العربية اسمه الدكتور الصمني مرسل من الحكومة المصرية.

*** بعد ذلك أنت عملت في المملكة، وعملت في عدة مدن، فماذا تتذكر من هذه المرحلة؛ وكم سنة قضيت في المملكة، وأين عشت فيها، وهل لديك ذكريات عن هذه المرحلة؟**

- نعم بعد التخرج في الجامعة لمدة ثلاث سنوات درست اللغة العربية بمفردي وبالاستعانة ببعض كتب القواعد العربية، وفي ذلك الوقت لم تسمح الظروف لي بأن أسافر إلى البلاد العربية خاصة مصر بسبب وجود الحرب بين إسرائيل ومصر، وفي هذه الحرب منعت الحكومة المصرية من دعوة طلبة أجانب إلى البلاد للدراسة؛ لهذا السبب اضطررت إلى الدراسة بنفسي في

اليابان، ولكن بعد مرور ما يقرب من ثلاث سنوات أتيحت لي الفرصة أن أسافر إلى السعودية لأعمل مترجمًا عربي - ياباني - إنجليزي لتنفيذ أحد مشروعات التنمية في المملكة وهو المشروع الذي يرمي إلى وضع خرائط أساسية للمملكة، واشتركت في فرقة ميدانية لتنفيذ هذا المشروع. وأقمت في البداية في جدة، وأيضاً في الرياض، وغيرها من المدن؛ وذلك للقيام بعمل تحريات ميدانية لتنفيذ هذا المشروع، وزرت المناطق الشمالية والجنوبية، زرت معظم أجزاء المملكة العربية، وزرت إلى جانب المملكة القاهرة ، وبيروت، وسورية، وتونس، كما زرت بعض الدول الخليجية مثل: الكويت، وعُمان، واليمن.

*** في أثناء عملكم برسم الخرائط كنتم تسألون رجال البادية في الصحاري وفي الجبال عن أسماء الأماكن، فهل كان هناك صعوبة في فهم الحديث من هؤلاء؟ وهل هناك مواقف طريفة في أخذ الأسماء منهم؟**

- نعم طبعًا كان هنا صعوبة قصوى بالنسبة إلينا كأجانب على القيام بهذه الدراسات الميدانية، التي تتطلب التعامل مع ناس محليين مثل البدو الرحل الذين يعيشون في مناطق صحراوية، وبالطبع يتكلمون بلهجات محلية لم نستطع فهم كلامهم إلا نادراً مما حال دون القيام بالدراسات الميدانية بالنجاح التام، ولكن مع مرور الوقت تعودنا على هذه اللهجات المتنوعة، وأصبحنا قادرين على فهم هذه اللهجات إلى حد ما حتى تمكنا من القيام بالعمليات الميدانية.

*** في أثناء عملك التقيت كثيرًا من الأشخاص في جدة والرياض والمناطق الشمالية، فهل ما زلت تتذكر بعض أسماء هؤلاء، ومن كان لكم معهم مودة وصلة خاصة؟**

- نعم حتى الآن أتذكر بعض أصدقائي من السعوديين الذين التقيتهم خلال وجودي في المملكة مثل الموظفين الذين كانوا يعملون في وزارة البترول والثروة المعدنية، والسائقين الذين وظفناهم عند القيام بالعمليات الميدانية. من الممكن أن أذكر أسماء منهم سعد عتيق وهو موظف في وزارة البترول، وأذكر كذلك اثنين هما بندر وذياب وكانا سائقين يرافقاننا طوال إقامتنا في أثناء العمليات الميدانية. كانت بيني



الآيات في لوحات هوندا تمثل عظمة الخالق سبحانه وتعالى في خلق الكون

وبينهم علاقات وثيقة؛ لأننا كنا نقضي كل أوقاتنا معاً.

*** متى بدأ اهتمامك بالدين الإسلامي، وما الخطوات التي مررت بها قبل أن تسلم وحتى أسلمت؟**

- في أثناء إقامتي أصبح لدي أصدقاء سعوديون كثيرون معظمهم كان يريد أن أسلم، ولكن حين ذاك يمكن القول: إنني لم يكن لي معرفة كافية بالديانة الإسلامية. وبادرت بقراءة القرآن الكريم وكتب أخرى دينية، وكنت أريد أن أعمق معرفتي بدين الإسلام، وبعد عودتي إلى اليابان في أوائل الثمانينيات قررت أن أسلم واقتنعت أن أكون مسلماً، وأعلنت إسلامي في المركز الإسلامي الياباني.

*** هل كان لك شيخ تعلمت عنه الإسلام والصلاة والصيام والزكاة؟**

- نعم عندما كنت في السعودية أصدقائي علموني كيفية أداء الصلاة، وعادات المسلمين، مثل الصيام في شهر رمضان، ومعرفة بقية الفرائض المفروضة على المسلمين.

*** كيف تقبلت أسرتك وعملك دخولك الإسلام؟**

- في الحقيقة زوجتي وأفراد عائلتي لم يسلموا حتى الآن؛ لأنهم لا يفهمون اللغة العربية. وأنا كنت أحاول أن أقنعهم بأن يكونوا مسلمين، ولكن حتى الآن يؤسفني أنهم لا يعتنقون الإسلام.

الحياة في المملكة قادت هوندا إلى الإسلام وكذلك إلى الخط العربي

أجراه: مازن مطبقاني



*** متى بدأت بتدريس اللغة العربية وأصبحت أستاذاً؟**

ـ عندما رجعت من السعودية وغيرها من البلدان العربية كنت أعمل موظفاً في شركة باسفك Pacific، التي كانت تتعاقد مع وزارة البترول والثروة المعدنية، ولكن مع انتهاء هذا المشروع كان يجب عليّ أن أعمل موظفاً عادياً في مكتب تابع للشركة، وبدأت أشعر بالملل والتعب من العيش معيشة روتينية كموظف عادي في الشركة، وذات يوم قررت أن أترك الشركة، وأكون مدرساً للغة العربية؛ وذلك باستغلال خبرتي التي اكتسبتها من خلال الأعمال والمعيشة في المملكة وغيرها من الدول العربية.

*** ذكرت أن هناك صعوبات في تعلم اللغة العربية، وأن العربية ليست سهلة التعلم، فهل الأمر يتعلق بمن يدرس أو بالكتب أو عدم وجود الكتب أو أن اللغة نفسها صعبة؟**



لوحة تشكيلية ينسجم فيها الخط (ديواني جلي) مع اللون والخلفية

ـ أعتقد أن كل لغة فيها صعوبة وسهولة، بالنسبة إلى اللغة العربية أعتقد أن لها صعوبة مثل سائر اللغات الأجنبية. وبالنسبة إلى اليابانيين عندما بدأت أدرس اللغة العربية شعرت أن مصادر التدريس كانت ناقصة، ولم نجد كتباً مناسبة لتدريس اللغة العربية مكتوبة باللغة اليابانية. وكان يجب علينا أن نعتمد على كتب مترجمة من اللغات الإنجليزية والفرنسية. ولم يكن مثل هذه الكتب مجرد كتب نحو وقواعد. ولذلك قررت أن أكتب بنفسي كتاباً يتناسب مع اليابانيين، فعندما نتعلم اللغات الأجنبية يجب علينا الفهم، ومن دون الفهم الكامل لن نستطيع أن نستخدم هذه اللغة الأجنبية، مثلاً معظم اليابانيين لا يجيدون تكلم اللغة الإنجليزية حتى ولو تعلمناها لمدة أكثر من خمس سنوات أو منذ المرحلة الإعدادية، فنحن نشعر دائماً بالصعوبة في استخدام

اللغـة الإنجليـزية. وهذا يدل على أن اليابـانـيين ـ بشكل عـام ـ ليس لديهم قـدرة خـاصـة على اسـتـخـدام اللغـات الأجنبية. لهذا السبب فكرت في أنسب الوسائل، وأنسب طريقـة تتناسب وتنسجم مع ميل اليابانيين، وبدأت في كتابة كتاب مستقل متكون من خمسة عشر جزءاً يحتوي على صور ملتقطة من منازل بدول عربية وأشخاص عـرب. وطريقـتـي في تأليف الكتـاب أن أدخل أكثر عـدد من الصور الفـوتغـرافـيـة التي التقطتها خلال زياراتي وإقـامـتي في الدول العربية، وحتى أوضح للشعب الياباني مختلف ملامح الدول العربية التي تمتد جغرافياً من العـراق حـتى المغـرب ومن سورية شمالاً حتى أقصى الجنوب في اليمن قمت بزيارة معظم البلاد العربية، ومكثت فيها، والتـقطت عـدة صـور فـوتوغـرافـية وحـاولت إدخـال هذه الصـور في الكتب لتـدريس اللغـة العربية، وأيضاً حـاولت أن أدخل مـعلومـات ثقافية مثل المأكولات، والملابس والمسـاكن وأضـفت أيضـاً معلومات، مثلاً: أغنيات عربية مثل أغنية أبجدية الحـروف العـربيـة، وأغنيات مشهورة مثل يا مصطفى يا مصطفى وأغنيـات الأطـفـال للبرامج التعليمية التي تتم إذاعـتـهـا في البلاد



آيات من سورة العلق بخط الثلث


سورة النور على شكل مجرة تسبح في الفضاء

العربية؛ لأن هذه معلومات ثقافية لابد أن تساعد الشعب الياباني على فهم البلاد العربية.

*** متى بدأ اهتمامك بالخط العربي وحدثنا عن اهتمام الشعب الياباني بالخط العربي وأرجو أن تزودنا ببعض النماذج للخطوط اليابانية حتى يتعرف القارئ العربي إلى الاهتمام بالخط.؟**

ـ طبعاً في اليابان هناك تقاليد قديمة للخط الياباني،ومعظم اليابانيين يجيدون كتابة الخطوط اليابانية باستخدام الريشة، ونحن نلتحق بمعاهد خاصة بتدريس الخطوط اليابانية منذ الصغر، ونتعلم فنون كتابة الخطوط اليابانية. عندما رأيت المخطوطات العربية لم أشعر بأن الخطوط العربية مختلفة عن الخطوط اليابانية من حيث القيم الجمالية التي تمتلك كلا النوعين من الخطوط. بل شعرت أن هناك نقطة مشتركة بين خطين مختلفين، عندما كنت أعيش في السعودية أتيح لي أن أقابل بعض الخطاطين السعوديين الذين كانوا يعملون في وزارة البترول والثروة المعدنية كالخطاطين الذين يكتبون الأسماء الجغرافية للأماكن، ورأيت عن كثب وهم يكتبون باستخدام القصب أسماء وعناوين، وتعجبت من جمال الخطوط العربية حتى جعلني أطلب من أحدهم أن يعلمني القواعد الأساسية للخط العربي، ووافق على اقتراحي، وبدأت بالتعلم.

*** هل تذكر اسم هذا الشخص؟**

ـ نعم أذكره اسمه سعد عتيق، كان يعمل في مكتب المساحات الأرضية والجوية التابع لوزارة البترول بالرياض. منذ ذلك الحين اشتد اهتمامي بالخط العربي وحاولت أن أرى المخطوطات التي كانت موجودة حولنا مثل إعلانات الشوارع وعناوين الكتب والمجلات والصحف مما جعلني أتعلم الخط العربي.

*** في نظرك ما أهم مزايا الخط العربي؟**

ـ نعم عندما نوازن بين الخط العربي والياباني هنا اختلاف واضح بين أشكال الخطوط التي ترسم بالأدوات، أما الخط الياباني فيكتب بريشة مصنوعة من شعر مجموعة من الحيوانات مثل: الحصان، ولكن، كما تعرفون، الخط العربي تكتب خطوطه بالقصب أو

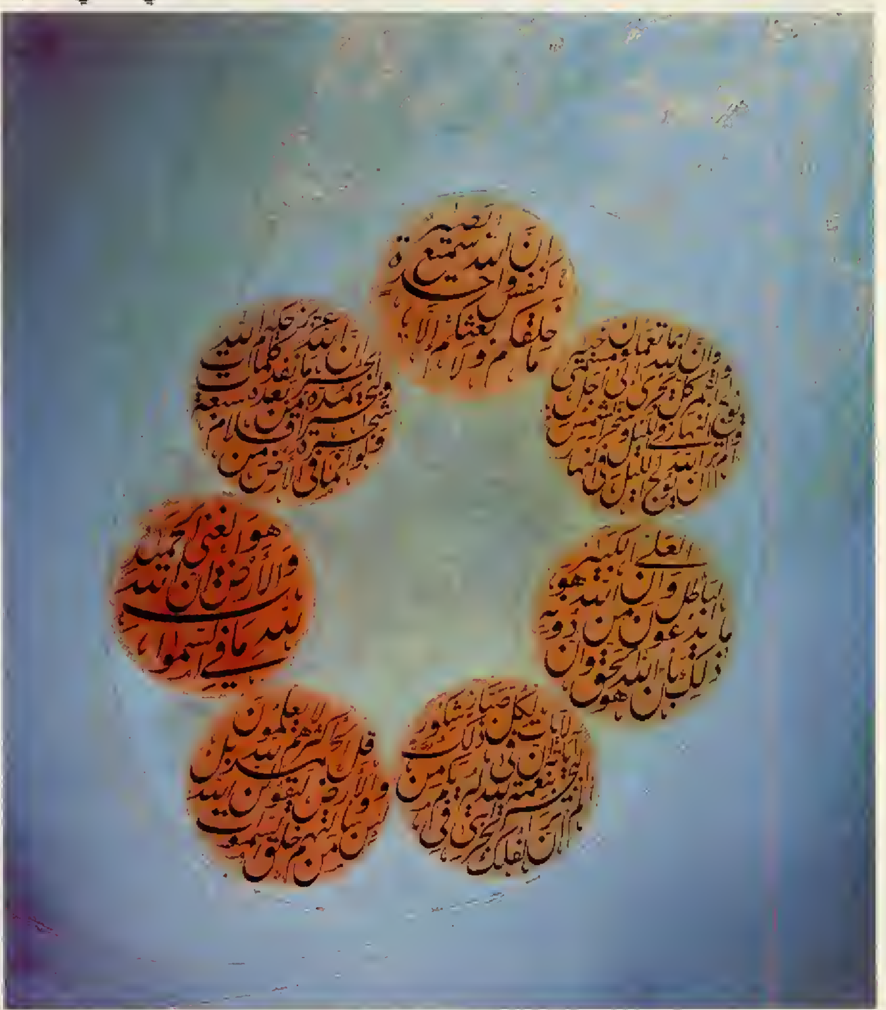
البوصة أو الخيزران، ومن ثم تظهر نتيجة الكتابة مختلفة تمامًا بينهما. ويمكن القول: إن نتيجة كتابة الحروف اليابانية هي مجموعة من النقاط من الريشة تتجمع حتى تكون دائرة، أما بالنسبة إلى الخطوط العربية فهي تكتب بالقصب وهي عبارة عن خط يكتب مثل السكين، وهناك اختلاف شديد بين الدائرة والخط.

*** اخترت عدداً من الآيات في لوحاتك، لماذا اخترت هذه الآيات دون غيرها؟**

ـ عندما أقرأ القرآن ألاحظ بعض الآيات القرآنية التي تتضمن وصف الطبيعة، وأنا أعجبتني مثل هذه الآيات التي تتناول الطبيعة مثل «الله نور السموات والأرض» وبعد قراءه هذه الآيات أريد أن أكوّن لوحة، وأعبر عن انطباعي تجاه هذه الآية، وبعد التفكير طويلاً، وعندما أتوصل إلى نتيجة ويتضح الشكل في ذهني أبدأ في رسم الأشكال التي تتوارد في ذهني طويلاً باستخدام الألوان والتصميم، وأنا بعد ذلك أريد إدخال الخط العربي لتلك الآية القرآنية داخل الأشكال التي رسمت.

*** هل هناك تناسب بين معنى الآية والشكل الذي كتبت فيه؟**

ـ نعم طبعًا أنا أريد أن أصمم الأشكال حتى تنسجم، وحتى ينعكس معنى الآيات القرآنية على أشكالها، مثلاً سورة النور التي رسمت على شكل حلزوني وعلى شكل مجرة تسبح في وسط الفضاء، هذا الشكل يمثل نور الله اللانهائي، يعني الخلود.



هوندا وإبداع بخط فارسي (تعليق، نستعليق)

*** من بين لوحاتك المتعددة هل لك لوحة تحبها أكثر من غيرها، أي قريبة من نفسك؟**

ـ أنا شخصيًا أفضل اللوحة ذات الشكل الحلزوني في آية النور، وأيضاً أفضل اللوحة التي خلفيتها مناظر صحراوية، أرى كل الطعوس الصفراء. أنا كتبت آيات قرآنية حتى تمتلئ كل الطعوس الصحراوية بآيات قرآنية، استخدمت سورة لقمان على اللوحة بالكامل. يمكن القول: إن لوحة سورة النور ولوحة ذات خلفية مناظر صحراوية هما اللوحتان المفضلتان لدي.

*** في أثناء عملك في شركة باسفيك تجولت في المملكة، وأعجبتك الصحراء والرمال، وأخذت معك إلى اليابان بعض الرمل فهل هناك فرق بين الرمال في صحراء النفوذ والرمال في الربع الخالي؟**



لوحة تشكيلية تزينها آيات من كتاب الله كتبت بخط (ديواني جلي)

ـ أخذت عينات من الرمال عندما زرت الصحراء، مثلاً عندما زرت الصحراء في شمال إفريقية (الصحراء الكبرى) التقطت كمية صغيرة، ولاحظت أن لونها أقل حمرة بالموازنة مع تلك الموجودة بشبه الجزيرة العربية، ولاحظت الرمال في الربع الخالي، وأخذت الرمال الموجودة على السطح، ولاحظت أن الحبة الواحدة معدل دائرتها مليمتر واحد وشفافة وجميلة جداً، ولونها أكثر حمرة من رمال الصحراء الكبرى هذا يلفت الانتباه وأنا كنت في النفوذ والربع الخالي ومناطق صحراوية أخرى لكن المناظر الصحراوية الطبيعية احتويت بجمال الطبيعة، وتركت انطباعاً في ذهني، ومازالت تبقى في ذهني ذكريات.

*** هل لديك تلاميذ يتعلمون الخط، وهل تتوقع أن يظهر فؤاد آخر في اليابان؟**

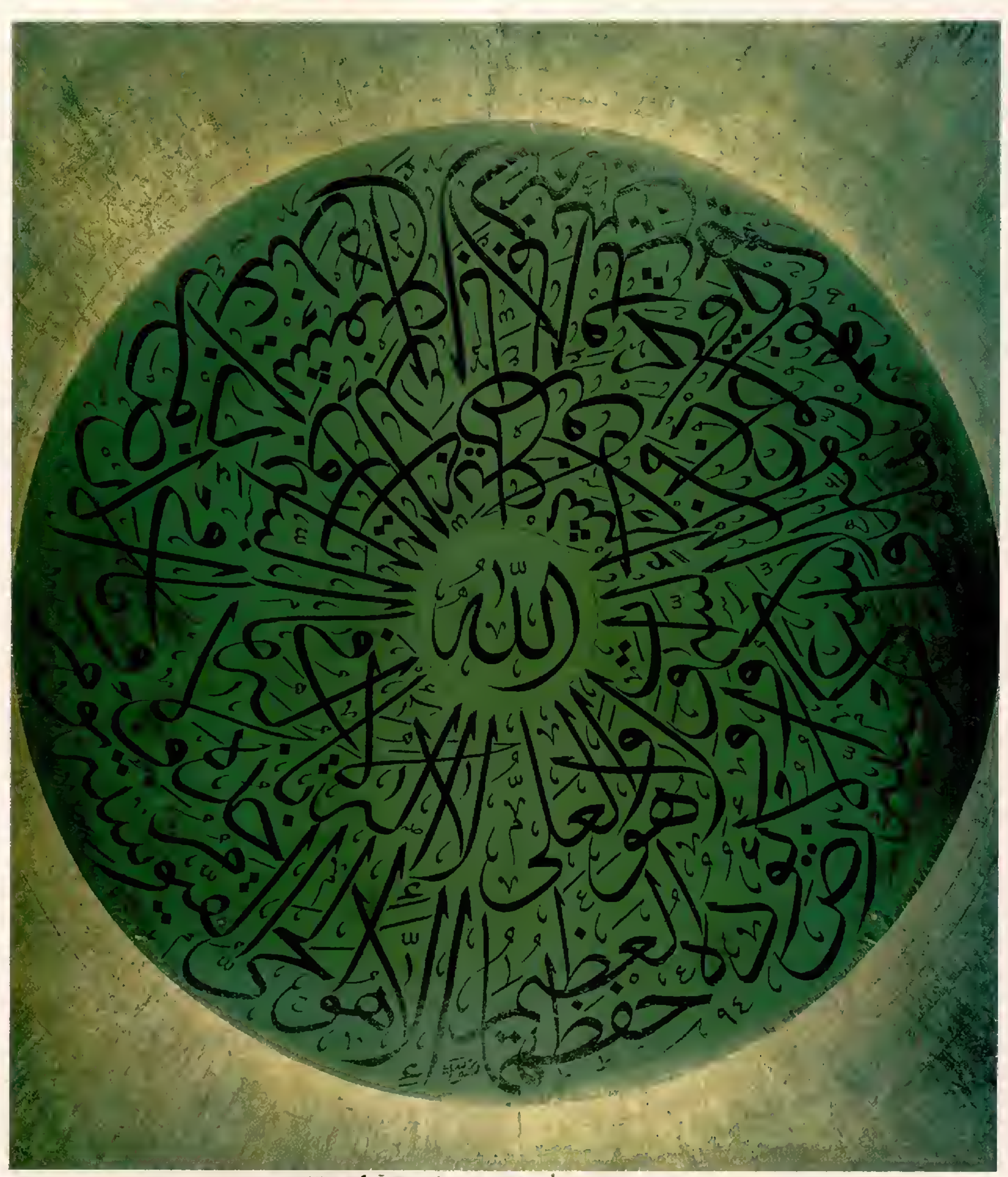
ـ في الحقيقة أنا أدرس الخط العربي في الجامعة التي أعمل بها أستاذاً، وإلى جانب الجامعة أدرس أيضاً في بعض المعاهد الثقافية التي تقع في منطقة طوكيو، ألاحظ زيادة عدد الدارسين للخط العربي، في المعاهد على سبيل المثال عدد المشاركين في الدورة التعليمية للخط العربي عشرون شخصاً، وهناك أكثر من عشرين آخرين ينتظرون الدخول إلى هذه الدورة أيضاً. فيسمح لعدد صغير بالدخول؛ لأنه لا يسمح لعدد الطلاب في الفصل الواحد أن يزيد على عدد معين؛ لهذا فهم مضطرون إلى الانتظار حتى يأتي دورهم لدخول الدورة، وهذا يدل على زيادة اهتمام الشباب الياباني بالفنون الجميلة التي يمتلكها الخط العربي، وهذا أيضاً يدل على تقدير الشعب الياباني لجمالية الخط العربي بغض النظر عن عدم معرفتهم باللغة العربية وهم يستطيعون أن يقدروا جمالية الخط العربي بشكل عام.

*** ما تصوراتك لتطوير الخط العربي وإنعاش الاهتمام به؛ لأنه حاليًا لم يعد لدينا معاهد لتعليم الخط العربي؟**

ـ بالنسبة إلى العرب الخط العربي شيء من الماضي، أي قديم، لكنه بالنسبة إلي إذا نظرنا من الخارج يبدو لنا الخط العربي شيئاً جديداً يشد اهتمامنا، ويثير الاهتمام الفني كثيراً، ويمكن أن نقول: إن هذه ظاهرة في الفنون، مثلاً عندنا مسرحية تقليدية اسمها كابوكي تتناول الحرب بين مقاتلين والحياة في عصر إيدو قبل مئتي سنة، وكيابانيين نرى هذه المسرحية شيئاً قديماً جداً لا نحب مشاهدته، فالجيل الجديد لا يحب مشاهدة المسرحية القديمة، لكن الأجانب إذا شاهدوا

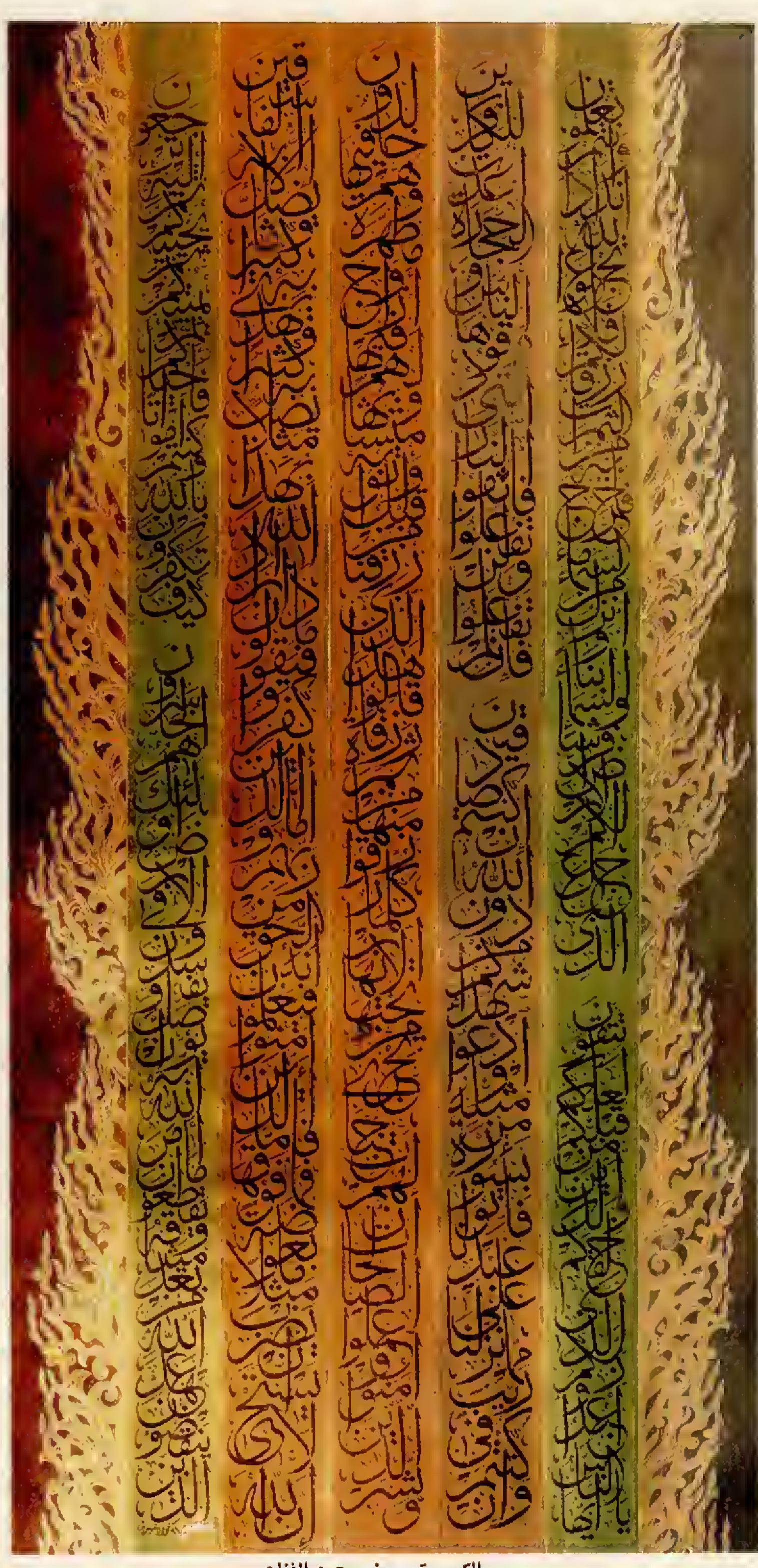


الأجانب يرون الخط العربي جديداً بينما لا يراه العرب كذلك



الخطاط حريص على أن ينعكس معنى الآيات القرآنية على الشكل

المسـرحيـة يرونهـا شيـئًا جـديداً يشـد الاهتمـام، لذلك إذا نظرنا مـن الداخل لا نشــعـر بـأي شيء جـديـد، لكن إذا نظرنا من الخارج فنجده شيـئًا جديداً وشائقًا، هذا الشيء نفسه بالنسبة إلى الخط العربي، وأنا سألت بعض الزوار الذين قاموا بزيارة معـرضـي الذي أقيم في القاهرة وقطر، ما هو تصورك تجاه الخط العربي؟ معظمهم يجيب قائلاً:



الكمبيوتر يرضي عين الفنان

لخط العربي قديم جداً، ولا أحب الشيء القديم.

*** هناك اعتقاد بأن الخطوط العربية في معظم أجهزة الكمبيوتر سيئة فهل هناك محاولة من أحد ليستفيد من قدرتك لوضع خطوط أجمل؟**

ـ يجب علينا ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين أن نستغل الكمبيوتر استغلالاً كاملاً عندما نكتب، ونكوّن النصوص، ولكن لإنتاج لوحات للخط العربي في الوقت الحاضر فالكمبيوتر لا يناسب ذلك، أنا شخصياً لا أستخدم الكمبيوتر فالأشكال التي يتم تكوينها على شاشة الكمبيوتر لا ترضي عين الفنان؛ فهي أشكال سيئة. هناك قول مشهور ينسب إلى ابن مقلة* الذي يقال إنه مؤسس مدرسة الخط العربي الميلادي «الخط هندسة روحانية ظهرت بآلات جسمانية» أتذكر وأريد أن أفهم ما معنى هذه الكلمة يعني للإجابة عن سؤال لماذا لم أستخدم هذا القول لابن مقلة فهو مناسب للإجابة، الهندسة شيء آلي يستخدم مسطرة، كم الطول وكم العرض، وقال «روحانية» الروح ينتمي إلى القلب، إلى الغيب لا نستطيع أن ننظر إليه. الهندسة شيء واضح يمكن تقديره، كلمتان متناقضتان. ولكن قال ابن مقلة: الخط هندسة روحانية وأيضاً بآلة جسمانية، أي: بأيدينا.

***هل هناك محاولة لإصلاح هذه الخطوط في الكمبيوتر؟**

ـ نعم هناك إمكانية إصلاح أشكال الخط وتطويرها لكي تتماشى مع الخط الرفيع الذي يقبله ذوق الفنان، لكن في الوقت الحاضر يمكن القول: إن الأشكال لا ترضي ذوق الفنانين الذين يسعون إلى

الأشكال الروحية.

• كيف ترى العمل الدعوي الإسلامي في اليابان، هل هناك نشاط في عرض الإسلام على اليابانيين؟

ـ طبعاً هناك مركز المسلمين اليابانيين نشيط في تقديم حملات لنشر الديانة الإسلامية في المجتمع الياباني، وهناك يقدمون الندوات والمحاضرات ويدعو الشعب الياباني والمجتمع الياباني الذي ليس لديه معرفة صحيحة بالإسلام، مثلاً كلمة إسلام تذكرهم أول شيء بالإرهاب، وأربع زوجات، والصيام في شهر رمضان، وأعتقد أن هذه المعلومات عن الإسلام مازالت غير صحيحة ومشوهة تتحيز إلى أجزاء محدودة.

• من المسؤول عن تغيير هذه الصورة؟

ـ أعتقد أن المسؤول عن هذه الصورة المشوهة هم من ترجموا الكتابات الدينية المكتوبة باللغة العربية عن طريق الدول الغربية، وهم المستشرقون اليابانيون الذين ترجموا الكتب الدينية باللغة الإنجليزية والفرنسية إلى اليابانية. يجب أن تتم الترجمة المباشرة من اللغة العربية إلى اليابانية. لكن منذ عصر ميجي منذ أربعين سنة، يميلون إلى ترجمة كتب إنجليزية وفرنسية وألمانية إلى اليابانية، ليس عن العربية، فهذا أحد أسباب قلة المعلومات الصحيحة عن الإسلام بين المجتمع الياباني.

• ما رؤيتك لأهمية دراسة اللغة اليابانية والثقافة والتراث اليابانيين في العالم العربي، هل هناك مراكز ثقافية يابانية تحاول أن تقدم معلومات عن اليابان وتاريخها وثقافتها، وهل هي أيضاً مسؤولية العالم العربي أن يحاول تعلم اللغة اليابانية، ماذا ترى في هذا المجال؟

ـ ألاحظ زيادة اهتمام الشعب العربي باللغة والثقافة اليابانية، مثلاً في جامعة القاهرة هناك قسم اللغة اليابانية، وأيضاً في جامعة الملك فيصل هناك قسم اليابانية، وتدريجياً يزداد عدد الطلاب المختصين باللغة اليابانية. طبعاً يجب علينا أن ننمي هذا الاتجاه، ونحن اليابانيين أيضاً نحاول فهم البلاد والثقافة العربية، في الوقت نفسه يجب على العرب أن يفهمونا ويفهموا الثقافة



يبدع هوندا كثيراً بخط الثلث

اليابانية واللغة اليابانية، تتبادل ثقافتان مختلفتان. فهناك عدة كتب تمثل الروح اليابانية، مثلاً محارب مشهور اسمه مساشي، وأشهر المحاربين كتب كتاباً مشهوراً يعبر عن كيفية التفكير الذي يمتلكه اليابانيون، ومن أحسن من ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، أعتقد أن العرب يفهمون مثل هذه الكتب، عندنا مثلاً شعر وقصص أشهر الأدباء المعاصرين، جزء قليل من كتب الشعر المترجم إلى اللغات الأجنبية فإذا ظهر دارسون أو باحثون في الثقافة اليابانية من الأحسن ترجمة الآداب والثقافة اليابانية إلى العربية مباشرة، وبالعكس يجب أن يسعى المستشرقون اليابانيون إلى ترجمة مؤلفات العربية إلى اليابانية مباشرة.

---

* هناك مقالة في «خاتمة المطاف» تعرِّف بإبن مقلة وأثره في مسيرة الخط العربي.

جائزة أبها

مليون ريال سنويًا لأربعة فروع
(الخدمة الوطنية - الثقافة - التعليم الجامعي - التعليم العام)

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير
خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير

فرع جائزة أبها للثقافة (٢٠٠,٠٠٠ ريال) ١٤٢٤هـ
مجالات الجائزة ومقدارها

أولاً: الشعر الفصيح:

ديوان شعري متميز (مخطوط). ويُستحسن وجود بعض القصائد الوطنية

(٣٥,٠٠٠) ريال.

ثانيًا: القصة القصيرة:

مجموعة قصصية متميزة (مخطوطة). ويُستحسن أن يكون بعضها من وحي الوطن.

(٣٥,٠٠٠) ريال.

ثالثًا: الرواية والمسرح:

عمل روائي متميز (مخطوط) وحبذا لو ارتبط بالمسيرة الوحدوية للوطن.

(٣٥,٠٠٠) ريال.

رابعًا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

بحث تراثي عن منطقة عسير في أحد الموضوعات الآتية (الطراز المعماري، الأسواق الشعبية، نظم الري القديمة) (٣٥,٠٠٠) ريال.

خامسًا: الفن التشكيلي:

ثلاث لوحات لم تسبق لها المشاركة، ولا تقل مساحة اللوحة عن ٨٠×١٢٠سم. (٣٠,٠٠٠) ريال.

سادسًا: التصوير الضوئي:

ثلاث صور فوتوغرافية لم يسبق عرضها لا تقل مساحة الصورة عن ٦٠×٦٠سم. (٣٠,٠٠٠) ريال.

شروط وإيضاحات عامة:

١- الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالمملكة.

٢- يُستحسن أن تستوفى الموضوعات من تاريخ المملكة وجمالياتها ومنجزاتها لتعميق الانتماء وحب الوطن.

٣- يُفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئًا من الجديد الذي لم يسبق عرضه.

٤- تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالمملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.

٥- تُقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.

٦- ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.

٧- ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.

٨- الترشيحات والأعمال المقدمة (البحوث - الشعر - الرواية - القصة القصيرة) مع عنوان المتسابق كاملاً بما في ذلك الهاتف والفاكس، ترسل أو تسلّم إلى [نادي أبها الأدبي - ص .ب ٤٧٨ - أبها] هاتف ٠٧٢٢٦٤٢٣٠ - فاكس (٠٧٢٢٦٢١٦٥).

أما (الفن التشكيلي والصور) فتسلم إلى جمعية الثقافة والفنون بأبها، هاتف وفاكس (٠٧٢٢٥١٩٧٢) - في موعد أقصاه نهاية شهر ربيع الأول ١٤٢٤هـ.
وتتولى أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر، ولا تعاد الأعمال المقدمة في حال الفوز، أما الأعمال غير الفائزة فبالإمكان استعادتها.

والله الموفق،،،



توزيع جائزة
الملك فيصل العالمية

تأسيس هيئة
للصحفيين السعوديين

مؤتمر الأدب الإفريقي
في الإسكندرية

كلير تومالين
تتفوّق على زوجها

اليونسكو
وحماية التراث العراقي

إعلان جائزة الشارقة
للإبداع

رحيل كحيل وبلانشو



خاتمة المطاف

ابن مقلة:
شيخ الخطاطين
ومهندس صناعتهم

سمو النائب الثاني يرعى حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية



الأمير سلطان بن عبد العزيز والأمير خالد الفيصل في حفل توزيع الجائزة

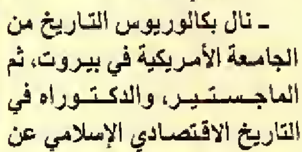
نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام مساء السبت ٥ من المحرم ١٤٢٤هـ (الموافق ٨ مارس/آذار ٢٠٠٣م) حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية الخامسة والعشرين لهذا العام ١٤٢٣هـ للفائزين بها، وذلك بقاعة الأمير سلطان الكبرى في مركز الفيصلية.

وألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية في بداية الحفل كلمة قال فيها: «خمسة وعشرون عاماً عمر الجائزة. خمسة وعشرون عاماً في تقدير العلم وتكريم العلماء دون تمييز بين جنس أو لون أو دين. خمسة وعشرون عاماً ومئة وواحد وستون فائزاً من سبع وثلاثين دولة، من جميع القارات، خمسة وعشرون عاماً وجائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإنسانية تقدم أنموذجاً مشرفاً للثقافة الإسلامية وفكر الأمة العربية والقيم السعودية. التهنئة لمن فاز، والتقدير لمن حضر.

الأستاذ الدكتور عزالدين عمر موسى الفائز بجائزة الدراسات الإسلامية (بالاشتراك)



- من مواليد عام ١٩٣٦م بجزيرة توتي بالسودان.
- نال بكالوريوس التاريخ من الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم الماجستير، والدكتوراه في التاريخ الاقتصادي الإسلامي عن موضوع «النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري».



- عمل بالتدريس في التعليم المتوسط والثانوي في السودان (١٩٥٧- ١٩٦٦م)، ثم مساعد تدريس مع د.نقولا زيادة في بيروت (١٩٧٢- ١٩٧٣م)، ثم محاضراً وأستاذاً للتاريخ الإسلامي والإفريقي في جامعة أحمدو بلّو في نيجيريا (١٩٧٣- ١٩٨٤م)، ويعمل منذ عام ١٩٨٣م في قسم التاريخ في جامعة الملك سعود.
- تولى الدكتور عزالدين مسؤوليات كثيرة طوال تلك الفترة، فكان ممتحن مادة التاريخ لدخول المدارس الثانوية السودانية، وعضو اللجنة المشرفة على امتحانات الدخول للمدارس الثانوية السودانية، ومدير مشروع بحث تاريخ شمال نيجيريا.
- رأس عدداً من اللجان المتخصصة في فترة عمله بنيجيريا، كما عمل رئيساً وعضواً للجان قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، وأشرف على عدد من الرسائل الجامعية.

وقد مُنح الأستاذ الدكتور عزالدين عمر موسى، الجائزة عن كتابه «النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري»، والذي يتميز بالمنهجية والموضوعية، مما يجعله مرجعاً لا غنى عنه للمهتمين بدراسة الحياة الاقتصادية في المغرب الإسلامي قبل أكثر من ٨٠٠ عام.

الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو بكر حركات

- ولد في الدار البيضاء بالمغرب عام ١٩٢٨م.
- نال دبلوم اللغة العربية (عربي - فرنسي) من معهد

عاش الفهد ووفق الله عبدالله، والشكر لراعي الحفل سلطان، ولم أذكر ألقابهم؛ لأنهم أكبر من الألقاب».

ثم أعقب ذلك عرض فيلم وثائقي عن الجائزة، قام بعده الأمين العام للجائزة الدكتور عبدالله صالح العثيمين بإلقاء قصيدة بمناسبة مرور ربع قرن على إنشاء جائزة الملك فيصل العالمية، ثم تلى أسماء الفائزين وحيثيات فوزهم بالجائزة، وتسلم كل منهم جائزته من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وألقى كل من الفائزين كلمة.

وقد فازت مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز الخيرية هذا العام بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، بينما تناصف كل من الأستاذ الدكتور عزالدين عمر موسى والأستاذ الدكتور إبراهيم أبوبكر حركات جائزة الدراسات الإسلامية وموضوعها «الدراسات التي تناولت التاريخ الاقتصادي عند المسلمين لمنطقة أو حقبة في مجال أو أكثر»، وفاز بجائزة الطب وموضوعها «سرطان الثدي» كل من الأستاذ الدكتور أمبيرتو فيرونيسي (إيطاليا)، والأستاذ الدكتور آكسل أولرخ (ألمانيا) ، بينما فاز بجائزة العلوم وموضوعها «الكيمياء» كل من: الأستاذ الدكتور ماريون فريديك هوثرون (أمريكا)، والأستاذ الدكتور كوجي ناكانيشي (اليابان) ، أما جائزة الأدب العربي وكان موضوعها «تعريفات المصطلحات الأدبية والنقدية» فقد حجبت هذا العام لعدم ارتقاء الأعمال المتقدمة إلى مستوى الجائزة.

وكان الأمير خالد الفيصل قد أعلن أسماء الفائزين بالجائزة في يوم ٢٦نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٢م في حفل كبير أقيم بقاعة الأمير سلطان في مركز الفيصلية بالرياض، وضم عدداً كبيراً من المثقفين والمفكرين العرب والأجانب.

وأعلنت الأمانة العامة للجائزة موضوعات السنة القادمة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) كما يأتي:

الدراسات الإسلامية: الدراسات التي عُنيت بالقواعد الفقهية.

الأدب والدراسات اللغوية: الدراسات التي تناولت التدوين اللغوي إلى نهاية القرن الخامس الهجري.

الطب: طب القلب التدخلي.

العلوم: علم الحياة (البيولوجيا).

ربع قرن على الجائزة

وتحتفل الجائزة هذا العام بمرور ربع قرن على انطلاقها

الدراسات العليا بالرباط عام ١٩٥٨م، وإجازة آداب من جامعة محمد الخامس بالرباط عام ١٩٦٠م، ودبلوم دراسات عليا (ماجستير) في العربية من جامعة ستراسبورغ عام ١٩٦٤م، كما نال دكتوراه جامعية في الدراسات الإسلامية من أيكس أن بروفانس من فرنسا عام ١٩٧٠م، ودكتوراه دولة في التاريخ من الجامعة اليسوعية في بيروت عام١٩٨٢م.

ـ مارس كثيراً من النشاطات المهنية؛ إذ اشتغل معلمًا ومدرسًا بالثانوي، ثم التحق بسلك التدريس الجامعي، كما أشرف على تأسيس كلية الآداب بفاس عام ١٩٦١م، وعُين مندوبًا إقليميًا لوزارة التربية بأكادير بين عامي١٩٦٢م و١٩٦٤م، ثم مفتشًا للتعليم الثانوي، فمندوبًا إقليميًا للوزارة المذكورة بفأس وتازا، ومديراً لثانوية مولاي إدريس بفاس في الفترة بين أعوام ١٩٦٧و١٩٧٠م، وعين بعد ذلك رئيسًا لقسم تعليم الفنون بوزارة الثقافة، ثم مديراً عامًا لقطاع الثقافة حتى عام ١٩٧٤م، وتفرغ كليًا بعد ذلك للتعليم الجامعي بجامعة محمد الخامس بالرباط (تخصص التاريخ الوسيط).

ـ له عدد من المساهمات الثقافية والعلمية في معظم البلاد العربية وبعض البلدان الأوربية.

ـ ألف عدداً من الكتب العلمية والفكرية نشرت في الفترة ما بين ١٩٦٤م و٢٠٠٠م، منها:

ـ النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، بيروت ـ الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

ـ المغرب عبر التاريخ (ثلاثة أجزاء) ابتداءً من عام ١٩٦٥م، الدار البيضاء.

ـ تحريف التاريخ والعقيدة، الدار البيضاء، ١٩٨٠م.

ـ التيارات السياسية والفكرية بالمغرب قبل الحماية، الدار البيضاء ١٩٨٤م.

ـ النشاط الاقتصادي الإسلامي حتى القرن ٩هـ/ ١٥م، الدار



الذي كـان في عـام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، إذ بدأت في ذلك العام في تكريم العلماء والمفكرين الفائزين بها في ثلاثة فروع هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، وقد انبثقت فكرة الجائزة من أهداف مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وسعيها إلى تأكيد القيم الإسلامية التي ناضل في سبيلها الملك فيصل رحمه الله، وفي سنة ١٤٠٢هـ أضيف فرعا الطب والعلوم.

تحددت غاياتها

ـ العمل على خدمة الإسلام والمسلمين في المجالات الفكرية والعلمية والعملية.

ـ تحقيق النفع العام لهم في حاضرهم ومستقبلهم، والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها.

ـ تأصيل المثل والقيم الإسلامية في الحياة الاجتماعية وإبرازها للعالم.

ـ الإسهام في تقدم البشرية وإثراء الفكر الإنساني.

ويتركز اختيار الفائزين بهذه الجائزة في شرطين، هما: الاستحقاق والتميز، وتوخي توافرهما في البحوث المقدمة في الفروع المختلفة من خلال خطوات محددة تلتزمها لجان الاختيار التي تضم عدداً كبيراً من المختصين في ميادين الجائزة الخمسة.

ويحصل الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية في أي فرع من الفروع الخمسة على:

ـ شهادة (براءة) تحمل اسمه وملخصاً للإنجازات التي أهلته لنيل الجائزة.

ـ ميدالية ذهبية عيار ٢٢ قيراطاً، ووزن ٢٠٠ جرام.

ـ وزيدت الجائزة المالية في سنة ١٤١٥هـ من خمسين وثلاثمئة ألف ريال سعودي إلى خمسين وسبعمئة ألف ريال سعودي (ما يعادل مئتي ألف دولار أمريكي).

مكانة عالمية

حصل عدد من الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية على جوائز عالمية أخرى في مجالاتهم، فقد نال كل من الدكتور جيرد بيسنج، والدكتور هنري روهر، جائزة نوبل في الفيزياء بعد عامين من حصولهما على جائزة الملك فيصل العالمية في سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

ونال الأستاذ الدكتور أحمد حسن زويل جائزة نوبل في الفيزياء عام ٢٠٠٠م، وكان قد حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م؛ كما نال جوائز عالمية أخرى في الفيزياء، وحصل الأستاذ

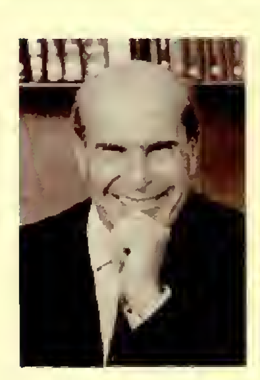
البيضاء، ١٩٩٦م، وغيرها.

وقد منح الجائزة عن كتابه «النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط»، الذي يتميز بنظرته الشمولية للتاريخ الاقتصادي الإسلامي وانعكاساته على المجتمع، كما يحلل مظاهر الاقتصاد في العالم الإسلامي كوحدة متكاملة مع بيان أوجه الشبه والاختلاف في البيئات الإسلامية المختلفة. ويوازن بين المفهومات الاقتصادية في العالمين الإسلامي والمسيحي مع بيان الدور المؤثر للمسلمين في الاقتصاد العالمي خلال تلك الفترة.

الأستاذ الدكتور أمبيرتو فيرونيسي
الفائز بجائزة الطب (بالاشتراك)

ـ إيطالي الجنسية ويبلغ من العمر ٧٧ عاماً.

ـ شغل منصب المدير العلمي لمعهد الأورام الأوربي منذ ١٥عاماً، وله خبرة طويلة في مجال بحوث سرطان الثدي وعلاجه.



ـ بدأ حياته العلمية استشارياً في علم الأمراض، ثم تخصص في الجراحة، مما مكنه من فهم تغيرات سرطان الثدي المرضية.

ـ أدار معهد ميلان الوطني للسرطان، وأسهم مدة ثلاثين سنة في جمعيات علمية عالمية للسرطان، فكان نائب الرئيس، ثم الرئيس للمنظمة الأوربية لبحوث السرطان وعلاجه.

ـ اشترك أيضاً في عدة لجان تابعة للوكالة العالمية لبحوث السرطان، وفي الاتحاد العالمي لمكافحة السرطان، وفي الجمعية الأوربية لجراحة الأورام.

ـ تقلد منصب وزير الصحة بإيطاليا.

ـ له مساهمات بارزة في مجال سرطان الثدي، فهو الذي أبدع طريقة العلاج الجراحي التحفظي باستئصال الورم مع

مؤسسة سلطان بن عبدالعزيز الخيرية الفائزة بجائزة خدمة الإسلام


مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية

مُنحت جائزة خدمة الإسلام هذا العام لمؤسسة سلطان بن عبدالعزيز آل سعود الخيرية لتكون الهيئة الخيرية الثالثة التي تفوز بهذه الجائزة، وذلك لجهودها الخيرية في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، في إفريقية وفي أوربا لخدمة الإسلام بصفة خاصة والبشرية بصفة عامة. ولإنجاز المؤسسة في زمن قصير عدداً من البرامج والمشروعات الخيرية داخل المملكة وخارجها، ومن ذلك:

- إنشاء مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية، وهي مؤسسة تأهيلية كبيرة تشتمل على مركز متكامل للفحوص الطبية تتبعه ١٨ غرفة للعمليات، ومركز للتأهيل الطبي لذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن يشتمل على ٤٠٠ سرير، ومركز لتنمية الأطفال المعاقين يستوعب ١٥٠ طفلاً في آن واحد.
- تأسيس مشروعات الإسكان الخيري. وهي مشروعات خيرية تنموية متكاملة ومزوّدة بالمرافق والخدمات التي يحتاج إليها الساكنون؛ وذلك في المنطقة الجنوبية، ومنطقة حائل، ومنطقة تبوك.
- مركز سلطان بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وهو مشروع خيري مقام في المنطقة الشرقية هدفه تشجيع الابتكارات العلمية والتقنية.
- مركز الأمير سلطان بن عبدالعزيز للنطق والسمع في البحرين، الذي أسس بالتعاون مع الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة.
- برامج الدراسات الإسلامية في الغرب، وتهدف إلى التعريف بالإسلام وحضارته. وفي طليعتها مركز الملك عبدالعزيز لدراسة العلوم الإسلامية في جامعة بولونيا الإيطالية، وبرنامج سلطان بن عبدالعزيز للدراسات العربية والإسلامية في جامعة بيركلي الأمريكية.

جزء من أنسجة الثدي بدلاً من استئصال الثدي كله. كما اكتشف طريقة للكشف عن انتشار السرطان إلى العقد الليمفاوية بالإبط من عدمه، مستخدماً مواد مشعة، وبذلك جنب المرضى استئصال هذه العقد إلا في حال إصابتها بالسرطان، ووجد طريقة للعلاج الإشعاعي في أثناء الجراحة ولمرة واحدة، بديلاً من العلاج الإشعاعي المتكرر. وقد خفض ذلك من معاناة المرضى، وقلّل مدة تعرضهم للعلاج الإشعاعي، كما قلّل من كلفة هذا النوع من العلاج. وكذلك استخدم عقار تمكسوفين للوقاية من الإصابة بسرطان الثدي.

بحوثه أصيلة ودقيقة وواضحة في فكرتها العلمية وفي طرائق بحثها، وقد سعى إلى تحسين التعليم الطبي في مجال بحوث السرطان، وله فضل في تنبيه الجمهور إلى أن هناك أسباباً للوقاية من السرطان قد تقضي على هذا الداء العضال. له أكثر من ٦٠٠ بحث في مجلات علمية عالمية وعشرة كتب عن الأورام السرطانية.



الأستاذ الدكتور أكسِلْ أولرخ

- ألماني الجنسية ويبلغ من العمر ٥٩ عامًا.
- يعمل حاليًا مدير قسم الجزيئات الحيوية بمعهد ماكس بلانك للكيمياء الحيوية بميونخ بألمانيا.

بحوثه أصيلة وذات أثر ملموس علميًا و سريريًا، ففي عام ١٩٨٥م اكتشف موروث الأورام المسؤولة عن إنتاج مستقبل عامل نمو البشرة، ثم درس مدى انتشار هذه المورثة ومنتجاتها عند مرضى سرطان الثدي، وقام في عام ١٩٩٠م، بإنتاج مجموعة من الأجسام أحادية النسيلة المضادة للبروتين الذي تنتجه تلك المورثة مما أدى إلى تطوير عقار هيرسبتين المستخدم منذ عام ١٩٩٨م لعلاج سرطان الثدي، وهو أول عقار يأتي بنتائج واضحة في علاج مرض سرطان الثدي المتقدم. ويستخدم

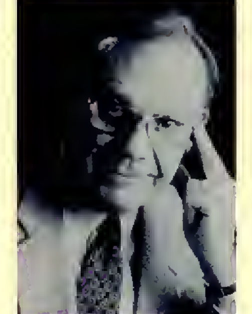
الدكتور جنتر بلوبل على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٩٩م، وكان قد نال جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ونال الدكتور مايكل جون بيردج جائزة مؤسسة لويس جانيت الطبية بعد نيله جائزة الملك فيصل العالمية في الكيمياء الحيوية في سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ومنحت الحكومة الكندية وسام الشرف من أعلى طبقة للأستاذ الدكتور ريمون أرغل لوميو، وكان قد نال جائزة الملك فيصل العالمية في الكيمياء في سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

وفي عام ٢٠٠١م فاز بجائزة نوبل في الكيمياء والكيمياء العضوية والفيزياء أربعة ممن سبق لهم نيل جائزة الملك فيصل العالمية، وهم الأستاذ الدكتور ك. باري شاربلس الأمريكي الجنسية، الذي فاز بجائزة نوبل في الكيمياء، وكان قد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في العلوم في سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، والأستاذ الدكتور كارل وايمان، والأستاذ الدكتور إريك كورنل الأمريكيان اللذان نالا جائزة نوبل في الفيزياء، وقد سبق لهما الحصول على جائزة الملك فيصل العالمية في العلوم (مناصفة) في سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، وفاز بجائزة نوبل في الكيمياء الحيوية الأستاذ الدكتور ريوجي نويوري الياباني الجنسية الذي فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في العلوم في سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

لغة الأرقام

- بلغ عدد الذين حصلوا على جائزة الملك فيصل العالمية في الفروع الخمسة ١٦١ عالمًا ينتمون إلى ٣٧ جنسية.
- بلغ عدد الذين حصلوا على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ٢٩ فائزًا، من بينهم ثلاث هيئات هي: الأزهر الشريف، والهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك، ومؤسسة سلطان بن عبدالعزيز الخيرية، وينتمي الفائزون إلى ١٦ جنسية.
- بلغ عدد الذين حصلوا على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ٢٥ عالمًا، ينتمون إلى تسع جنسيات.
- بلغ عدد الذين نالوا جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ٣٢ عالمًا ينتمون إلى عشر جنسيات.
- فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب٤٣ عالمًا

هذا العقار حاليًا لحالات سرطان الثدي المبكر بغرض الشفاء منه تمامًا. وقد فتح هذا الكشف آفاقًا واسعة لصنع عقاقير يتم تجريبها حاليًا في علاج سرطان الثدي، ويبحث الدكتور أولرخ حاليًا عن أثر عامل النمو في الخلايا المبطنة للأوعية الدموية، وقد مهد هذا العمل الطريق لايجاد عقاقير ضد السرطان تمنع نمو الأوعية الدموية في النسيج السرطاني مما يحرمه من الغذاء والأكسجين. له أكثر من ٤٢٧ بحثًا في مجلات علمية عالمية.



الأستاذ الدكتور ماريون فريدريك هوثورن الفائز بجائزة العلوم (بالاشتراك)

- أمريكي الجنسية، وهو من أكبر كيميائيي العالم إبداعًا وإنتاجًا.

- تشمل بحوثه ميادين كثيرة تمتد من تركيب المواد الجديدة إلى أنوع حديثة من علاج السرطان. وقد تؤدي بحوث الأستاذ الدكتور هوثورن إلى صنع مواد قادرة على أن تتجه ضمن جسم الإنسان إلى أهدافها من الخلايا الخبيثة فتقتلها دون أن تؤذي الخلايا السليمة. فتكون مثل هذه المواد كرصاصة تتوجه إلى حيث ينبغي لها أن تستقر. ولو تحقق ذلك لأدى إلى نصر مؤزر في علاج السرطان.



الأستاذ الدكتور كوجي ناكانيشي

- ولد في هونج كونج في أسرة يابانية.

- عاش وهو صبي في ليون (بفرنسا) وفي لندن والإسكندرية.

- من أعظم كيميائيي العالم، له إنجازات علمية في ميدان واسع

ينتمون إلى إحدى عشرة جنسية.

- نال جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم ٣٢ عالمًا في فروع العلوم المختلفة ينتمون إلى ثماني جنسيات.

- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام هي الفرع الوحيد الذي لم تحجب جائزته أبدًا على مدى السنوات الماضية.

- حجبت جائزة الدراسات الإسلامية سبع مرات.

- حجبت جائزة الأدب العربي سبع مرات.

- حجبت جائزة الملك فيصل العالمية للطب مرة واحدة.

- حجبت جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم ثلاث مرات.

- فاز اثنان من العلماء العرب المهاجرين بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وهما: الأستاذ الدكتور أحمد زويل (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، والأستاذ الدكتور مصطفى عمرو السيد (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، وهما أمريكيا الجنسية.

كما فاز بها السير مايكل عطية، وهو بريطاني من أصل عربي.

جدًا. ولنشأته وخبرته صفة عالمية.

- تلقى علومه في اليابان، وعمل في جامعاتها، وفي الولايات المتحدة وكينيا والبرازيل.

- من بين إسهاماته الكبرى بحوثه في موضوع المواد الطبيعية ذات النشاط الحيوي، وهذا أمر له شأن علمي واقتصادي عظيم، وقد أوضح بنيان عدة مركبات كيميائية وخواصها، ومن بينها مضادات حيوية، ومواد مسببة للسرطان ومنتجات تحمي منه.

- أحدث بحوثه مركز في الأسس الكيميائية التي تحكم تفاعل الضوء مع البنى المولدة للرؤية. وقد تؤدي بحوث الأستاذ الدكتور ناكانيشي في هذا الموضوع إلى التعجيل في إيجاد علاج لانحلال البقعة التي في العين. وهذا المرض يصيب كثيرًا من المسنين، فيجعلهم يفقدون البصر.

إهداء من مركز الملك فيصل إلى مكتبة الإسكندرية

أهدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى مكتبة الإسكندرية في ٢٣ أبريل/ نيسان عام ٢٠٠٢م، طبعة أصلية للقرآن الكريم صدرت في هامبورغ في أوربا أواخر القرن السابع عشر الميلادي (عام١٦٩٤م)، وتبدأ الطبعة بمقدمة جدلية باللاتينية ذكر فيها كاتبها هنكلمان أنه لا ينوي نشر الإسلام في أوساط البروتستانتيين، ولكن هدفه الوحيد هو معرفة اللغة العربية والإسلام.

وتبدأ الطبعة بصفحة العنوان مطبوعة باللونين الأسود والأحمر، ثم وردت بيانات عن اسم معد الطبعة، وكاتب مقدمتها، ومكان الطباعة، والتاريخ، وبقيت الصفحتان الثانية والثالثة خاليتين من أي كتابة.

كما أهدى المركز أيضًا إلى المكتبة مخطوط «البدور السافرة في أمور الآخرة» تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

وقد كتب المخطوط بخط نسخ جميل على ورق مشرقي في القرن الحادي عشر الهجري تقديرًا. والورقة الأولى منه مُزين أعلاها برسوم وزخارف، وبداخلها رسوم وردية ملونة، وأرضيتها مذهبة وملونة بألوان زاهية.

أما الجلد فهو جلد أحمر فاتح، في وسطه ثلاث ميداليات رأسية، كُتب عليها بماء الذهب، اسم المجلد وهو روزي صحاف بابي، وتاريخ تجليده هو سنة ١٢٧١هـ. ويقع المخطوط في ٥٢٥ ورقة، ومسطرته ١٢سطرًا، ومقاسه الداخلي ٢٠.٥×١١سم، والخارجي ٢٠.٨×١١.٥سم.

وصرح الدكتور يوسف زيدان مدير مركز المخطوطات بالمكتبة أن المكتبة قررت تقديرًا لهذا الاهداء المتميز عمل نسخة رقمية من الكتاب والمخطوط ليكونا في خدمة الباحثين، وعرض الأصل في متحف المخطوطات بالمكتبة.

هيئة للصحفيين السعوديين

وافقت وزارة الإعلام السعودية في الثالث والعشرين من ذي الحجة ١٤٢٣هـ/ الموافق ٢٤فبراير/شباط ٢٠٠٣م، على إنشاء «هيئة الصحفيين السعوديين» لتكون إطاراً لتنظيم العلاقات والتعاون بين العاملين في مهنة الصحافة، وكذلك تنظيم العلاقات بين الصحفيين والمؤسسات الإعلامية التي يعملون بها، لتبادل الخبرات والمعارف التي تعزز الرسالة البناءة، ولدعم مبادرات تطوير القدرات الفنية والبشرية لتوفير بنية عمل إيجابية للصحفيين السعوديين تشجيعاً على العطاء والإبداع، ولتساعد على تعزيز دور الصحافة ورسالتها، وتمنح الصحفيين قدراً كبيراً من الثقة والاطمئنان، وشعوراً أكبر بالمسؤولية تجاه وطنهم ومجتمعهم.

وتم اختيار الأستاذ تركي بن عبدالله السديري رئيس تحرير صحيفة (الرياض) رئيساً للجنة التأسيسية لهذه الهيئة.

طلال يفوز بجائزة


طلال سعد الحاج بكري

فاز الطالب طلال سعد الحاج بكري الذي يدرس في الصف الثاني الثانوي في مدارس نجد الأهلية في الرياض بمسابقة «ماراثون الويب» الأولى التي نظمتها مؤسسة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لتعليم تكنولوجيا المعلومات متفوقاً على آلاف المشاركين في هذه المسابقة. وكانت شروط المسابقة تتمثل في تقديم مواقع مفيدة على شبكة الإنترنت تختص بتعليم الإنترنت، أو بأمن المعلومات، أو بالدعاية السياحية، أو بمؤسسة تعليمية، وقد اشترطت اللجنة على المتسابقين، الذين حددت أعمارهم ما بين ١٢ و٢١ عاماً، اجتياز ثلاث مراحل قبل تقديم مواقعهم للجنة التحكيم، و تتمثل أولى المراحل في تصفية تشمل الإجابة عن أسئلة حول الإنترنت ومواقع الويب، ثم المرحلة الثانية وهي مرحلة اختيار الموضوع ووضع خطة متكاملة للموقع، وأخيراً مرحلة إعداد الموقع تبعاً للخطة. وكان الموقع الذي فاز به طلال هو موقعه المتخصص بتعليم الإنترنت باللغة العربية، وعنوانه: www.insightview.com/marathon، وقد استغرق منه بناء هذا الموقع عاماً كاملاً.

وكان طلال قد سبق له القيام ببناء عدة مواقع قبل هذا الموقع، من بينها موقعه المعروف باسم «المجسمات»، وهو الموقع الذي شارك فيه في مسابقة الكومبيوتر التي رعتها وزارة المعارف السعودية عام ٢٠٠٠م، والتي حصل فيها على المركز الأول.

تاريخ القدس وبهاولبور العباسية


محمد عدنان البخيت

ضمن نشاطه الثقافي لهذا العام، أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في مساء يوم الاحد ٢٣من ذي القعدة محاضرة بعنوان: «القدس وجوارها في القرن العاشر الهجري/ السادس الميلادي» للأستاذ محمد عدنان البخيت من لجنة تاريخ بلا د الشام في الجامعة الأردنية في عمان. واستهل البخيت محاضرته بما ذكره مؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م) كشاهد عيان على الأحداث، أن السلطان العثماني سليم الأول ارسل بعد دخوله إلى دمشق في ٦ ذي القعدة سنة ٩٢٢هـ، حملة عسكرية بقيادة وزيره الكبير سنان باشا لاحتلال كل من القدس وغزة وبقية المناطق الفلسطينية، وأشار المحاضر إلى التقاليد العثمانية عند دخولهم إلى بلد بأنهم كانوا يبادرون إلى استلام السجلات والقيود الرسمية للدولة المهزومة، بما في ذلك نظار الوقف الخيري والذري وتسليم ما لديهم من مسكوكات، وأن العثمانيين قلما غيروا من التقاليد الإدارية والضريبية المملوكية القائمة مادامت متفقة مع سياستهم ونهجهم الشرعي المستمد من المذهب الحنفي.

وأشار المحاضر إلى أنه اعتمد في هذه الدراسة على دفاتر الطابو والتحرير والأوقاف الموردة عن المالية في

دراسة تاريخ القدس ولوائها، بالإضافة إلى دفاتر المهام وسجلات المحاكم الشرعية.

وأوضح المحاضر أن مدينة القدس الشريف منذ الفتح الصلاحي بعد أن عادت إلى المسلمين بدأت تستقبل السكان المسلمين العرب والأكراد والتركمان من بلاد الشام، ومن بقية أقاليم العالم الإسلامي، من المغاربة، والسودان، والغوارنة وأصحاب المهن المختلفة، وكانت السمة العربية هي الغالبة، على السكان، ويرجع الفضل إلى العدد الكبير للأربطة، والمساجد، والمدارس، والزوايا، بجانب التغذية البشرية المستمرة للعشائر والقبائل العربية في فلسطين.

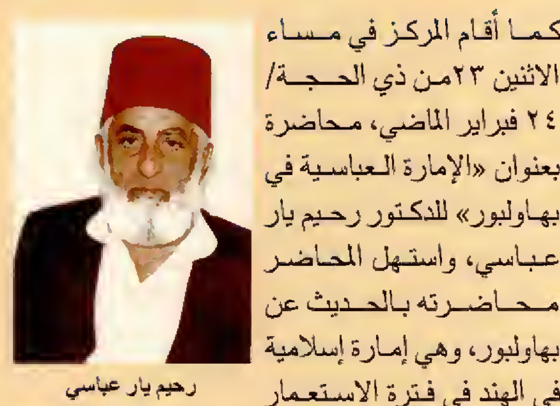
وكان للعناصر اليهودية تجمع كبير مثل يهود السفارديم والأشكناز في مدينتي صفد وطبرية، وفي عدد من قراهما، أما النصارى فعاشوا في القرى التالية في ناحية القدس الشريف: بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور النصاري، وطيبة الاسم، وبيت ريما بيرود، ورام الله، وعين عريك، وجفنة النصاري، ومجدل فضل.

أما القضاء فدرجت السلطة العثمانية على تعيين قاض حنفي للواء القدس، وهناك عدد من القضاة يعاونون القاضي، وكانوا من المذاهب الأربعة إلا أن الأحكام كانت تخضع لموافقة القاضي الحنفي.

عقب ذلك تحدث المحاضر عن الإفتاء، فقد عين العثمانيون في مدينة القدس ولوائه مفتياً واحداً لكل مذهب، وكانت ألقابه واسعة منها «مفتي الأنام»، ولم يكن رأي المفتي ملزماً للقاضي. وأشار إلى عدد المدارس الذي يبلغ نحو تسع وستين مدرسة عاملة مدعومة بمدخولات أحباس وقفت عليها.

وكان التركيز في تعليم القرآن وتفسيره، وعلوم الحديث والفقه وأصوله، وكانت المدارس موزعة حسب المذاهب الإسلامية.

وكانت القدس - حسب المحاضر - تعج بالأسواق والخانات والدكاكين وبقية المرافق وطواحين وأفران ومسلخين، إضافة إلى البيمارستان الصلاحي وبيمارستان لليهود.

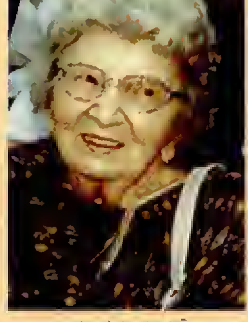

رحيم يار عباسي

كما أقام المركز في مساء الاثنين ٢٣من ذي الحجة/ ٢٤ فبراير الماضي، محاضرة بعنوان «الإمارة العباسية في بهاولبور» للدكتور رحيم يار عباسي، واستهل المحاضر محاضرته بالحديث عن بهاولبور، وهي إمارة إسلامية في الهند في فترة الاستعمار البريطاني، وتساوي في حجمها مساحة الدانمارك، وتنحدر الأسرة الحاكمة من بهاولبور من السلالة العباسية التي تنتمي مباشرة إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء العباسيين في بغداد، وقد بدأ تاريخ بهاولبور الحديث بدخول العباسيين إليها عام ١٧٢٧م، وكانت منقسمة، فقاموا بتوحيدها، فبعد انتهاء الخلافة العباسية في بغداد انتقل أحمد ابو القاسم الباقي من بني العباسي إلى القاهرة، وولي خليفة للمسلمين من دون مسؤوليات باسم المستنصر بالله، وأصبح الخليفة العباسي الأول من مصر لاربعة أجيال من السلطان ياسين إلى السلطان مزمل، ولكن ابن الأخير السلطان أحمد عباس الثاني غادر البلاد من الفترة ما بين ١٣٦٦و ١٣٧٠م، وجاء إلى المنطقة كيش في مكران - إقليم بلوشستان حالياً، ومن هناك انتقل إلى السند للبحث عن فرص جديدة في الهند، وقد رحب به راجا دهارينج حاكم منطقة «كوت كنتشي» الذي أعطى الأمير أحمد عباسي الثاني ثلث أراضيه وزوّجه ابنته، وتمشياً مع تقاليد أسلافه في بغداد قام ببناء القنوات والطرق وحفر الآبار في إمارته، وقد توالى على حكم بهاولبور اثنا عشر أميراً أولهم محمد مبارك خان العباسي الأول، وآخرهم الأمير الحاج الجنرال السير صادق محمد خان عباسي الخامس ١٩٠٧- ١٩٥٤م، وهو الحاكم الأخير لولاية بهاولبور.

وقد واجهت ولاية بهاولبور الكثير من الحروب والأعداء الأقوياء، والمكايد ولكن تمكن الأمراء العباسيون من ترسيخ دعائم ولايتهم.

وذكر المحاضر أن هناك علاقة بين أمراء آل سعود والعباسيين في بهاولبور، فقد ذهب الأمير صادق محمد خان عباسي إلى الحج للمرة الثانية عام ١٩٣٥م وأدى فريضة الحج، ورافقه الوجهاء من الولاية، وقد رست سفينة «رحماني» التي كانت تقل الوفد الأميري في جدة، واستقبله سعادة أمير جدة عبدالعزيز بن معمر وأحمدي بيه القائد العسكري لجلالة الملك، وأديت لهم التحية من قبل الجيش السعودي. وقد حظي الأمير العباسي بالمشاركة في غسل الكعبة المشرفة في ١٢ مارس/آذار عام ١٩٣٥م، مع الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - وقد أهداه الملك عبدالعزيز كسوة الكعبة، ومازالت تلك الكسوة محفوظة لدى الأسرة العباسية في قاعة دربار في قصر صادق كار.

شيمل:
عميدة المستشرقين الألمان التي رحلت


آنا ماريا شيمل

توفيت في الثامن والعشرين من شهر يناير/ كانون الثاني الماضي المستشرقة الألمانية آنا ماريا شيمل التي تعد من أهم المستشرقين الألمان خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ومن أكثرهم إنتاجاً وشهرة وحضوراً، وكانت مشغوفة بالحضارة الإسلامية، وتعمقت فيها قارئة وكاتبة وباحثة ومترجمة لعيون التراث الإسلامي شعراً وأدباً وفلسفة، وقد تميز عملها بالجمع بين الشغف والمنهج الصارم، وبين الحماسة والروح الأكاديمية، حتى أضحت مؤلفاتها من أهم المراجع للقارئ الغربي والعربي لفهم كنوز الحضارة الإسلامية عن اختلاف منابتها في أكثر من مئة كتاب خلال ستين سنة.

فقد كتبت عن التصوف، وترجمت عدداً من الأشعار الشرقية من العربية والفارسية والتركية والأوردية والباشتوية والسندية والسيريكية، بالإضافة إلى أشعارها الشخصية باللغتين الألمانية والإنجليزية.

وكانت شيمل أول من وضع مختارات للشعر العربي المعاصر بالألمانية عام ١٩٧٥م، وقد كسبت شيمل حب العالم الإسلامي واحترامه، ويرجع السبب في ذلك إلى (عدم تسيسها) وهو ما جعل الغربيين يعارضونها، وأيضاً (بسبب فهمها العميق للإسلام، وسعيها إلى أن تكون جسراً بينه وبين أوربا) كما قال الدكتور نديم إلياس رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا.

ولكن على الرغم من عشقها للتراث الإسلامي، ودراستها العميقة للدين الإسلامي الحنيف، إلا أنها لم تسلم، بل بقيت على دينها المسيحي البروتستانتي.

ولدت آنا ماريا شيمل في مدينة إرفورت في ألمانيا في السابع من أبريل/ نيسان عام ١٩٢٢م، وبدأت تعلم اللغة العربية وهي في سن الخامسة عشرة من عمرها، وأنهت الدراسة الثانوية في السابعة عشرة من عمرها، وحصلت على الدكتوراه في الاستشراق في التاسعة عشرة.

وعملت مترجمة في وزارة الخارجية الألمانية، وحصلت على درجة الأستاذية في جامعة ماربورغ في الرابعة والعشرين، ثم حصلت على درجة الدكتوراه في تاريخ الأديان عام ١٩٥١م، وقامت بأول زيارة لها للشرق الأوسط عام ١٩٥٢م، فقد زارت تركيا، وعملت أستاذة مساعدة في العلوم الإسلامية في جامعة أنقرة عام ١٩٥٣م، ثم أستاذة كرسي تاريخ الأديان في كلية العلوم الإسلامية في الجامعة نفسها عام ١٩٦١م، وكذلك أستاذة مستضافة في جامعة هارفارد في كمبردج، ومحاضرة في علوم الاستشراق عام ١٩٦٧م، وأستاذة حضارة الهند الإسلامية في الهند بين أعوام ١٩٧٠ و١٩٩٢م، ومحاضرة زائرة في المجلس الأمريكي للعلوم عام ١٩٨٢م، ومحاضرة زائرة في جامعتي أيوا ونيويورك، وفي معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن في الفترة من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٢م.

وحازت شيمل على عدد كبير من الجوائز والأوسمة والدرجات العلمية الفخرية منها: جائزة فردريش راكارت، ووسام القائد الأعظم (باكستان)، والدكتوراه الفخرية من جامعة السند، وميدالية همر برجستال الذهبية، وجائزة يوهان هاينرش فوس من الأكاديمية الألمانية للغة والشعر، وعضوية الأكاديمية الهولندية للعلوم، ورئاسة الجمعية الدولية لتاريخ الأديان، ووسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من الدولة

الألمانية، وهلال الامتياز من الحكومة الباكستانية (أعلى وسام مدني)، وجائزة ليفي ديللا فيدا من جامعة انجليس، وشهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة أو بسالا في السويد، ووسام الاستحقاق الأكبر من الدولة الألمانية، وجائزة الدكتور ليوبولد لوكاس من كلية الدراسات الانجيلية - جامعة توبنغن، وجائزة السلام من رابطة الكتاب الألماني، ووسام الاستحقاق في العلوم والفنون من المرتبة الأولى.

وكانت المستشرقة الراحلة قد ألقت محاضرة قيمة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في العام الماضي.

الأدب الإفريقي في مكتبة الإسكندرية



مكتبة الإسكندرية

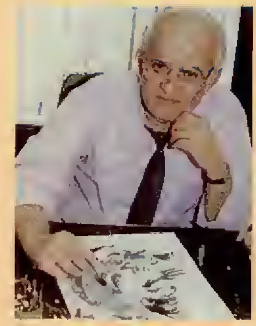
يعقد اتحاد الأدب الإفريقي مؤتمره التاسع والعشرين الذي يحمل عنوان (الفنارات والمكتبات .. إعادة إحياء التاريخ) في مكتبة الإسكندرية، وذلك في الفترة من ١٩ إلى ٢٢ مارس/آذار الحالي، وترعى هذا المؤتمر جامعة دايتون الأمريكية ومكتبة الإسكندرية.

ويعقد هذا المؤتمر كل أربع سنوات في دولة مختلفة، ووقع الاختيار هذا العام على مدينة الإسكندرية؛ لأنها موطن فنار الإسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع، إلى جانب ما لهذه المكتبة من عراقة وحضور تاريخي.

ومن الموضوعات التي يتناولها المؤتمر دور الأدب الإفريقي في حفظ المعرفة والثقافة في الماضي والمستقبل، ودور التاريخ في تحديد انتقال الفكر بين إفريقية والعرب، والمرأة في الأدب الإفريقي.

رحيل محمود كحيل

توفي في العاصمة البريطانية لندن في العاشر من ذي الحجة الماضي (الموافق ١١ فبراير/شباط) رسام الكاريكاتير السياسي المعروف محمود كحيل على أثر عملية جراحية. وكان كحيل قد جاء مهاجراً إلى لندن عام ١٩٧٩م، عندما اشتعلت الحرب اللبنانية، ليلتحق بالعمل رسام كاريكاتير في صحيفة (الشرق الأوسط) ومجلة (المجلة).



محمود كحيل

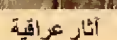
وقد عُرف عن كحيل أنه رسام كاريكاتير سياسي، تتميز خطوطه بالوضوح، وريشته بالسلاسة، مما أتاح له توصيل أفكاره إلى القارئ بشكل سريع ومبسط من دون ضبابية أو رمزية يتشتت فيها ذهن القارئ. وكان كحيل في أكثر رسومه يميل إلى الاكتفاء بما تقوله الرسمة حتى عرف في مطلع حياته الفنية بالكاريكاتوري الصامت، ومع ذلك لم يتخل كحيل نهائياً عن التعليق المكتوب إذا كانت بعض المواقف تحتاج إلى تعليق عليها بغية المزيد من التعبير. ومن الشهادات التي تدل على تأثيره في المحيط العربي والعالمي ما أجاب به الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش عن سؤال: كيف تعرف ما يدور في العالم العربي؟ إذ قال «أعرف ذلك من خلال رسومات محمود كحيل».

ولد كحيل في مدينة طرابلس عاصمة شمال لبنان، وفيها تلقى تعليمه قبل أن يتابع دراسته الجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت، وبدأ حياته العملية رساماً في شركة إعلانات، ثم محاضراً في معهد الإعلام في الجامعة اللبنانية، ثم تنقل في العمل في معظم الصحف اللبنانية مثل مجلة «الأسبوع العربي»، ومجلة «الديار» عندما كان يرأس تحريرها ياسر هواري، ومجلة «الحسناء»، وصحيفة «لسان الحال»، و«الماغازين»، و«الدايلي ستار» وغيرها، قال عنه هشام ومحمد علي حافظ عندما تم أول إصدار لرسوماته الملونة والأبيض والأسود، قالا عنه «هو فنان أجمع كل من تعامل معه وعرفه، أنه نادر ومميز، فهو صديق الجميع وأخوهم (الكبير)، إنه بحق فنان كبير، ولكنه أيضاً إنسان فريد»، وقال عنه بيل كلنتون «إنه فنان عبقري».

اليونسكو وتراث العراق

أكد نائب مدير التراث الحضاري في منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» لوران ليفي شتراوس والتي تتخذ من باريس مقراً لها، أن المنظمة ستساعد العراق

على الحفاظ على تراثه وآثاره في حال حصول حرب، وأن هناك عشرات من المواقع الأثرية متفاوتة الأهمية في العراق غالبيتها اكتشفتها فرق علمية، وأصبحت معروفة، وشدّد شتراوس على ضرورة أن تحترم أي دولة ستكون ضالعة في حرب ضد العراق معاهدة لاهاي لعام ١٩٥٤م، بشأن حماية التراث الحضاري حال نشوب نزاعات مسلحة، والتي تحظر استهداف مواقع أثرية ما لم تكن هناك ضرورة عسكرية، وقال: إنه على الرغم من عدم انضمام الولايات المتحدة وبريطانيا إلى معاهدة لاهاي «وهما أكثر دولتين تسعيان إلى شن حرب لنزع أسلحة العراق» إلا أن اليونسكو على ثقة بأن البلدين سيلتزمان نصوص هذه المعاهدة.


آثار عراقية

إعلان جائزة الشارقة للإبداع

أعلنت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة مؤخراً نتائج جائزة الشارقة للإبداع العربي في دورتها السادسة لعام ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، والتي شارك فيها نحو ٥٤٥ مشاركاً ومشاركةً.

وقد فاز بالجائزة الأولى في مجال الشعر محمد صلوح (سورية) عن مجموعته الشعرية «آخر الغيث أول الظمأ»، ونال الجائزة الثانية أحمد علي محمد (العراق) عن مجموعته الشعرية «بين الهنا والحلم»، وحصل على الجائزة الثالثة طه عدنان (المغرب) عن مجموعة الشعرية «بهواء كالزجاج».

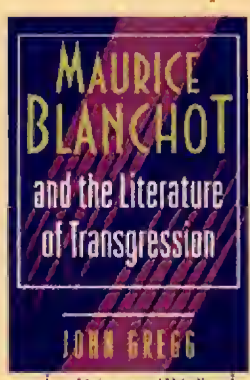
وفي مجال القصة القصيرة فاز بالجائزة الأولى حسام فتحي (مصر) عن مجموعته «مدارات عمياء»، والجائزة الثانية فاز بها رياض كاظم (العراق) عن مجموعة «مخلوقات شرقية»، والجائزة الثالثة نالها صلاح الدين حارث (تونس)عن مجموعته «رؤية بضمير الغائب».

أما في مجال الرواية فقد فاز بالجائزة الأولى حفيظ لزرك (المغرب) عن روايته «مجنون مليلة»، والجائزة الثانية منحت لعلي حسين (العراق) عن روايته «روح ابن أنا»، والجائزة الثالثة حصلت عليها منهل توفيق السراج (سورية) عن روايتها «كما ينبغي لنهر».

وفي مجال المسرح فاز بالجائزة الأولى سعيد حجاج (مصر) عن مسرحيته «بيت العزلة بيت الريح»، والجائز الثانية كانت بالمناصفة بين كل من محمد سيد عمار (مصر) عن مسرحيته «ثنائية الحلم والسقوط»، وناهض يعقوب(العراق) عن مسرحيته «نديم شهريار»، والجائزة الثالثة فازت بها نجوى عاشور (ليبيا) عن مسرحيتها «المعطف».

وفاز بجائزة أدب الأطفال كل من علاء الدين حرير (سورية) عن مسرحية «الغابة العطشى»، ونالت الجائزة الثانية أمل عطا الله (الأردن) عن مسرحية «بيت الأسماك»، وحصلت على الجائزة الثالثة إيناس نمير (مصر) عن «جنة الأصدقاء»، أما في مجال النقد الأدبي ففازت بالجائزة الأولى بيداء محيي الدين (العراق) عن دراستها «الزمن السري في النص المسرحي العربي»، والجائزة الثانية لبدرالدين عبدالرحمن (سورية) عن دراسته «التراجيديا معرفياً وجمالياً: نماذج وتطبيقات في الأدب المسرحي السوري»، وفاز بالجائزة الثالثة علاء الدين فتحي (مصر) عن دراسته «الدوائر» المتقاطعة: دراسة في جماليات النص الشعري المسرحي».

وفاة الكاتب الفرنسي بلانشو



أحد المؤلفات عن بلانشو وأدبه

توفي الكاتب الفرنسي موريس بلانشو مساء الخميس العشرين من فبراير/ شباط الماضي في منزله قرب باريس عن ٩٥ عاماً، وأوضحت صحيفة «ليبراسيون» أنها تبلغت النبأ من عائلة الكاتب التي لم تنشر أي نعي له. وقد عدلت إذاعة «فرانس كولتور» برامجها وخصصت الفترة الصباحية للحديث عن الكاتب الراحل وأعماله.

ولد بلانشو في مدينة كان، ولم يكن بلانشو معروفاً جداً بين عامة الناس، لكن أعماله أثرت في جيل كامل من كتّاب

فرنسا مثل جان بول سارتر، ورينيه شار، ورولان بارت، وميشال فوكو، وبعدما عمل طويلاً في صحف اليمين انسحب بلانشو من الحياة العامة إلى عزلة طوعية بعد الحرب العالمية الثانية، وأثار ضجة كبيرة عندما وقع «بيان الـ ١٢١» حول حرب الجزائر، ثم عريضة تساند انتفاضة الشباب عام ١٩٦٨م ضد ما عُرف يومها بقوانين دوبريه حول الهجرة.

مكتبة الأزهر الإلكترونية



الجامع الأزهر

يجري العمل حالياً في إعداد مشروع «الأزهر أونلاين»، الذي يهدف إلى جذب المسلمين كافة من كل أنحاء العالم نحو أضخم مركز للمعلومات الدينية، إذ سيوفر هذا المركز لزواره الاطلاع على مجموعة من أقدم المخطوطات التراثية التي يحتويها الأزهر الذي يعد ثالث مركز للمعلومات في العالم بعد مكتبتي الكونجرس والفاتيكان، وسوف يتم تدشين هذا الموقع في شهر أبريل/نيسان المقبل في ٤ عواصم عالمية هي القاهرة ودبي ولندن وواشنطن. وقد بلغت تكلفة إنشاء هذا الموقع أكثر من ٥ ملايين دولار خلال ثلاث سنوات.

وتعود فكرة هذا المشروع إلى عام ٢٠٠٠م، عندما قام الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد بن مكتوم بزيارة للأزهر الشريف، وناقش مع فضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي فكرة قيام مكتبة إلكترونية بواسطة الشركة التي يملكها سموه، وقد تم إنجاز عدة مراحل من هذا المشروع، وأزيح الستار عن الطابق الخامس من مبنى مكتبة الأزهر الذي سيضم الأجهزة المسؤولة عن حفظ محتويات المشروع وتخزينها وحمايتها وتطويرها .

ويبلغ عدد المخطوطات التي يحتويها المركز نحو ٤٢ ألف مخطوطة يرجع تاريخ بعضها إلى ١٤٠٠ عام مضت، منها نحو ٩آلاف مخطوطة لا يوجد لها مثيل في العالم، كما أن المركز سوف يقدم خدماته بست لغات مختلفة تغطي جميع اهتمامات الشعوب الإسلامية.

كلير توماس تتفوق على زوجها



كلير توماس

فازت الكاتبة البريطانية كلير توماس بجائزة الـ «وتبريد» لهذا العام، التي تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه إسترليني، وتعد هذه الجائزة من أكبر الجوائز أهمية، وتأتي في الترتيب الثاني بعد جائزة «بوكر» للرواية، وقد جاء فوز كلير عن كتاب ينتمي إلى أدب السيرة، تناولت فيه حياة كاتب اليوميات صاموئيل بيبيز الموظف الحكومي الذي عاش في القرن السابع عشر، وعرف بكثرة غرامياته، وكان بعنوان: «صامويل بيبيز: الذات منقطعة النظير».

والشيء الطريف في هذه المنافسة هو أن زوج كلير قد دخل منافساً لزوجته للفوز بهذه الجائزة، بعد أن اختيرت روايته القصيرة «الجواسيس» ضمن القائمة النهائية، وقد استحق كتاب توماس الجائزة، على حسب رأي لجنة التحكيم؛ لأنه أكثر سلاسة من رواية زوجها القصيرة، وقد عبرت كلير عن أمنياتها بأن تفوز رواية زوجها بالجائزة أيضاً.

الجدير بالذكر أن كلير كان قد سبق لها الفوز بهذه الجائزة حينما كانت في الأربعين من عمرها، عن سيرة حياة ماري ولستونكرافت. وكان هذا الفوز بعد مرور عام واحد على مقتل زوجها نيكولاس توماس المراسل الصحفي الذي كان يعمل مع صحيفة «الصنداي تايمز» في أثناء تغطيته لحرب أكتوبر/تشرين في منطقة الجولان السورية.

وتبلغ كلير وزوجها الحالي فراين التاسعة والستين من عمرهما.

بلقزيز، عبدالإله/ الإسلام والسياسة: دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي.ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م، ٢٢٤ص.

يلقي هذا الكتاب الضوء على دور الحركة الإسلامية في المجال السياسي في الوطن العربي، ويرى المؤلف أن هناك أربع مساهمات للحركة الإسلامية تتمثل في: تجديد الوعي الذاتي أو الوعي بالذات، وفي المسألة الوطنية، وفي المعرفة الديمقراطية، ومساهمة في إعادة صياغة العلاقة بين السياسة والدين.

يناقش المؤلف في الفصل الأول من الكتاب إشكالية الدين والسياسة، وفي الفصل الثاني يوضح الفرق بين الاجتهاد والبدعة، أما الفصل الثالث فيقدم نقداً للتطرف الديني الذي تقوم به الحركات الإسلامية، وعن فكرة التكفير وأسسها ومسوغاتها، ويوضح الفصل الرابع العلاقة بين العقيدة والسياسة.

ويدرس الفصل الخامس أسباب ميلاد المشروع السياسي الإسلامي. وفي الفصل السادس يفرق المؤلف بين الإصلاحية الإسلامية والصحوة الإسلامية: واختلافاتهم في الإشكالية، ومناهج النظر، والأهداف، ووسائل بلوغها.

أما الفصل الأخير فيوضح أهمية الإصلاح الديني ومن يقوم به، وكيف؟ ويخلص المؤلف إلى أن تطور المعرفة المعاصرة بالإسلام ديناً وحضارة وتراثاً ثقافياً، كشف عن دور فئة جديدة من غير «رجال الدين» أو علماء الدين في تطوير وعينا بالإسلام وفهمنا للنص الديني من سياقاته الموضوعية المختلفة، ويعني بها فئة المشتغلين من عرب ومسلمين في مجال الدراسات التراثية أمثال: محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، وهشام جعيط، ورضوان السيد، وحسن حنفي.

حمود، فاطمة/ الرحلات والرحالة العرب قديماً وحديثاً.ـ دمشق: المؤلفة، ٢٠٠٢م، ٣٢٩ص.

تتناول هذه الدراسة أخبار الرحلات والرحالين العرب، وليس أدبها، فالمكتبة العربية تزخر بموضوعات متعددة عن الرحالين، ولكنها سجينة كتب التراث، كذلك هو شأن الرحالين العرب المعاصرين فنجد أخبارهم متناثرة في بعض الصحف والمجلات، ولهذا رأت المؤلفة جمعها في هذا الكتاب.

وتقول: «إنها رأت على مدى أكثر من عشر سنوات من المتابعة لهذا الموضوع نحو ستين كتاباً ومجلداً، اقتنت منها نحو أربعين في مكتبتها. إضافة إلى مئات الصحف والمجلات الأخرى التي ترصد رحلات الرحالين العرب المعاصرين».

يتضمن هذا الكتاب أربعة فصول رئيسة: يقدم الفصل الأول أشهر رحلات الأسلاف مثل رحلة ابن فضلان، ورحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة، وابن ماجد أبرز رحالي البحر العرب.

و تورد المؤلفة في الفصل الثاني بعض الرحلات العربية المعاصرة منها: رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام، وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية، ورحلات العلامة حمد الجاسر، ورحلة يوسف غنيمة إلى أوربا عام ١٩٢٩م، ورحلة الشاب السعودي الذي عبر الربع الخالي بمفرده، إضافة إلى بعض الرحلات المهمة.

ويستعرض الفصل الرابع أهم الرحالة الأجانب الذين زاروا البلاد العربية أمثال: بوركهارت، وجون فيلبي، وكارلو غوارماني، وآخرين. إضافة إلى النساء الرحالات أمثال: جين دغبي، وايسترستانهوب، والبرنسيس إميلي روث.

وقسمت المؤلفة أولئك الرحالين إلى: الرحالين الفرسان، والرحالين المبشرين، والرحالين المستشرقين، وتورد المؤلفة في الفصل الأخير نماذج من مذكرات بعض الرحالين العرب والأجانب.

اللاوندي، سعيد/ بدائل العولمة: طروحات جديدة لتجميل وجه العولمة القبيح.. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ٢٣١ص.



يقدم هذا الكتاب أول مرة طروحات جديدة لتجميل وجه العولمة القبيح، ويرى المؤلف «أن البحث عن بدائل للعولمة بات مطلباً ضرورياً، خصوصاً بعد أن تبين أن المخاطر باتت تحدق بالإنسان وتعصف بحضارته، وقيمه، وأخلاقه من كل جانب. فالعولمة المتوحشة تلغي الدولة، وتعادي الديمقراطية، وتسلب رجال السياسة وظيفتهم، وتسلم أمر القيادة إلى أصحاب الأموال، وجماعات المصالح، وتفسح المجال رحباً أمام انتعاش الأموال القذرة، والمخدرات، والأسلحة، والدعارة، وتحول الكرة الأرضية إلى مجتمع عالمي للاستهلاك، يهدف إلى الربح فقط، وزيادة الأثرياء ثراء، ولا يهم بعد ذلك أن يموت ألوف الملايين من البشر».

ويتناول المؤلف سيطرة أصحاب رؤوس الأموال على وسائل الاتصال وتقنية المعلومات، والتكنولوجيا الخاصة بالهندسة الوراثية، ثم تطرق إلى الأدوار الخفية لمنظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي ومنظمة التنمية والتعاون في أوربا وحلف الناتو التي أصبحت ترسم سياسات العالم وفق رؤى المتحكمين بها.

ولعل ذلك ما دفع إلى التنادي بضرورة تغيير هذا الاتجاه الذي تأخذه العولمة.

العكش، منير / أميركا والإبادات الجماعية: حق التضحية بالآخر .. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢م، ١٩٩ص.

يطرح المؤلف في هذا الكتاب حقائق تاريخية، تتعلق بنشأة الولايات المتحدة الأمريكيةمشيراً إلى أن إبادة ١٨.٥ مليون هندي أحمر على يد المستعمرين الإنجليز في المنطقة المعروفة اليوم بالولايات المتحدة لم تكن حادثة فريدة في التاريخ الأمريكي، ولم تقتصر حروب الإبادات الجماعية على الهنود الحمر، بل إنها رافقت تاريخ الولايات المتحدة القديم والحديث، وداخل القارة الأميركية وخارجها، وكانت من أهم عناصر فكرة أميركا.



ويضيف العكش: إن فكرة أميركا نفسها (فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة) هي التطبيق العملي للفهم الإنجليزي لفكرة إسرائيل التاريخية، وإذا كان تفصيل من تفاصيل الاستعمار الإنجليزي لشمال أميركا حاول أن يجد جذوره في أدبيات فكرة إسرائيل وتقمص وقائعها، وأبطالها، وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية، كانوا يسمون أنفسهم يهوداً وعبرانيين، ويطلقون على العالم الجديد اسم إسرائيل وأرض كنعان، وكانوا يقتلون الهنود، وهم على قناعة بأنهم عبرانيون أعطاهم الله تفويضاً بقتل الكنعانيين.

ويؤكد أن يهودية هؤلاء المستعمرين الإنجليز أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي، وهذه الثوابت هي: المعنى الإسرائيلي لأمريكا، وعقيدة الاختيار الإلهي والتفوق العرقي والثقافي، والدور الخلاصي للعالم، وقدرية التوسع اللانهائي، وحق التضحية بالآخر.

نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب/ تصحيح: محمد تقي دانش ثروة.. طهران: مجمع التراث والمآثر الفقهية، ٢٧٣ص.

ورد في بداية هذا الكتاب قول الأصمعي: «كان هارون الرشيد: إذا نشط يرسل إلي فكنت أحدثه بحديث الأمم السالفة والقرون الماضية، فبينما أنا أحدثه ذات ليلة، قال يا أصمعي أين الملوك وأبناء الملوك؟ قلت يا أمير المؤمنين مضوا لسبيلهم.. ثم دعا صالحاً [صاحب مصلاه] فقال انطلق إلى صاحب بيت الحكمة فمره أن يخرج إليك (سير الملوك) وأتني





به، فأخرج إليه الكتاب، فأمرني أن أقرأ عليه، فقرأت عليه في تلك الليلة ستة أجزاء ثم قال يا أصمعي، فانظر ما كان قبل سام بن نوح من الأخبار.. واذكر فيها جميع من ملك منذ زمان آدم إلى أن أفضى إلى سام بن نوح، استعن في ذلك بأبي البحتري الفقيه [وهب بن وهب القريشي] فدعونا بكتاب المبتدأ فنسخنا منه هذا الجزء، ونسقناه وجعلناه أول كتاب (سير الملوك)».

وقد حظي هذا الكتاب باهتمام الباحثين والمحققين وصدرت حوله آراء مختلفة.

وتشكك كثير من المستشرقين في نسبة الكتاب نهاية الأرب إلى العلماء القدماء كالأصمعي، وذكر المستشرق الدانماركي كريستين سن: أن المحققين الأوربيين يعتقدون أن كتاب «نهاية الأرب» دون في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي (أوائل القرن الخامس الهجري).

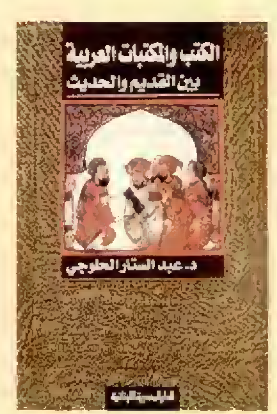
وقال المستشرق البروفيسور كابريلي: أراد المؤلف المجهول لهذا الكتاب أن يلفق بين مصنف ابن المقفع، وكتاب «عامر الشعبي وأيوب بن القرية» اللذين كانا في زمن عبدالملك بن مروان في كتاب واحد فألف هذا الكتاب، ويحاول المحقق إيراد مختلف الآراء التي تلقي الضوء على هذا الكتاب القيم.

مراد، بركات محمد/ حقوق الملكية الفكرية في المنظور الإسلامي.. الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٧٦ص. (كتاب الرياض ١٠٩).

يقول المؤلف إن الملكية الفكرية يقصد بها في معناها العام المعاصر الحقوق التي يوفرها القانون المترتبة على أي نشاط أو جهد فكري يؤدي إلى ابتكار في المجالات الأدبية والفنية والعلمية والصناعية، ويشير إلى أن العالم الغربي ـ خاصة في العصور الحديثة ـ سعى إلى الاهتمام بالقوانين وتوقيع الاتفاقيات التي تحمي هذه الحقوق، في ظل ثورة المعلومات والمعارف، خاصة في مجالات التكنولوجيا الحيوية، والمواد الجديدة، وعلوم الفضاء، والطاقة الجديدة والمتجددة، والاتصالات الكونية الفائقة.

ويقدم هذا الكتاب رؤية الإسلام وموقفه التشريعي من حقوق الملكية الفكرية، من خلال ثلاثة فصول رئيسة: الأول: رؤية تاريخية وفلسفية لحقوق الملكية الفكرية وسبل حمايتها، والفصل الثاني: يعالج الجوانب المختلفة للرؤية الإسلامية لحقوق الملكية الفكرية.

وفي الفصل الثالث يتطرق المؤلف إلى مظاهر القرصنة الدولية التي تمارس على الملكية الفكرية.



الحلوجي، عبدالستار/ الكتب والمكتبات العربية بين القديم والحديث.. بيروت: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢م، ٢٧١ص.

هذا الكتاب مجموعة دراسات تطوف بنا في عالم الكتب والمكتبات، ترصد خاطرة، أو تناقش قضية، أو تعرف بكتاب أو شخصية، بعضها يغوص في الأعماق، وبعضها يكتفي بقطف الثمار والأزهار، وبعضها قدم إلى مؤتمرات وندوات علمية، وبعضها نشر في دوريات متخصصة أو أعمال مجمعة.

ويمكن تقسيم الكتاب إلى فئات ثلاث أولاها: بحوث ودراسات عن الكتب والمكتبات. وثانيتها: تعريف وتقييم لمؤلفات مهمة في هذا المجال، وثالثتها: إعلام عن الراحلين من أعلام التخصص ورواده الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم أمثال: الدكتور محمود الشنيطي، والدكتور أحمد نور عمر، والدكتور محمد إبراهيم السيد، والدكتور محمد المصري عثمان.

ومن الدراسات الواردة في الكتاب: المكتبات العربية بين

أمجاد الماضي وتحديات المستقبل، وحق المؤلف من القوانين العربية، وجهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي ودور المكتبة من تعليم الكبار.

أما الشق النقدي في الكتاب فيتمثل في مقالات، جاءت تحت العناوين الآتية: «نحو ببليوجرافيا وطنية للمملكة العربية السعودية»، و«مع الدكتور الضبيب وكتابه: آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، و«عباس محمود العقاد» و «الوقف وبنية المكتبة العربية» للدكتور يحيى بن محمود ساعاتي.

تشومسكي، نعوم (وآخرون)/ العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، ترجمة: حمزة المزيني.- القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣م، ٢٧٥ص.

السبب في ترجمة هذه المقالات، كما يقول الأستاذ حمزة المزيني، هو أن اليمينيين في الإدارة الأمريكية والصحفيين الخاضعين للنفوذ اليميني والإسرائيلي والمؤيدين لسياسات إسرائيل في الولايات المتحدة يعملون على تعميم الانطباع بأن الشعب الأمريكي يقف كتلة متراصة وراء السياسات الأمريكية في المنطقة، كما يحرص كثير من الصحف الأمريكية على تصوير الأمريكيين كأنهم يجهلون تعقيدات القضايا السياسية في المنطقة، إن ترجمة ما يكتبه بعض الأمريكيين واجب من باب الاعتراف بجميل هؤلاء الكتاب الشجعان الذين يعلنون تمردهم على الابتزاز والتجهيل الذي يحاول أنصار إسرائيل تعميمه في المجتمع الأمريكي.

وتضمن الكتاب مقالات مترجمة لمجموعة من الكتّاب الأمريكيين أمثال: نعوم تشومسكي، ونورمان فينكلشتاين، وهاوارد زن، وتيم وايز، وسانتياغو أبلا ريكو، وآخرين مثل دينيس توتشينيتش، وروبرت فيسك.

وفي رأي المؤلف أن في ترجمة مثل هذه المقالات فائدة لنا، ذلك أنها تساعدنا حين نقرؤها على اجتناب الوقوع في خطأ التعميم الذي خلق ولا يزال يخلق لنا أعداء كان يجب أن يكونوا أصدقاء لنا.



السامرائي، إبراهيم/ معجم ودراسة في العربية المعاصرة.- بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠م، ١٩٧ص.

هذا معجم جديد أو بتعبير أدق معجم في العربية الجديدة أو في جديد العربية يقف فيه الدكتور إبراهيم السامرائي - رحمه الله - وقفات تاريخية متتبعاً لألفاظ هذه الثروة اللغوية ودلالتها في عربية هذا العصر التي تلقفها المؤلف من الصحف والمجلات ووسائل الإعلام، وفي المقالة والقصة والرواية.

وقد عرج على الأسلوب عموماً، وركز في التعابير التي وفدت إلى العربية عبر الترجمات.

ووقف الدكتور السامرائي من المعربات الجديدة والأساليب الجديدة موقفاً علمياً محايداً يسجل الظواهر اللغوية تسجيلاً وصفياً أو توصيفياً من دون إبداء أحكام تقويمية سلبية أو إيجابية، صنيع العالم المؤرخ في سبيل المعرفة العلمية المجردة.

وقد صدر للسامرائي: معجمات هي: معجم الفرائد (ع ٩٨)، ومعجم الدخيل في الفارسية والعربية والتركية (٩٧م)، والمعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام (٩٩م).



الشرعان، نايف بن عبدالله/ نقود الدولة العيونية في بلاد البحرين.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٣١٥ص.

مما أورده المؤلف في كتابه قول جورج سي. مايلز في مقدمة كتابه تاريخ مدينة الري النقدي: «لا يوجد حقل في التاريخ خدمته مسكوكاته بالقدر الذي خدمت به المسكوكات الإسلامية التاريخ الإسلامي».

ثم يشير في متن كتابه إلى أن النقود الإسلامية كشفت عن عدد من الحقائق التاريخية المجهولة سواء أكانت دينية

أم سياسية، أم اقتصادية، وهي من أهم مصادر التاريخ بل من أجلها، ولا يمكن الطعن فيها بسهولة إذا صحت أثريتها.

وتعد النقود الإسلامية ـ في رأيه ـ سجلاً حافلاً ومميزاً لدراسة مراحل الخط العربي وتنوعه ودراسته عبر العصور الإسلامية كذلك دراسة العناصر الزخرفية والهندسية والفلكية.

وتركزت دراسته في مجموعة نقود من الدولة العيونية في بلاد البحرين، بلغ عددها نحو اثنتين وخمسين قطعة نقدية، وهي تبرز أهميتها بوصفها مصدراً رئيساً لكتابة تاريخ الدولة العيونية، الذي يكاد يكون كثير من جوانبه غامضاً ومجهولاً.

وقد جاء هذا الكتاب في مقدمة وأربعة فصول رئيسة: يتناول الأول الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد البحرين، وتحديداً امتدادها الجغرافي وأهميتها الزراعية، والبحرية، ويشتمل الفصل الثاني على دراسة الأحوال السياسية للدولة العيونية بالإضافة إلى خلفية تاريخية عن النقود المتداولة في بلاد البحرين حتى منتصف القرن الخامس من الهجرة، أما الفصل الثالث فيركز في دراسة مجموعة النقود العيونية، بينما يتناول الفصل الرابع دراسة هذه النقود دراسة فنية تحليلية.

شاكر، محمود/ موسوعة الحضارات القديمة والحديثة وتاريخ الأمم، (جزءان).ـ عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ٤٦٤ص.

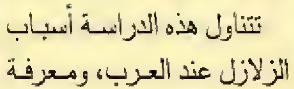
تسلط هذه الموسوعة الضوء على أهم الفترات التاريخية وأحداثها المهمة بالإضافة إلى المنجزات الحضارية لكل فترة تاريخية من هذه الفترات.

ولقد تناولت في البدء الحضارات الأصيلة التي نشأت من حياة بدائية بسيطة دون احتكاك أو اتصال بشعوب أو أمم أخرى أكثر تمدناً أو حضارة، مثل حضارة وادي الرافدين ووادي النيل حيث أقام الإنسان مستوطناته الصغيرة على ضفاف دجلة والفرات والنيل واهتدى للزراعة فكان بحق مولداً للحضارة البشرية جمعاء، كما ركزت في أهم التطورات السياسية والمنجزات الحضارية لهذه الفترة.

عقب ذلك تناول المؤلف تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ابتداءً من عهد الرسول «صلى الله عليه وسلم» الذي شهد قيام الدولة العربية الإسلامية، ووصولاً إلى العصرين الأموي والعباسي اللذين شهدا تطور الحضارة العربية الإسلامية ونضجها.

وتطرقت الموسوعة إلى تاريخ الحضارة الأوربية الحديثة، وانتقالها إلى العصر الوسيط في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي الذي شهدت فترته الأخيرة تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية كبيرة أدت إلى انتقال أوربا إلى العصر الحديث.





الغنيم، عبدالله يوسف/ سجل الزلازل العربي: أحداث الزلازل وآثارها في المصادر العربية ـ الكويت: الجمعية الجغرافية الكويتية، ٢٠٠٢م، ص ٣١٩؛ (سلسلة وحدة البحث والترجمة).

تتناول هذه الدراسة أسباب الزلازل عند العرب، ومعرفة مدى تأثرهم بآراء من سبقهم من الأمم الأخرى، ثم تدرس أحداث الزلازل في الكتابات العربية، وتبدأ بعرض تحليلي لمصادر الدراسة، يليه «سجل الزلازل العربي» الذي قام بإعداده المؤلف معتمداً على أوثق المصادر العربية، ثم تحليل لهذا السجل، وبيان بالاستنتاجات التي يمكن استخلاصها منه بما يحقق دراية أكبر بحدود المعرفة العربية في هذا المجال.

كما تتحدث الدراسة عن الظواهر الجوية المصاحبة للزلازل مثل كسوف الشمس أو خسوف القمر وغيرها، والظواهر الطبيعية المصاحبة للزلازل، مثل تذبذب المياه الجوفية، والأصوات المصاحبة، وزمن الزلازل وشدتها، كما تضمنت الدراسة فهارس لمواقع الزلازل وسنوات حدوثها، وفهرساً للمواقع والبلدان، والأعلام، والكتب، والموضوعات.




حولية كلية المعلمين في أبها (س١، ع٣، ١٤٢٣هـ)

مجلة دورية سنوية تصدر عن مركز البحوث والدراسات التربوية بكلية المعلمين في أبها.

ركز هذا العدد في موضوع دور كليات المعلمين في إعداد المعلم، وقدم لهذا الموضوع رئيس التحرير صالح أبو عراد، وكتب الدكتور عبدالله الجنيدي عن دور كليات المعلمين بين الأداء والتطوير، وتناول الدكتور محمد بن علي الشهري دور كليات المعلمين في إعداد معلم الرياضيات.

وفي باب البحوث والدراسات نقرأ البحوث الآتية: «الأرقام العربية في حقيقتها ومحاولة اغتيالها» للدكتور محمود شاكر سعيد، و«التدريس الفريقي في المرحلة المتوسطة» للدكتور سالم بن علي الوهابي، و«الطيب بين السنة والعلم الحديث» للدكتور يحيى الشهري والدكتور صلاح النعيم، و«دور مناهج العلوم في مساعدة أطفالنا ليصبحوا مفكرين» للدكتور عبدالسلام مصطفى عبدالسلام، و«حقوق الأسرة في الإسلام» للدكتور عبدالقادر محمد عطا صوفي، و«نحو التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية» للدكتور محمد بن عبدالله آل عمرو.

وفي باب المقالات كتب الدكتور عبدالوهاب عبدالمقصود عن الاستنساخ، وألقى محمد سيف الدين محمد أضواء على التصنيف العشري للمطبوعات، وتطرق الدكتور صالح أبو عراد والدكتور عبدالسلام مصطفى عبد السلام إلى ضرورة تدريس مادة التربية بكليات المعلمين، وقدم الأستاذ إسماعيل فريد ناصف مشروعاً مقترحاً للمدرسة الإلكترونية، وكتب الدكتور محمد مريزن عسيري مقالاً بعنوان «نحو توجيه إسلامي للعلوم الاجتماعية»، وتضمن العدد ملخصات لبعض رسائل الماجستير.

وختم العدد بدعوة للمشاركة في قضية العدد القادم وهي بعنوان «مركز البحوث والدراسات التربوية في كليات المعلمين بين الواقع والمأمول».

العنوان: المملكة العربية السعودية
أبها - كلية المعلمين - مركز الدراسات التربوية،
ص.ب ٢٤٩. هاتف: ٠٧/٢٢٧٠٤١٩/١٧٦
ناسوخ: ٠٧/٢٢٧١١٠٣

نزوى (ع٣٣، يناير ٢٠٠٣م - شوال ١٤٢٣هـ)



مجلة فصلية ثقافية تصدر عن مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان. احتوى هذا العدد على موضوعات متنوعة، بدأت بافتتاحية رئيس التحرير، واستطلاع عن مدينة نزوى بين التاريخ والعلم والتراث، وحوار مع الفيلسوف روبير ديما ترجمه محمد المزيودي.

وفي باب الدراسات: كتب سمير اليوسف بحثًا بعنوان« جورج أورويل مقالة ضد الحسم والتصنيف»، وتناول نضال الصالح «المستوى الأسطوري في رواية جبرا إبراهيم جبرا» وناقشت فاطمة المحسن «الأنوثة والرومانس في الكتابات النسائية - من غادة السمان حتى أحلام مستغانمي»، واستعرض يحيى بن الوليد الدراسات الجاحظية في المغرب، وتناولت عفاف عبدالمعطي «جمال الغيطاني في «حكايات الخبيئة»»، وتطرق حسين الموزاني إلى «موضوع الصوت وإيقاعاته وظلاله حول صعوبات ترجمة «الطبل الصفيح» نموذجًا»، وتطرق أحمد يوسف داود إلى البعد الصهيوني في نظرية المركزية الأوربية، وناقش نادر كاظم «مفهوم الهويات بين التحييك السردي والتشكيل الأيديولوجي»، وكتب عبد العزيز مواقي مقالاً

بعنوان «لويس عوض وثقافة الصدام ... بلوتولاند : الثورة الشعرية الرابعة».

وشمل العدد أبواباً ثابتة مثل التشكيل، والموسيقى، والسينما، واللقاءات، والمسرح، إلى جانب قصائد لعدد من الشعراء العرب.



المنهل (س٦٨، مج٦٤، ع٥٨٣، شوال/ ذو القعدة ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢م/ يناير ٢٠٠٣م)

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر في جدة.

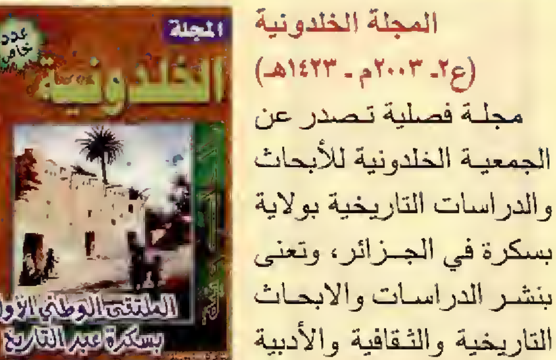
هذا هو الإصدار السنوي الخاص لمجلة المنهل، وقد ركز في موضوع مهم جاء بعنوان «البيئة توازن أم اختلال؟!» وساهم عدد من الأساتذة والأكاديميين والباحثين في مجال البيئة في إثراء هذا الموضوع، فقد بلغ عدد المشاركين نحو ثلاثين أستاذاً وباحثاً، وقد تضمن هذا العدد حواراً خاصاً مع صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية - العضو المنتدب للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بالمملكة.

ومن عناوين مقالات العدد: «الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث من المنظور الإسلامي»، و«نظرة الإسلام الراقية للبيئة»، و«الإنسان والبيئة من منظور إسلامي»، و«الإنسان والبيئة.. صراع أم حوار؟»، و«البيئة والتنمية المستديمة»، و«العولمة والبيئة»، و« دور وسائل الإعلام وزيادة المعرفة بالقضايا البيئية»، و«العلاقة بين التربية البيئية والتنمية»، و«إسهامات علم النفس البيئي في حل مشكلات البيئة».

وتضمن العدد استطلاعاً مصوراً عن الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية في المملكة.

العنوان: جدة - الشرقية - ص.ب ٢٩٢٥ الرمز البريدي: ٢١٤٦١

هاتف: ٦٤٢٧٨٣١ - ناسوخ: ٦٤٢٨٨٥٣



المجلة الخلدونية (ع٢- ٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ)

مجلة فصلية تصدر عن الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية بولاية بسكرة في الجزائر، وتعنى بنشر الدراسات والابحاث التاريخية والثقافية والأدبية والفكرية والتراثية.

خصص هذا العدد لجمع المحاضرات والمداخلات التي ألقيت خلال الملتقى الوطني الأول (بسكرة عبر التاريخ) الذي قامت «الخلدونية» بتنظيمه يومي ١٦و١٧ نوفمبر ٢٠٠٠م، كما تضمن العدد مقالاً للدكتور محمد الصغير غانم بعنوان «منطقة بسكرة بين الموقع الاستراتيجي والنصوص التاريخية»، ومقالاً بعنوان «نظرة في مشهد وصفي خلدوني لبسكرة» للأستاذ الطاهر الإبراهيمي، وكتب الدكتور إبراهيم مياسي عن احتلال بسكرة عام ١٨٤٤م، وتناول الدكتور حساني عبدالكريم النضال السياسي والإصلاحي ببسكرة، وتطرق الشيخ عبدالقادرعثمان إلى الدور العلمي للزوايا، وكتب الأستاذ فوزي مصمودي مقالاً بعنوان «صفحات من تاريخ الحركة الصحفية ببسكرة»، واستعرض الأستاذ سليمان العيد لمحات من التاريخ الثقافي لبسكرة (الشيخ نعيم النعيمي نموذجاً)، وناقش الأستاذ عبدالحميد دبابش المسؤولية الأخلاقية للمؤرخ، واختتم العدد بتوصيات الملتقى الوطني الأول «بسكرة عبر التاريخ».

العنوان: ص ب ١٦٨٤ ق. ر. بسكرة ٧٠٠٠، الجزائر

ناسوخ: ٢٤ - ٤٠ - ٧٤ (٠٣٣) / ٨٠ - ٢٣ - ٧٤ (٠٣٣)

المدى (ص١١،ع٣٩ -٢٠٠٣م)

فصلية ثقافية تصدر عن دار المدى للثقافة والنشر في سورية، احتوى هذا العدد على عدد من المقالات والدراسات، إضافة إلى الأبواب الثابتة، بدأت بمقال



للأستاذ بندر عبدالحميد بعنوان «كل هذا ... التعتيم»، ومن عناوين الدراسات الواردة في العدد: «المكان ودلالته في رواية مدن الملح» لصالح ولعة، و«عبده وازن في ديوانه نار العودة» لجولان حاجي، و«أساطير الطوفان القديمة» للدكتور مصطفى العدوي.

وتضمن العدد قصصًا لكل: مروة رزق، وأكرم إبراهيم، وأسامة الحويج عمر، وسليم عبدالأمير حمدان، إلى جانب قصائد للشعراء: فؤاد كحل، وحبيب الزيودي، ومهندي محمد علي، وطالب هماش، وسعاد الكواري، ومحمد جابر النبهان، وحسن وسوف، ومحمود دريوس، ودلشاد عبدالله/ زياد البرزنجي، وغسان حمدان، ومياسة دع. وتضمن العدد مقالاً بعنوان «الراعي ومنع التجوال» لروز شوملي مصلح، وحواراً أجراه عدنان حسين أحمد مع الروائي نجم والي، وقدم جولان حاجي ترجمة، وعرضًا لكتاب «الكائنات الخيالية» لخورخي لويس بورخيس.

وفي باب السينما: ترجم صلاح سرميني حديثًا صحفيًا مع المخرج العراقي سعد سلمان، وتضمن العدد باب المسرح وعروض الكتب.

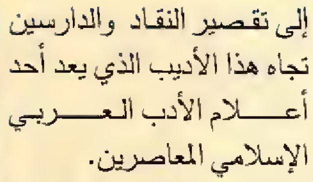
ورافق المجلة العدد الثاني عشر لفصلية الشعر «اللحظة الشعرية»، وشارك فيه كل من مصطفى جعفر، وعواد ناصر، وكامل شياع، ونزار آغري، وزهير الجزائري، وفوزي كريم.

الأدب الإسلامي

(ع٣٤ و٣٥ ـ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

صدر هذا العدد المزدوج من المجلة عن الشيخ علي الطنطاوي ضمن خطة المجلة في الاحتفاء بكبار الأدباء والنقاد الإسلاميين، وقد استهلت افتتاحية العدد بالإشارة إلى تقصير النقاد والدارسين تجاه هذا الأديب الذي يعد أحد أعلام الأدب العربي الإسلامي المعاصرين.





وضم هذا العدد ما يزيد على ثلاثين مقالاً وبحثًا في مختلف الجوانب الأدبية من نتاج الشيخ الطنطاوي منها: «الشيخ علي الطنطاوي كما عرفته» للدكتور عبدالقدوس أبو صالح، و«علي الطنطاوي في صحافة مصر» للدكتور محمد رجب البيومي، و«قصص الشيخ علي الطنطاوي بين الدعوة والفن» للدكتور سعد أبو الرضا، و«شخصية المكان في ذكريات الشيخ علي الطنطاوي» للدكتور جابر قميحة، و«الصورة الأدبية والفنية في أدب الشيخ علي الطنطاوي» لمحمد سعيد المولوي، « وفن السخرية وبعده الإسلامي في أدب الطنطاوي» لأحمد آل مريع، كما كُتِبَ عن الطنطاوي مربيًا، والطنطاوي الخطيب الأديب، وأدب الرحلات عند الطنطاوي، وفي العدد ثلاث مقالات لحفدة الشيخ. ومن أبرز مقالات هذا العدد «علي الطنطاوي .. وحركية الحديث الإذاعي والبعد الرابع للأدب» للدكتور أحمد بسام ساعي، أبرز فيها ما امتاز به الطنطاوي في أحاديثه الإذاعية من غيره في فن الإلقاء وأثر ذلك في أدبه.

وفي مكتبة هذا العدد عُرض كتابان هما: «علي الطنطاوي أديب الفهاء والفقهاء الأدباء»، و«روائع الطنطاوي».

وقد جاء ترتيب هذا العدد الخاص بخلاف الأعداد السابقة، إذ وضعت القصائد الشعرية جميعها في ملف خاص سمي (ديوان المراثي)، وضم ثماني عشرة قصيدة، ومن شعراء هذا الديوان: حيدر الغدير، وعبدالرحمن العشماوي، وضياءالدين الصابوني، وحفيظ الدوسري وغيرهم.

العنوان: ص ب : ٥٥٤٤٦ الرياض ١١٥٣٤

هاتف : ٤٦٢٧٤٨٢ ـ ٤٦٣٤٣٨٨

ناسوخ: ٤٦٤٩٧٠٦

ابن مقلة
شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم

أديب كمال الدين
عمّان - الأردن

هو أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقْلَة، شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم، وصاحب مدرسة معروفة في الخط ذات أثر إبداعي شديد الحضور في زمنه وما جاء بعده من زمن، وهو، كذلك، الوزير الأديب، والشاعر المبدع، والناثر البليغ الذي تقلّبت به الدنيا من حال إلى حال.

ولد سنة اثنتين وسبعين ومئتين للهجرة ببغداد، في أسرة عملت في الخط زمنًا طويلاً، حتى كان لها حضورها المميّز فيه. فقد كان جده: مُقْلة خطاطًا، رأى ابن البوّاب مصحفًا بخطه. أما أبوه فقد كان أستاذه الذي علّمه الصناعة، وكذلك كان أستاذه إسحاق بن إبراهيم الأحول صاحب كتاب: «تحفة الوامق». كما تتلمذ ابن مُقلة للعالمين المشهورين: ثعلب وابن دريد.



رسم متخيل لابن مقلة

قالوا في خطّه

أُعجب خطّ ابن مُقلة أدباء عصره وكتّابه ومؤرخيه ومبدعيه، فتباروا في مدحه حتى صار مضرب الأمثال. فهو أحسن خطوط الدنيا، كما يقول الثعالبي: خطّ ابن مُقلة يُضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله(١).

وهو أوحد الدنيا، كما يقول ياقوت: كان الوزيرُ أوحدَ الدنيا، في كتبه قلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك مُنازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع(٢).

وهو، كذلك، صاحب الخط المشهور، كما يقول محمد بن علي ابن الطقطقي (ت ٧٠٩): ابن مقلة هو صاحب الخط المشهور الحسن الذي تُضرب بحسنه الأمثال، وهو أول من استخرج هذا الخطّ ونقله من الوضع الكوفي إلى هذا الوضع، وتبعه بعده ابن البوّاب(٣).

وقال عنه أبو الحسن بن الطفيل:

خَطُّ ابن مُقْلَة من أرعاه مُقْلَتهُ
ودّت جوارحُهُ لو أنها مُقَلُ

كما ذكره بإعجاب وشغف شديدين الكثيرُ من الشعراء في قصائدهم، منهم: محمد بن يوسف الغرناطي، وابن قزمان، وابن جابر الضرير الأندلسي، والحسن بن سعيد، والصاحب بن عبّاد(٤). أما أبو بكر الصولي الأديب المشهور، فيصف شخصية ابن مقلة إنسانًا ومبدعًا ليعطيها من الألق الكثير، حيث يقول: ولا أعلم أنه ولِيَ الوزارة بعد عبيد الله بن يحيى من مُدحَ من الأشعار بأكثر مما مُدح به محمد بن علي قبل الوزارة، وفي الوزارة، وبعد ذلك لشهوته للشعر، وعلمه به، وإثابته عليه. وما رأيت، منذ أن توفي القاسم بن عبيد اللّه أحسن حركةً منه، ولا أظرف إشارة، ولا أصلح خطاً ولا أكثر حفظًا، ولا أسلط قلماً، ولا أقصد بلاغة، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علي. وله بعد هذا كله: علمٌ بالإعراب، وحفظ للغة، وشعر مليح، وتوقيعات حسان(٥).

رسالته في الخط

ترك ابن مُقلة عدداً من المؤلفات والرسائل والأشعار، بعضها ضاع بفعل الزمن، والآخر وصلنا ليدلّ على عمق ثقافة هذا المبدع، واتساع معرفته بصناعته، وخبرته الواضحة، وفنه الرفيع.

ولعل أهم ما ترك لنا شيخ الخطاطين رسالته في الخط المعروفة باسم: «رسالة ابن مُقلة في الخط والقلم»(٦). وفيها يكشف الخطاط الكبير عن أسرار صناعته بتفاصيل شديدة الفائدة لمن يريد أن يخطّ بجودة وإتقان، متبعًا أسلوب ابن مقلة في الخط، الذي صيّره، بحق، واحداً من مبدعي الخط العربي. فهو يصف صناعة المداد، ويحدد خير الأقلام، وأنواع بريها من فتح ونحت وشقّ وقطّ. ثم يصف كيفية إمساك القلم، ويفرد عدة أبواب يصف فيها خفايا الحرف، منها باب لذكر صور الحروف المفردة، وباب

ذكر ما يختص بكل حرف، وباب ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وباب كُلّيات يُحتاج إلى استعمالها في الخط، وباب المدّات، وباب الفصل بين الحروف، وغير ذلك من تفاصيل صناعة الخط وأسرارها.

وقد قال ابن مُقْلة في مفتتح رسالته: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم، فأنطق به بيانه، وأطلقَ به بنانه، وأفهم طُرقَه إضمار الناطقين بأيديهم، وأسمع، بخطّه ألفاظ المتكلمين بأناملهم. وصلّى الله على من جعلَ إعلامه ذلك شهادةً بأن حكمته من لدن لطيف خبير لا عن اقتباس من دراسة وتسطير، محمد النبي الأمي، وعلى آله مَعْدن كلّ فضلٍ عليّ.

هذا كتاب جمعنا فيه من علم القلم ما بسطناه في الكتاب الموسوم بـ (جُمل الخطّ) لما رأيناه من أن يكون بإيضاحنا هذا له مكمّلين، ولبياننا عنه مُتممين، بأن نضيف إليه مختصراً لطيفاً، وكتاباً كبيراً يبين الأصول والعلل للمجادلين، وقدّمنا منه الأولى فالأولى، والأهم فالأهم، ليرتقي الإنسان في مراتبه، وتتبيّن لديه سُبل هدايته(٧).

إنجازاته

لقد كان لابن مقلة دور متشعب الجوانب في ميدان الخط العربي، فهو أول من هندس حروف الخط العربي، ووضع لها القوانين والقواعد، ولم يصل إلينا مصنف قبل فعله هذا. وهو الذي ابتكر مصطلحات في الخط، لم يسبق إلى مثلها، مثل مصطلحات «حسن التشكيل» وهي التوفية، والإتمام، والإكمال، والإشباع، والإرسال، ومصطلحات «حسن الوضع» وهي: الترصيف، والتأليف، والتسطير، والتنصيل.

كما أنه أوّل من وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وفي علل المدّات، وفي أصناف بري القلم، كما أنه أيضاً حرر لنا نصاً نفيساً عن أجناس الأقلام والخطوط وتطوّرها في زمن الأمويين والعباسيين، وهو نص أورده البطليوسي في «الاقتضاب» فكشف به جانباً مهماً في تطور الأقلام والخطوط. كما حرّر لنا نصوصاً مهمة عن أصناف الكتّاب ومراتب المكاتبين.

وإضافة إلى ذلك، فهو أول من بلغ بالخط المنسوب مبلغاً من الكمال، حقق للحروف انسجامها وجماليتها، وهو الذي أسبغ على الخطوط تناسباً هندسياً رائعاً(٨).

ويرى إدوارد روبرتسن أن ابن مقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس، عن طريق النقط، وجعل الريشة وحدةً للقياس. فقد جعل ابن مقلة حرف الألف الكوفي مستقيماً بعد أن كان منحنياً من الرأس نحو اليمين كالصنارة. وقد اتخذه مرجعاً لقياساته. وخطا ابن مُقلة خطوة أُخرى، إذ هذّب الحروف، وأخذ الخط الكوفي كقاعدة، وأخرج من هذه الحروف أشكالاً هندسية، وبذلك أمكنه قياس هذه الحروف(٩).

مأساته

وكما عرفنا علو همّة ابن مُقلة في دنيا الحرف والنثر والشعر، وتفرده بالإبداع، وتألّقه بمعرفة أسرار الصناعة، حتى أصبح فيها المهندس الخبير الذي دان له أصحاب الحرفة بالمعرفة، واعترفوا له بالتقدم والإجادة، فإنّ لابن مُقلة وجهاً آخر وصفة ثانية: إقباله على الدنيا، وخوضه غمار السياسة، حتى أصبح وزيراً غير مرّة، في وقت كانت فيه خلافة العباسيين تعاني كثيراً من المشكلات مما انعكس عليه سلباً. فقد عُزِلَ عن الوزارة حيناً، وأُعيدَ إليها حيناً آخر، واستتر ونفي وصودرتَ أمواله. حتى إذا استتبَّ الأمر للخليفة الراضي أمر بقطع يد ابن مقلة لأسباب اختلف في ذكرها المؤرخون.

فكان أن قُطعَتْ يده، وأُلقيت في دجلة. تلك اليد التي خطّت الحرف العربي فأبرزت مكامن جماله، وأنارت زواياه العجيبة، وأقواسه الغامضة، ونقاطه المضيئة. هنا برز ابن مقلة شاعراً متألقاً ليكتب لنا أبياتاً فريدة في معناها العميق، مملوءة بحزن سرّي عجيب، مغلّفة بعتاب أسود، مرسومة بحروف تساقطت منها صيحات الألم والدموع على اليد التي أبدعتْ أيّما إبداع:

ما سئمتُ الحياةَ لكنْ توثّقـ ... ـت بأيمانهم فبانتْ يميني

بعتُ ديني لهم بدنياي حتّى ... حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حُطْتُ ما استطعتُ بجهدي ... حفظَ أرواحهم فما حفظوني

ليسَ بعد اليمين لذّةُ عيشٍ ... يا حياتي بانت يميني فبيني

الهوامش

١ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م، ص٢١٠.
٢ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج٩، ص ٢٩.
٣ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن الطقطقي، بيروت، ١٩٦٦م، ص٢٢١.
٤ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، ج٤، ص ٣٠٤.
٥ـ ابن مُقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً، تصنيف وتحقيق: هلال ناجي، ١٩٩١م، ص٤٦.
٦. قام بتحقيق الرسالة الأستاذ هلال ناجي ونشرها عام ١٩٩١م في كتابه «ابن مُقلة خطاطاً وأديباً وإنساناً» ص١١٣ حتى ص١٢٦.
٧ـ المصدر السابق، ص ١١٥.
٨ـ المصدر السابق، ص٢٤.
٩ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية، تأليف: سهيلة ياسين الجبوري، ص٩٦.